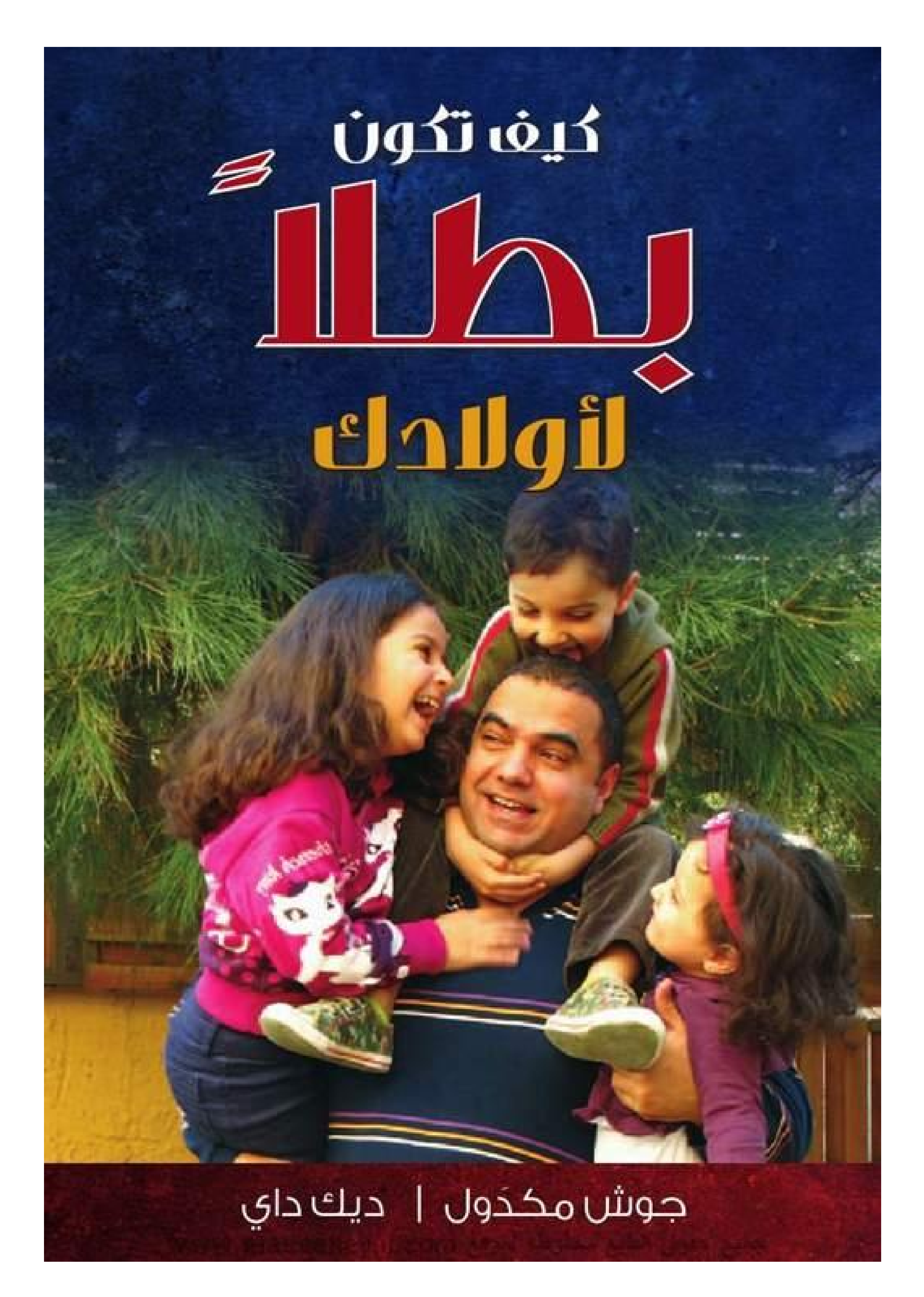

كيف تكون
بطلاً
لأولادك
جوش مكدَول | ديك داي


كيف تكون
بطلاً
لأولادك

Originally published in the U.S.A. under the title:
"How to be a hero to your kids".

First published in the USA by Word Incorporated, Dallas, Texas.

كيف تكون بطلاً لأولادك

جوش مكدَول و ديك داي

الطبعة العربية الأولى ٢٠١١

حياة المحبة في الشرق الأوسط

لبنان
ص. ب ١٦٦٥٦٧، الأشرفية، لبنان
هاتف: ٦٨٨٧٢٣ ١ ٩٦١+
فاكس: ٦٨٩٢١١ ١ ٩٦١+
Email: info@lifeagape.info

الأردن
هاتف: ٩٦٢٦٥٥٢٩٣٣٠+
فاكس: ٩٦٢٦٥٥٢٩٣٣٢+
www.maseeheyat.com

ترجمة: بولس رعد
تصميم: عبدو خاطر

إهداء

إلى أولادي الأربعة. أنتم مسرّة أبيكم وأمّكم، وأنتم شهادة عن محبّة الله ونعمته. بدونكم، لما ظهر هذا الكتاب.

جوش ماكدول

أهدي محبّتي وتقديري إلى:
أساتذتي وتلاميذي؛
ربّي الوحيد—يسوع المسيح؛
زوجتي الوحيدة—شارلوت؛
أولادي التسعة—
خمسة منهم بولادة طبيعية
واحد بالتبنّي
ثلاثة بالزواج
أحفادي الخمسة، وعن قريب الستة.

ديك داي

فهرس

المقدمة

على الرغم من أني قمت بكتابة هذا الكتاب بالإشتراك مع "ديك داي"، إلا أنك ستلاحظ أنه مكتوبٌ بصيغة المتكلم. لقد اخترنا هذه الطريقة، لأن الكثير من الأمثلة المستخدمة في هذا الكتاب تأتي من عائلاتنا نحن، فبدا لنا أنه من الأفضل أن نستخدم ضمير المتكلم من أجل تحقيق تواصل أفضل. بالإضافة إلى ذلك، قد نستخدم ضمير "هو"، أو "له" للإشارة إلى شخصٍ عام، بدلًا من استخدام "هو أو هي" أو "له أو لها". الهدف من ذلك هو التبسيط فقط، ولا نقصد من ذلك أيّة إساءة.

لقد تعلّمت معظم المفاهيم الموجودة في هذا الكتاب من "ديك"، كما أن الفصول ٦، ٨، و١٤ من هذا الكتاب هي بقلمه. لقد وهبنا الله عشرة أطفال— ستة أولاد لـ"ديك" و"شارلوت"، وأنا و"دوتي" لدينا أربعة—رأينا ثمار مبادئ خطة التربية الإيجابية في عائلاتنا. والآن، نريد أن نشارككم بهذه الخطة. أنا و "ديك" نفكر كشخصٍ واحد، ولدينا هدفٌ واحد—أن نساعدكم لتكونوا أبطالًا في نظر أطفالكم، وأن نصبح نحن أبطالًا أفضل أيضًا.

جوش ماكدويل

شكر وتقدير

كل كتاب هو مشروع جماعي، يضم جهود كثيرين.

نود أن نشكر هؤلاء الأشخاص على مساعدتهم في إخراج هذا الكتاب للنور:

إلى "ديف بيليس" الذي قاد مشروع هذا الكتاب خلال مصاعب عديدة وساعد على وضع الشكل النهائي له، وأيضًا على إنتاج سلسلة الأفلام التي يصاحبها هذا الكتاب.

إلى "جوي بول" من دار Word للنشر من أجل تشجيعه، قيادته، وإيمانه بنا لنشر مثل هذا الكتاب.

إلى "شيري ليفنجستون نيلي" لمراجعة هذا الكتاب والإشراف على جميع المراحل التي مرّ بها حتى يكتمل.

إلى رسالة "الآباء فقط" الإخبارية من أجل منحنا بصيرا أعمق نحو الأبوة كان لها أثرا عميقا في حياتنا.

وأخيرًا، شكر خاص إلى "فريتز ريدنور":

عزيزنا فريتز،

لك منا جزيل الشكر على استخدام موهبة الكتابة التي منحها لك الله لتحوّل مسوداتنا، لقاءاتنا، وأبحاثنا وتشكّلها لتأتي بهذا الكتاب القوي، سهل القراءة. موهبتك في الكلمات، بصيرتك الروحية، وروح الخادم فيك جعل من العمل معك ممتعًا. أثق أن الكثير من الأطفال سيسعدون بأبطالهم نتيجة لجهودنا المشتركة. مع محبتنا،

جوش وديك

الجزء الأول

مطلوب: أبطال لديهم خطة للتربية الإيجابية

لأول وهلة، قد تشعر بتعارض بين كلمة "بطل" وكلمة "أهل". لأن على الأهل القيام بالكثير من التصحيح والتهذيب، والكثير من الرعاية والإهتمام، حتى أن لقب "بطل" قد لا يبدو مناسبًا. يعتمد هذا الكتاب على نظرية أن الأهل هم أكثر الأشخاص بطولة بالنسبة لأطفالهم، ويعرض لهم أيضًا خطة تساعدهم للوصول إلى ذلك الهدف. في هذه الفصول الثلاثة الأولى سوف تتعلم:

- تعريف لكلمة "بطل" يمتد إلى أبعد من صور المشاهير، ويصف الأهل الذين يريدون أن يصبحوا مثلًا أعلى لأطفالهم.
- لماذا نحتاج إلى أبطال في بيوتنا الآن أكثر من أي وقتٍ مضى.
- لماذا تظل الملايين من الأسر عالقة في حلقة من التواكل والإختلال الأسري من جيل إلى جيل.
- السبب الأكثر أهمية لتكون بطلًا لأطفالك.
- كيف توفر لك المبادئ الستّ للتربية الإيجابية خطة لبناء أسرة سعيدة متوافقة.
- لماذا لا يحاول البطل أن يخدع الأطفال.

١

يمكنك أن تخدع مخادعًا، يمكنك أن تتحامق على الأحمق، ولكن لا يمكنك أن تغش طفلاً

كلما ألقيت خطبة بعنوان "كيف تكون بطلًا في عينيّ طفلك" أمام مجموعة من الآباء، أجد تباينًا في ردود الفعل، ولكن غالبًا ما يكون أحدها "أنا؟ بطلًا في عين أطفالي؟ إن أبطالهم هم مادونا أو ميل جيبسون—نجوم السينما والمشاهير. أو الرياضيون. إبني على سبيل المثال، يعجب بمايكل جوردون في الشتاء، خوزيه كونسيكو في الصيف، وجو مونتانا في الخريف. كيف يمكنني منافسة هؤلاء؟"

وإجابتي على هذا السؤال لا تتغير. الآباء والأمهات ليسوا في حاجة لمنافسة أحد. ليسوا في حاجة للتنحي أمام المشاهير، طبقًا لتعريفي أنا للأبطال، **الأهل هم أبطالٌ بالفعل**—كلّ ما عليهم فعله هو أن يتصرفوا على هذا الأساس.

هدفي من هذا الكتاب هو أن أشارك الأهل بمعنى أن تكون بطلًا حقيقيًا في بيتك، وبأهمية أن يكون الآباء والأمهات أبطالًا في عينيّ أطفالهم—خاصةً في يومنا هذا.

الأسرة تقع تحت ضغطٍ هائل

لستَ بحاجة للتدقيق لتعرف أن عصرنا هذا ليس أفضل وقت لتكون أبًا. الثقافة التي يجب أن نربي فيها أبناءنا ليست مناسبة للعائلات. جميع الأسر تقع تحت ضغطٍ شديد، والكثير منها في مشاكل عميقة.

من بين الأطفال الذين ولدوا في منتصف الثمانينيات، تخبرنا التقديرات أن بوصولهم سِن الثامنة عشرة يكون ٦٠٪ منهم قد عاشوا في بيت به أحد الأبوين فقط—بسبب الطلاق أو الإنفصال وليس الوفاة. طبقًا لمكتب الإحصاء، هناك أسرة بين كلّ أربعة أسر ليس بها سوى أحد الأبوين. زادت نسبة الأسر المكونة من أب وحيد/ أم وحيدة بنسبة ١٥٠٪ منذ عام ١٩٦٠ وحتى الآن[١].

نسبة النساء اللواتي إنضممن إلى القوى العاملة تخطّى حاجز الخمسين بالمائة منذ وقتٍ طويل. يخبرنا أحد التقارير الصادرة عن عصبة المدن الأمريكية أنه في حلول عام ١٩٩٠، أصبحت نسبة الأمهات العاملات في الأسر الأمريكية ٦٤٪. وتضم هذه الأسر ١٠،٤ مليون طفل دون سِن السادسة[٢].

أتت الزوجات العاملات بمصطلحاتٍ جديدة، مثل "حقوق الأمهات" و"-Latch key Kids*". تخبرنا إحدى الدراسات في مقاطعتي سان دييجو ولوس أنجلوس أن الأطفال في سِن الصف الثامن الذين يعتنون بأنفسهم لمدة ١١ ساعة أو أكثر في الأسبوع، أكثر عرضة للإدمان (الكحوليات، التبغ، الماريجوانا) من الأطفال الذين كانوا تحت أي شكل من أشكال الإشراف الأبوي[٣].

ما الذي يفعله "Latch-key Kids" عادةً عندما يعتنون بأنفسهم بعد المدرسة؟ بدون شك، تسليتهم المفضلة هي مشاهدة التلفاز. يقدّر أحد المصادر أنه حين يتخرّج الطالب من المدرسة الثانوية يكون قد أمضى ثمانية عشر ألف ساعة أمام التلفاز مقابل إثنتي عشرة ألف ساعة فقط في التعامل مع المقررات الدراسية. وفي خلال هذه الساعات الثمانية عشر ألفًا، يكون الطفل قد شارك من خلال التلفاز في ١٨ ألف عملية قتل[٤].

منذ سنواته الأولى، يكون جهاز التلفاز مثل التنفس؛ جزء لا يتجزأ من حياة الطفل. يمضي الطفل في سنواته الثلاث الأولى وقتًا أطول في مشاهدة التلفاز مما يمضيه طالب الجامعة في قاعات المحاضرات في أربعة سنوات. تقول إحدى الدراسات أن متوسط ما يقضيه طفل في الخامسة من عمره مع أبيه لا يتعدى **خمسة وعشرون دقيقة** في الأسبوع. في حين، أن هذا الطفل نفسه يقضي **خمسة وعشرون ساعة** في الأسبوع في مشاهدة التلفاز[٥].

* هم الأولاد الذين يعودون من المدرسة الى بيت فارغ لأن أهلهم في وظائفهم

إننا نفشل في جعل البشر آدميين

يمكنني الاستمرار في تلاوة هذا العدد الهائل من الإحصاءات عن الضغوط التي تتعرض لها الأسرة؛ والتي تتزايد في العقود الثلاثة الأخيرة. في عام ١٩٧٠، قام مؤتمر البيت الأبيض للأطفال بنشر اكتشافاته في وثيقة سُمّيت بـ "**تقرير إلى الرئيس**"، وبدأت تلك الوثيقة بالقول إن العائلات والأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية واقعون في مشاكل عميقة ومتأصّلة لدرجة قد تصل إلى تهديد مستقبل الدولة.

كما يقول التقرير أيضًا إننا كأمة نعاني من "إهمال قومي للأطفال" من قبل ذويهم، مما أدى إلى إعاقة عملية نمو البشر ليصبحوا آدميين. إن لم يتوقف ذلك، "... قد تكون لذلك نتيجة واحدة: نمو أكثر سرعة وأكثر عمقًا لظواهر النفور، اللامبالاة، المخدرات، الخروج عن القانون، والعنف بين الشباب، وأيضًا غير الشباب في جميع القطاعات في الدولة. إننا نواجه مجتمعا قد يصل إلى حد رفض الأطفال، والخوف من الشباب... ما نحتاجه هو تغيير نمطنا المعيشي وإعادة الناس إلى حياة الأطفال، والأطفال إلى حياة الناس."[٦]

قام مؤتمر البيت الأبيض للأطفال بنشر اكتشافاته منذ أكثر من عشرين عامًا. ولكن، هل تحسنت أحوال الأسرة؟ من خلال رؤيتي للأمور، أرى أن جميع تنبؤات هذا "**التقرير إلى الرئيس**" قد تحققت. في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين تحدثت مع د. هنري براندت، وهو عالم نفس مسيحي معروف، والذي أخبرني بعمله مع عدة مجالس لإدارة عدد من المجموعات التبشيرية للإختيار من بين عدد من المتقدمين للخدمة. قال "منذ عشر سنوات كان يقع إختيارنا على واحد من بين كلّ ثلاثة متقدمين، ولكن الآن لا يتأهل سوى واحد من أصل عشرة."

عندما سألت هنري، لماذا زادت نسبة فشل المتقدمين، قال لي إن السبب الرئيسي لرفضهم هو "عدم الإستقرار النفسي والعاطفي بسبب إفتقارهم للجذور الأسرية السليمة."

لماذا أصبحت كلمة "التواكل" جزءًا من قاموسنا

لقد ذكرني السبب الذي ذكره د. هنري لفشل الكثير من المتقدمين للخدمة للتأهل، بكلمات جديدة كثيرًا ما نسمعها الآن في الكنائس: **الأسر المختلة وظيفيًا، التواكل، التمكين السلبي، والآباء "السمّيين"**.

طبقًا لرأي د. فرانك مينيرث ود. بول مير، مؤسسا عيادة مينيرث- مير، بدأ إستخدام مصطلح "التواكل" منذ عدة عقود، وقد أصطلح في محاولات لمساعدة مدمني الكحوليات وعائلاتهم. كان هذا المدمن يتكل على الكحوليات، وتتكل أسرته على إدمانه للشراب. لم يكن أعضاء أسرة المدمن مدمنين على الكحوليات، ولكنهم كانوا مدمنين بطريقة مختلفة.

استخدمت منظمة "المدمن المجهول" برنامج الإثنا عشرة خطوة لتحقيق نجاح ملحوظ في إنقاذ مدمني الكحوليات، ولكنهم سرعان ما أدركوا أن أسرة المدمن تتفكك بعد عدة شهور فقط من نجاح هذا المدمن في الإبتعاد عن الشراب. لقد غيرت الأسرة من نظام معيشتها لمراعاة هذا الشخص المدمن، ومكنته بعدة طرق أيضًا من الإستمرار في عادته، على الرغم مما كانوا يعتقدون أنها محاولات لدفعه للتوقف. لكن في النهاية: يتكل المدمن على الشراب، وتتكل أسرته على إدمانه وعليه هو أيضًا.[٧]

يبدو أن المخدرات، والكحوليات تتسببان في التواكل، ولكن أي سلوك قهري (أي شيء أو أي سلوك يصل إلى حد الإفراط) قد يكون سببًا فيه أيضًا. طبقًا لمينيرث ومير، قد يكون التواكل أيضًا إدمانًا على أشخاص، سلوكيات، أو أشياء حيث يحاول الفرد السيطرة على مشاعره الداخلية من خلال محاولة التحكم في أشخاص، أشياء، وأحداث خارجية.[٨]

المعني الحرفي لكلمة التواكل هو أن يتكل الأفراد الواحد على الآخر. في حالاتٍ كثيرة، يكون السبب في تواكل الشخص على آخرين هو علاقته بأبويه، وطفولة تركت في نفسه فراغًا كبيرًا.

كم عدد الأشخاص المتأثرين بالتواكل؟ تشير الإحصاءات أن هناك ١٥ مليون أمريكي يتكلون على المخدرات أو الكحوليات، وأن كلّ واحد من هؤلاء الأشخاص يؤثر بشكل مباشر على حياة أربعة آخرين—شريك الحياة، الأطفال، الشركاء في

العمل. بمعنى أن هناك ٦٠ مليون فردا يعانون من آثار إدمان ١٥ مليون آخرين على المخدرات أو الكحوليات.

بخلاف المخدرات والكحوليات، هناك الملايين من الأمريكيين يعانون من التواكل الذي يسببه إدمان العمل، إدمان الغضب، إدمان العلاقات الجنسية، الإضطرابات الغذائية، إدمان الشراء، أو حتى التحفظ الشديد والإلتزام الصارم بالقانون. يقول مينيرث ومير: "عندما يعاني حوالي مائة مليون أمريكي من جيلين متزامنين من التواكل، فإننا أمام وباء هائل التأثير، حيث اليأس والحياة المدمرة أكبر من قدرتنا على الفهم."[٦]

خدمتي مع الأطفال ومع الآباء تجعلني لا أشك في صحة استنتاجات مينيرث ومير. المتواكلون موجودون بيننا، بالملايين. الكثيرون منهم تسيطر عليهم الكحوليات والمخدرات، ولكن الكثيرين منهم أيضًا تسيطر عليهم أصوات من طفولتهم—أصواتٌ تصيح بهم: "حاول اكثر! أنت لا تصلح لشيء!"

آخرون يعرفون الشعور بعدم الأهمية لأن ذويهم لم يكن لديهم الوقت الكافي لهم. والكثيرون يعرفون جيدًا الأصوات التي تقول "سوف أحبك—**إن كنت جيدًا.**"

مينيرث ومير يؤمنانِ أن تأثير التواكلية يتخطى الأجيال—بمعنى أن مشكلات جيل تنتقل إلى الجيل الذي يليه، حلقة سوف تستمر في الدوران إذا لم تُكسَر. لقد تكلم موسى عن هذه المشكلة عندما قال كيف أن خطايا الآباء تصبح ميراثًا للأبناء حتى الجيل الثالث والرابع. (أنظر: خروج ٣٤: ٧؛ تثنية ٥: ٨-١٠؛ ٦: ١-٢).

يمكننا أيضًا إعادة صياغة القصيدة الشهيرة لدوروثي نولتي التي تخبرنا كيف يتعلم الأطفال مما يعايشونه:

عندما يحيا الأطفال مع النقد،

سوف يتعلمون كيف يدينون وينتقدون الآخرين.

عندما يحيا الأطفال مع الغضب،

سوف يتعلمون كيف يغضبون، وكيف يتقاتلون.

عندما يحيا الأطفال مع السخرية،

تتقلص صورتهم الذاتيّة لتصبح خجلًا وتواضعًا كاذبًا.
عندما يحيا الأطفال مع الخزي والحرج،
يتسرب منهم إحترام النفس ليصبح شعورًا بالذنب.[١٠]

لقد نشأت في إحتياجٍ شديدٍ لأسرةٍ مُحبة

قد يكون مصطلح مثل "الأسر المختلة وظيفيًا" جديدًا إلى حدٍّ ما، ولكني أعرف تمام المعرفة الألم الناتج عن هذا الإختلال. لم يكن أبي السكّير بطلًا أبدًا. فعلت أمي كلّ ما بوسعها لتحبني، أنا وأختي وأخي، ولكن الزواج بين أبي وأمي لم يكن زواجا حقيقيا. لم يكن بينهما أي علاقة. كانا يتعايشان مع بعضهما على أفضل تقدير. لم أرَ أبي يعانق أمي أبدًا، ولم يحدث أنه عانقني أنا. لا أذكر أنه اصطحبني إلى أي مكان ليمضي معي بعض الوقت، ولو حتى لمرةٍ واحدةٍ. لقد نشأت في مزرعة للألبان مساحتها ١٥٠ فدانًا خارج بلدة صغيرة بولاية ميتشجان. كان جميع أهل البلدة يعرفون بعضهم البعض، وبالطبع، كان جميعهم يعرفون أبي، ويعرفون بأمر إدمانه للكحوليات. كان أصدقائي في فترة شبابي يطلقون عليه النكات، وكنت أضحك عليه معهم، آملًا أن تغطي ضحكاتي الألم الذي بداخلي.

كنت أخرج أحيانا إلى الحظيرة لأجد أمي مطروحة في الروث خلف الأبقار، حيث ضربها بشدة لم تقو معها على الحركة. لقد كرهت أبي لمعاملته لها بتلك القسوة، ولأنتقم منه، كنت أفعل كلّ ما بوسعي لمعاقبته وإهانته. عندما كان يفرط في الشراب ويهدد بضرب أمي، أو إن كان سكرانًا في موعد حضور أصدقائي، كنت آخذه إلى الحظيرة وأربطه في أحد مرابط الحيوانات حتى يفيق.

كلما كبرت—وصرت أكثر قوة—كلما فعلت ذلك أكثر وأكثر. كنت أحيانًا أستشيط غضبًا وأربط قدميه بحبلٍ ينتهي بأنشوطة حول رقبته. كنت حقًا أتمنى أن يختنق في أثناء محاولاته لتحرير نفسه.

أتذكر أني كنت أجده سكرانًا فيملأني الغضب وأحاول أن يستفيق بأن أدفعه بكامل ملابسه داخل حوض استحمام مليء بالماء. في صراعي معه، كنت أجد نفسي

ممسكًا برأس أبي تحت الماء. لو لم يوقفني أحدهم (حتى هذه اللحظة لست متأكدًا مَنْ أوقفني) كنت على الأرجح قد أغرقته.

لقد نشأت وأنا لا أعرف كيف أعطي الحب أو كيف أحصل عليه. عندما أنهيت دراستي الثانوية ثم ذهبت إلى الجامعة كنت عطشًا إلى تجربة المحبة الأسرية. لقد وُلدت فكرة هذا الكتاب منذ سنواتٍ عديدة، عندما رأيت المفاهيم التي يحتويها مجسدة في أسرتي شخصين أصبحا بطلين بالنسبة لي: **ديك داي**، شريكي في تأليف هذا الكتاب، ثاني أقرب أصدقائي، بعد ابني شون **ودوتي ماكدويل**، أروع زوجة قد يتمناها شخص، وأم رائعة لأطفالنا الأربعة.

أصبحت جزءًا من عائلة ديك

قابلت ديك في معهد اللاهوت في الستينيات من القرن العشرين. كان ديك أكبر من بقية المجموعة بعدة سنوات، كان متزوجًا ولديه أربعة أطفال. وكان مثلي، نتاج أسرة مختلة وظيفيًا يدمن أحد أعضائها الكحوليات. كان ديك قد أتى إلى معرفة المسيح في أواخر العشرينات من عمره، وشعر بالرب يطلبه إلى الخدمة. تقابلنا في أثناء التسجيل في المعهد وأصبحنا أصدقاءً على الفور.

سرعان ما أصبحت عضوًا في أسرة ديك، كثيرًا ما أزورهم في أوقات غريبة مثل السادسة والنصف صباحًا، أو الحادية عشرة مساءًا لأكلم ديك في أمر طارئ. كان ديك دائمًا صبورًا، ودودًا، مُحبًا—صفات لم أقابلها كثيرًا في فترة صباي.

لقد تأثرت كثيرًا بطريقة معاملة ديك وشارلوت لأطفالهما ولبعضهما. كانا يقبّلان ويقدّران أطفالهما، يشجعانهم دائمًا ويجعلانهم يشعرون بأهميتهم وبقيمتهم. وكانا يحبان أطفالهما، من خلال كلمات العطف واللمس أيضًا—والكثير من العناق. يمكنك القول أني تعلمت كيف أعانق من خلال مراقبتي لآل داي. كانا دائمًا متاحين. كان لديهما دائمًا الوقت لأطفالهما، مما أثر فيّ كثيرًا لأن أبي لم يكن لديه الوقت ليقضيه معي.

أحد الأشياء التي لاحظتها أيضًا هو أنهما كانا يشكران أطفالهما على العمل الذي كانوا يؤدونه في المنزل. إخراج القمامة، تنظيف المنزل—أيًا كان العمل— كانا دائمًا

يحرصان على إظهار التقدير لأطفالهما على عملهم في المنزل. عندما تذكرت طفولتي، تذكرت أن أبي علمني كيف أعمل. لا بدّ أن أذكر ذلك، ولكن أن يقدّر ما أفعل؟ لم أستطع تذكر الكثير، ولا أعتقد أنه كان يقدرني.

واصلت التواجد في منزل آل داي، أمتص كلّ هذا، ولم أكتفِ أبدًا لأني لم أرَ مثل هذا الحب في أسرتي أنا. في الواقع، أصبحت أسرة ديك هي أسرتي التي كنت أفتقدها.

كان أهل دوتي بطلان بالنسبة إليها

بعد ذلك عندما إنضممت وديك إلى أسرة "حياة المحبة" Life Agape، إفترقت طرقنا لبعض الوقت. إنتهى بي الأمر كمتحدث في المباني الجامعية، حيث قابلت دوتي. عندما بدأنا نتواعد أثار فضولي ذكرها الدائم لأسرتها، ومدى تعلقها بوالدها ووالدتها، وأخيها وأختها. بعد ذلك بعدة شهور، أتيحت لي الفرصة في إجازة عيد الميلاد أن أقابل عائلة دوتي، ومرة أخرى رأيت الصفات نفسها التي رأيتها من قبل في أسرة ديك وشارلوت داي.

لقد نشأت دوتي في كنف أبوين كانا مبتهجَيْن بها. كانت والدتها على الأخص خبيرة في الدخول لعالم أطفالها، ورؤية الأمور من وجهة نظرهم، والقفز ببساطة داخل عقولهم لتفهم نظرتهم للأمور.

لقد تأثرت كثيراً بإعجاب دوتي الشديد بأبيها. كان شخصًا عاديًا جدًا، ليس مبهرًا على الإطلاق، بل كان تقليديًا أكثر من اللازم، ولكنه كان بطلًا في عينيها بدون شك.

في أول عيد ميلاد أقضيه مع دوتي وأسرتها، كان من الصعب أن أحدد ما الأمر الذي أسعدني أكثر، أن أتعرف على دوتي بشكلٍ أفضل، أو أن أتعرف على أبيها بشكلٍ أفضل. منذ البداية، بدأت أتعلم منه الكثير عن كيف أكون زوجًا وأبًا محبًا. الحب والقبول غير المشروطين كانا دومًا هناك. كان دائمًا يشجع أبناءه ويظهر لهم إهتمامه بهم.

وبالضبط كما كان ديك وشارلوت يفعلان، كان كلّ من دوتي وأبواها وأخيها وأختها يمضون الوقت مع بعضهم البعض. كانوا منشغلين ويحاول كلّ واحد منهم الوفاء بمتطلبات جدوله المزدحم. كانوا يحبون قضاء الوقت معًا، لم يكونوا مضطرين

لإقتطاع الوقت لبعضهم البعض—ولكنهم قاموا **بتخصيص** ذلك الوقت لأنهم يريدون ذلك.

ما السر في كلمة "بطل"؟

منذ عدة سنوات قام مقدم في أحد المحطات الإذاعية بإجراء استفتاء بين مئتين من المراهقين والمراهقات في أحد المراكز التجارية. على رأس قائمة الأبطال، كان المغني برينس بالنسبة إليهم أفضل الأبطال، يتبعه مادونا ومايكل جاكسون. لم يذكر أحدهم أي من أبويه. هل معنى ذلك أن الأب والأم خارج السباق؟ كلا. ولكن ذلك يعني أن حوالي مئتين من المراهقين والمراهقات يفهمون كلمة "بطل" بمعني المغني المفضل. ولكن الأبطال الحقيقيون ليسوا صورًا براقة على شاشات السينما والتلفاز، ولا يظهرون مجرد ليلة واحدة في حفلة موسيقية أو حدث رياضي. الأبطال الحقيقيون يبقون لوقتٍ طويل، ويمكنك أن ترى نقاط ضعفهم وقوتهم.

من وجهة نظري، جاءت عائلتي ديك ودوتي أقرب إلى تعريف البطل الحقيقي ودوره من جميع الأفكار الخاطئة التي قد تجدها اليوم. لقد رأيت في هاتين العائلتين المعني الحقيقي للبطل. ليست البطولة البلاستيكية اللامعة التي يمجدها الإعلام، ولكن مثل أعلى قوي يوضح المعني الحقيقي لتكون زوجًا وأبًا، ولتكوني زوجةً وأمًا.

كيف نُعرّف كلمة "بطل"؟ إذا بحثت في القواميس قد يخبرك إحداها أن البطل هو "شخص معروف بأعمال جريئة لها هدف نبيل؛ البطل يخاطر أو يضحي بحياته." وهناك تعريف آخر يقول "شخصٌ بارز في حدث، مجال، أو قضية ما بسبب إسهاماته وإنجازاته الخاصة."

التعريف الثاني يرتبط بجنون المشاهير الذي نجده في عصرنا هذا، ويوضح لماذا يخشى معظم الآباء ألا يصبحوا أبدًا أبطالًا في أعين أطفالهم—لا يملكون "الكاريزما" الكافية. قد تكون القواميس نقطة بداية جيدة، ولكن بالنسبة إلي لا توضح الماهية الحقيقية للبطل.

حتى يكون أحدهم بطلي يجب أن **أريد أن أصبح مثله/مثلها**. البطل لا يكون بطلًا حقيقيًا إذا لم تكن تريد أن تصبح مثله، تتصرف مثله، وتحيا مثله.

هناك شيء مشترك بين الأبطال

الأبطال الحقيقيون يشتركون في بعض الصفات. إنهم يعرفون ما يؤمنون به ويمارسونه دون النظر إلى العواقب. إنهم على استعداد للتضحية بوقتهم حتى تخرج قيمهم للنور. الأبطال لا يهتمون بالكلام فقط، ولكن أفعالهم تُظهر من وما هم.

الأبطال ليسوا أكبر من أن ينحنوا لمساعدة الآخرين. لا يفكرون أبدًا أنهم حكماء بحيث أنهم لا يحتاجون لتعلم أي شيء. الأبطال لا يخلطون بين القوة واللطف—ويمكنهم إظهار القوة أو اللطف إذا إستدعى الأمر. الأبطال يشاركون الآخرين بعطاياهم، ويتصرفون حسب القواعد دائمًا. والأبطال لا يعتادون على النجاح لدرجة أنهم نسوا تمامًا معنى الفشل.[١١]

للأسف، يفتقد الكثير من أبطال وبطلات اليوم التفهم، الأخلاق، القيم الأسرية، والعديد من الصفات الأخرى الموصوفة أعلاه. قد يكونون جيدين فيما يفعلونه. قد تكون لهم شعبية كبيرة- مؤقتًا، قد يكونون أثرياء، ولكن حياتهم في الحقيقة لا تستحق التقليد.

تعريف جديد لكلمة "بطل"

من خلال هذا الكتاب نريد للآباء أن يعرفوا أن معنى أن يكونوا أبطالًا لأطفالهم هو مشاركة الحقيقة دون تزييف، دون تظاهر، دون غش. إننا نريد إعادة تعريف كلمة "بطل" لتصبح كالتالي:

بطل (اسم): أي أب أو أم يظهران التعاطف، قوة الشخصيّة، الثبات، والأمانة لتجتمع هذه الصفات وتجعل منهم مثلًا أعلى إيجابيًا.

لقد قصَّ يسوع أحد الأمثلة التي تقول الكثير عن المثل الأعلى—الإيجابي أو السلبي. قال:"هل يقدر أعمى أن يقود أعمى؟ أما يسقط الاثنان في حفرةٍ؟ ليس التلميذ أفضل من معلمه بل كلّ من صار كاملًا يكون مثل معلمه." (لوقا ٦: ٣٩-٤٠)

يتّضح لنا من خلال كلمات يسوع الدافع الحقيقي وراء سعينا لنكون أبطالًا عند أطفالنا. ليس الدافع رغبتك في الشعور بالأهمية، أو الإحترام، أو الحب. وليس أنك تريد الشعور الجميل والإعجاب الذي يأتي مع كونك أبًا/ أمًا فوق العادة. قد تكون كلّ هذه الأشياء من المنافع الجانبية للبطولة، ولكنها ليست السبب الحقيقي.

أنت تريد أن تصبح بطلًا لأبنائك حتى تُعِدّهم ليعيشوا حياة كاملة وممتلئة في عالمٍ عنيف، مليء بالآلام والإحتياج.

هل تريد أن يتمكّن أبناؤك من رفض المخدرات، الجنس قبل الزواج، والضغوطات الأخرى التي يفرضها عليهم الإعلام وأقرانهم على حدٍ سواء؟ إذًا فلتبدأ معهم وهم صغار (أو إبدأ الآن أيًا كان عمرهم) واعمل على أن تكون بطلهم. كلما أصبحت بطلًا في أعينهم، استمعوا إليك وعاشوا وفق مبادئك.

كيف سيصبح أبناؤك عندما يكبرون؟

فكر في الأمر لدقيقة. سبب آخر لتكون بطلًا في نظر أبنائك هو **أنهم سوف يكبرون ليصبحوا مثلك**. راجع الأمر، هناك رابطة خاصة بين الآباء والأبناء. يمكننا إعادة صياغة لوقا ٦: ٤٠ فنقول: "الأبناء ليسوا فوق آبائهم، ولكن جميع الأبناء، بعد تنشئتهم، سوف يصبحون مثل آبائهم."

ما الذي تود أن تراه في أبنائك؟ كلّ ما يرونه بك، سوف تراه أنت بهم، بما في ذلك فكرتهم عن الله. في كتابهم الرائع **"العوامل الأبوية"**، يقول الكتّاب الثلاث روبرت مكجي، جيم كرادوك، وبات سبرنجل:

> **ترجع رؤيتك للرب، رؤيتك لنفسك، وقدرتك على التواصل مع الآخرين إلى علاقتك بأبويك. إذا كان أبواك محبين ومساندين، فأنت على الأرجح تؤمن أن الله محب وقوي. وأنت على الأرجح إنسان واثق من نفسه، يشعر بالأمان، ويمكنك تكوين علاقات مع الآخرين بسهولة. ولكن إذا كان أبواك قاسيين وكثيري المطالب، فقد تؤمن أن الله هكذا أيضًا، وقد تعتقد أنك لا يمكن أن ترضيه... أيما كانا: محبان أم متحفظان،**

لطيفان أم قاسيان، مساندان أم مهملان، لقد لعبا دورًا كبيرًا في تكوين فكرتك عن الله، رؤيتك لنفسك، وعلاقاتك مع الآخرين. قد تكون النتيجة رائعة أو مأساوية."[١٢]

إننا متفقون! علاقة أطفالكما معكما أنتما الإثنين؛ ذويهم، تحدد نوعية حياتهم كبالغين. إذا كنت بطلًا لهم، سيكون الله كالبطل الخارق بالنسبة لهم. سيخدمونه بسبب حبهم له، لا خوفهم منه—الشكر له، لا الشعور بالذنب.

إذا كان أطفالك صغارًا، تذكّر أنك "الله" بالنسبة لهم. كلّ ما تقوله لهم، سوف يصدقونه. إذا قلت لهم إن القمر مصنوع من الجبن، سوف يصدقونك. إذا أخبرتهم من خلال كلماتك وأفعالك أنهم مميزون، وأنهم محبوبون لشخصهم، ليس من أجل شكلهم أو من أجل تصرفاتهم، فعندما يكبرون سوق يقاومون الدخول في سباق الحياة الآلي، وسوف يكتشفون أن النجاح الشخصي، المنزلة، الجمال، والثروة ليست أسبابا للسعادة الدائمة.

تذكر أن العالم سرعان ما سيدخل إلى براءتهم بأكثر أكاذيب إبليس شرًا— تكمن قيمتك في مكانك على سُلّم النجاح طبقًا **فقط** لمقاييس المجتمع. ولكن إذا كانت رسالتك واضحة بدرجة كافية، عندما يسمعون هذه الأكذوبة سوف يتدفّق من داخلهم نبع من ذكريات الحب والقبول ليمكنهم من رفض خداع إبليس وقبول كفاية المسيح. ولآباء الأبناء الأكبر سنًا، تذكر، لم يتأخر الوقت لكي تفعل الشيء الصحيح.

في هذا الكتاب، البطل الحقيقي هو أي أم أو أب يعيش كلّ يوم طبقًا للمبادئ التي كان يسوع يعلمها. يبدو الأمر بسيطًا، أليس كذلك؟ ولكن أي أب يعرف أن الأمر ليس بسيطًا على الإطلاق. بدلًا من أن نكون نحن المسيطرون (طريقة "الأم والأب يعرفا أكثر") كثيرًا ما يتحول يومنا إلى هرج ومرج ويكون لنا مجرد رد الفعل، نبدو دائمًا على جانب الدفاع، ولا نعرف متى سنتمكن من اللحاق بالركب.

المبادئ الستة لتصبح بطلا

أنا أعرف هذا الشعور ويعرفه ديك أيضًا، ولكننا نود المساعدة—خطة نسميها "المبادئ الستة للتربية الإيجابية." هذه المبادئ المفتاحية تتضمن: **القبول، التقدير، الحنان، أن تكون متاحًا، المسؤولية، والسلطة.**

سوف يغطي الفصل الثاني من الكتاب هذه الخطة بشكل عام، ثم يتحدث بقية الكتاب عن كلّ هذه المبادئ بشكل مفصل، ليعطيك أفكارًا كتابية وتعليمية، وأيضًا العديد من الإقتراحات العملية عن ممارسة كلّ مبدأ مع أسرتك.

سوف توفر لك هذه المبادئ الستة خطة مفصلة لتصبح بطلًا لأبنائك. نعم، يظل الأطفال مبهورون بنجوم الموسيقى والسينما والمشاهير الآخرين. ولكن من رحلاتي التي تمتد حتى ١٥٠ ألف ميل في العام الواحد، لمخاطبة طلبة الجامعة والمدارس الثانوية، وجدت أن ما يبحثون عنه بالفعل هو القيادة، الشخصيّة، الثبات، وأهم شيء؛ الحب.

ولن يستطيعوا الحصول على ذلك سوى من الأب والأم، ليس من مادونا أو من "New Kids on the Block". يميز الأطفال بين الإهتمام الحقيقي والإهتمام الزائف. ويشعرون بمدى إهتمام من حولهم بهم.

يشعر الأطفال بصدق الحب، القبول، والتقدير من الآخرين. ويعرفون الفرق بين الشعور بالقيمة الشخصيّة أو بعدم الإستحقاق، بأهميتهم للآخرين أو عدمها. يستطيعون التمييز بين الإهتمام النابع من القلب، أو من الشعور بالواجب أو للتسلية.

ولكنهم لا يستطيعون التمييز بين "الوقت الخاص" و"الوقت." الأمر بالنسبة لهم سواء، وعندما لا يكون آباؤهم متاحون بالنسبة لهم فإنهم لا ينخدعون.

لا تحاول أن تخدع طفلًا!

لست متأكدًا من أين أتيت بالشعار الذي هو عنوان هذا الفصل، ولكنه أصبح أحد المبادئ الهامة بالنسبة لي مع أسرتي، وأشاركه مع الآخرين أينما ذهبت:

يمكنك أن تخدع مخادعًا،
يمكنك أن تتحامق على الأحمق،
ولكن لا يمكنك أن تغش طفلا

سوف ترى هذه السطور مرة أخرى قبل نهاية الكتاب. إذا لم تنتفع بشيء آخر من هذا الكتاب، أصلي أن تعرف أن أطفالك لن يقعوا ضحية للخداع، لتقليل الشأن، أو للتجاهل. الكلمات لا تكفي. إنهم يريدون الفِعل.

ليس على الآباء أن يكونوا أشخاصًا كاملين حتى يصبحوا أبطالًا لأبنائهم. ولكنهم في حاجة للتواضع، الإلتزام، والإستعداد للتعلم. عندما ينشأ الأطفال مع **القبول، التقدير، الحنان، أبوين متاحين، المسؤولية، والسلطة المحبة**، قد تحدث أشياء رائعة.

عندما يحيا الأطفال مع التسامح والمعاملة العادلة، يتعلمون كيف يتعاملون بصبرٍ وعدلٍ مع الآخرين.
عندما يحيا الأطفال مع التشجيع، يتعلمون الثقة والشعور بالأمان.
عندما يحيا الأطفال مع المديح والإطراء، يتعلمون التقدير.
عندما يحيا الأطفال مع العدل، يتعلمون معنى العدالة.
عندما يحيا الأطفال مع الشعور بالأمان، يتعلمون أن يؤمنوا.
عندما يحيا الأطفال مع الإستحسان، يتعلمون أن يحبوا أنفسهم.
عندما يحيا الأطفال مع القبول غير المشروط، يتعلمون أن يجدوا الحب في الله والآخرين.

تتيح لك "خطة التربية الإيجابية" جميع هذه المزايا، بل وأكثر منها. هذه الخطة ليست وصفة سحرية. إنها لا تضمن النجاح ولكنها تمدك ببوصلة لتقودك في البحار العاصفة أو الهادئة. والآن، هيا ننظر هذ الخطة عن قرب.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. هل فكرت من قبل كيف ولماذا من المفترض أن يتضمن دورك كأب (أم) دور البطل أيضًا؟ لماذا نعم، أو لماذا لا؟

٢. في هذا الفصل يعيد جوش تعريف كلمة "بطل"، ويركز على مصطلح "مثل أعلى." ما يراه فيك أطفالك الآن سوف تراه أنت فيهم في المستقبل. كيف يؤثر هذا على رأيك في مسؤولياتك كأب؟ ما الذي يتعلمه أطفالك من مشاهدة ممارستك لقيمك (ما تقول أنك مؤمن به)؟

٣. صفحة ١٥ تحتوي على اقتباس من كتاب آخر عن كيف أن رؤية الطفل لله، لنفسه، وللآخرين تعتمد على علاقته مع والديه. أعد قراءة هذا الإقتباس واستخدمه كأساس لصلاتك في أثناء قراءتك لهذا الكتاب.

٤. "الأطفال ليسوا فوق ذويهم، ولكن كلّ الأطفال، بعد مرحلة التنشئة، سوف يصبحون مثل ذويهم." فكر للحظة كيف أن أطفالك سوف يصبحون مثلك. تعرّف على خاصتين أو ثلاثة في شخصيتك تود أن تكون في شخصية أطفالك، وفكر في طرق تعكس من خلالها هذه الخصائص هذا الأسبوع.

١

لا تنتظر الفرصة، خطّط لها

كثيرًا ما يقال إن الزواج وإنجاب الأطفال نوعان من المسؤولية يُقبل عليها الناس من دون أي تدريب يُذكر. في الواقع، معظم التدريب الذي يتلقونه يأتي من خلال الخبرة الشخصيّة؛ الكثير من المحاولة والخطأ. من السخرية أننا نترك أهم العلاقات في حياتنا في يد الصدفة، على أمل أن الحب يصنع المعجزات، ونقول دائمًا: "سوف يعرف أطفالنا أننا نحبهم،" و"كل ما نفعله، فإننا نفعله من أجلهم."

إننا في الحقيقة نتعرض لتدريب مكثف في الزواج وتكوين الأسرة من معلمينا الأصليين، الأم والأب. المشكلة هي أنهما كَمَثَل أعلى قد لا يتوافقا دائمًا مع مبادئ الرب.

إذا اتخذت ما سمعته من المراهقين من مختلف أنحاء الولايات المتحدة كمؤشر، فإن أسلوب "التربية العفوية" هذا ليس رائعًا. بالرغم من ازدياد عدد الكتب والشرائط والأفلام والوسائط التعليمية الأخرى عن هذا الموضوع، تظلّ التربية لغزًا تفشل عائلات كثيرة في حلّه.

لا ندّعي، أنا وديك داي، أننا نعرف جميع الإجابات لمشاكل التواكل، والأسر المختلة وظيفيًا. الخطة التي سوف نصفها لكم في هذا الفصل ليست وصفة سحرية للنجاح الدائم. ولكننا نؤمن أننا قد توصلنا لبعض المبادئ الأساسية للتربية التي قد تساعد العائلات المختلة وظيفيًا على كسر الحلقة السلبية، وتساعد العائلات التي لا تعاني من هذه المشكلة على تطوير علاقاتهم بشكل أكثر إيجابية وروحانية.

هدفنا هو أن نستبدل التربية المُسِمّة بالتربية الراعية، وسوف تزداد احتمالات نجاحك بشكل كبير إذا استخدمت "مبادئ التربية الإيجابية الستة". أحد الطرق للنظر إلى هذه المبادئ هي استخدامها كوصفة للطهي:

تبدأ **بالقبول**

ثم تضيف بعض **التقدير**

تبلّ المزيج بكميات كبيرة من **الحنان والوقت**.

ثم ضِف **المسؤولية**، وأخيرًا **السلطة المُحِبّة**.

كلّ ما ستجده في هذا الكتاب سيكون مبنيًا على هذه المبادئ الستة. إذا قمت بتطبيق أيّ من هذه المبادئ الستة في أسرتك فستبني بدون شك علاقة أفضل مع أبنائك. إذا قمت بتطبيق جميعها معًا قد تصبح بطلًا حقيقيًا في نظر أبنائك!

ولكن، إنتبه، **يجب أن تستخدم هذه المبادئ بترتيبها الصحيح**. يظن بعض الآباء المسيحيين بكل حسن نية أنهم لا بدّ أن يبدأوا بتأكيد سلطتهم أولًا. إنهم يريدون التأكد أن أبناءهم سيكونون عرضة للمحاسبة، وأنهم سوف يكونون "مسؤولين". يعتقد الآباء المشغولين بمحاولة تأكيد سلطتهم أن أشياء مثل القبول، التقدير، الحنان والوقت تحدث تلقائيًا. كما ستقرأون في الفصل الثالث؛ هذا الإفتراض ليس حكيمًا. علاوة على ذلك، العمل على تأكيد سلطتك قبل أي شيء آخر هو العكس الصريح لكونك بطلًا لأبنائك.

لماذا لا بدّ أن يأتي القبول أوّلا

حتى تستخدم خطة المبادئ الستة بشكل صحيح لا بدّ أن تبدأ بالقبول، لأنه أساس أي علاقة جيدة مع أبنائك. الهدف الذي يجب أن تسعى إليه هو القبول غير المشروط—أن تنقل حبك إليهم بطريقة يتأكدون من خلالها أنهم مهما قالوا أو فعلوا، أو مهما فشلوا أو أفسدوا الأمور فإن أبيهم وأمهم يحبانهم مهما حدث.

يشعر الأبناء بالأمان إذا شعروا بقبول حقيقي من والديهم. حيث يشعرون أنهم موضع تقدير، وأن قيمتهم لا ترتبط بحسن أدائهم ولكن بهم كأشخاص، بمعنى **أنهم محبوبون لأنفسهم ولكينونتهم فقط**. يتّفق معي معظم الآباء أن هذا هو المثل

الأعلى الذي يسعون من أجله، وقد يشعر الكثيرون أنهم قد حققوا ذلك بالفعل، ولكنهم في الحقيقة يقبلون أبناءهم قبولًا مبنيًا على حسن أدائهم (قبول مشروط).

بمعنى آخر، والدا جوني وجينيفر يقبلانهما طالما أنهما "جيدين" (يؤديان بشكل جيد). ولكن إذا أخطأ الصغار، فشلوا أو تصرفوا بشكل مزعج أو غير عقلاني، يختفي هذا القبول، على الأقل بشكل مؤقت. يسحب الآباء قبولهم لأبنائهم بشكل قد يكون غير ملحوظ، حتى بدون أن يدركوا، ولكن يشعر الأبناء بذلك على الفور.

علمتني تجربتي مع أطفالي الأربعة أن القبول غير المشروط وظيفة لا تنتهي. أنت لا "تتعهد أن تقبل أطفالك" ثم تفترض أن هذا القبول يعبر عن نفسه لمجرد أنك كنت تنوي ذلك. إني أستغل كلّ فرصة ليعرف أطفالي أني أقبلهم، سواء فازوا أو خسروا في تحديات ومعارك الحياة اليومية. إنهم مثلي، بشر، وستأتي عليهم أيام جيدة وأيام أخرى ليست على نفس المنوال. ولكن قبولي لهم يظل ثابتًا.

قبول كايتي، لاعبة كرة القدم

نبحث أنا وزوجتي دوتي عن طرق لنعبّر بها لأطفالنا عن قبولنا غير المشروط. كنت أشكّ أحيانًا أنهم يفهمون ذلك، ومن ثَمّ، كنا نفاجأ بهم يلاحظون بعض الأشياء التي تؤكّد لنا أنهم يستوعبون كلّ شيء. إنهم يسمعون ويشاهدون كلّ شيء أكثر مما نتخيل.

على سبيل المثال، عندما كانت إبنتي كايتي في السادسة من عمرها، أصبحت نجمة في فريق كرة القدم لمجموعتها العمرية. مرّة، أتت تجري إليّ بعد فترة الإحماء في أحد أهم المباريات لفريقها في ذلك الموسم، وقالت لي: "أبي، هل تعطيني دولارًا إذا سجلت هدفًا؟"

"بالتأكيد" أجبت بابتسامة.

"رائع!" قالت كايتي. بالنسبة لطفلة في عمر السادسة، دولارًا واحدًا لكل هدف يساوي في الأهمية عقد لمدة عدة سنوات في دوري كرة السلة الأمريكي.

"انتظري هنا،" أمسكت بها قبل أن تجري لزملائها في الفريق. "سوف أعطيكِ الدولار حتى لو لم تحرزي هدفا واحدا."

"ستفعل حقًا؟"

"نعم سأفعل."

"رائع!" قالت كايتي مرة أخرى وهي تهمّ بالجري لتبدأ المباراة.

ولكني أمسكت بها مرة أخرى وقلت لها، "إنتظري هنا، هل تعرفي لماذا؟"

توقفت إبنتي ذات الستة أعوام واستدارت ناحيتي. كنت أحاول لمدة ثلاث سنوات على الأقل أن أجعلها تفهم ماهية القبول غير المشروط، ولم يبدُ لي أنها قد فهمت مني الكثير. ولكن في تلك اللحظة، إستدارت ونظرت لي، وقالت "نعم... ليس مهمًا إذا كنت ألعب كرة القدم أم لا. أنت تحبني في جميع الأحوال."

لقد أسعدني كثيرًا ما قالته. لا أتذكر حتى إذا كانت قد أحرزت أية أهداف في تلك المباراة. لم أهتم ذلك. ولكني كنت أهتم فقط بأنها تعلم أني أحبها في جميع الأحوال، وهذا هو أهم شيء.

التقدير يعني: "أنت ذو معنى"

إذا كان القبول هو الأساس لأي علاقة ناجحة مع طفلك، فإن **التقدير** هو حجر الزاوية لها. قبولك لطفلك يبني إحساسه بالقيمة الذاتيّة وبالأمان. يضيف التقدير **الشعور بالأهمية**، "أنا مهم! أبي وأمي يحبان وجودي معهما—إنهما فخوران بي!"

لتحقّق ذلك، يجب أن تصبح ما أطلقت عليه الكاتبة مايمي ماكوللو "مكتشف الحسنات." بدلًا من أن يكون إتجاهك التربوي هو التصحيح والتأديب والتأكد أن أطفالك يتصرفون بشكل صحيح، ضع تركيزك على الإتجاه الآخر. إبحث عن متى وأين يمكنك أن تمدح، تطري أو تشجع أبناءك.

ولكن لا يعني ذلك أن تتخلى عن التأديب أو التصحيح إذا احتاج الأمر. ولكنك تمهّد للتأديب بأن تجعلهم يرون أنك ترى وتستحسن أعمالهم الحسنة. فيمكنك بعد

ذلك أن تصحح الأخطاء أو سوء التصرف في مناخ إيجابي، بدلًا من أن تشعر دومًا أنك، "كل ما أراه هو أخطاؤهم فقط—كأني أطاردهم."

سنتكلم أنا وديك بشكل أكبر عن التقدير في الفصلين السابع والثامن. حتى ذلك الحين، ضع التقدير مع القبول كحجري الأساس في عنصر **الحب** من المعادلة الأبوية. سوف نتحدث عن **الحدود**—المسؤولية والسلطة—لاحقًا. ولكن أولًا يجب أن نتحدث بشكل مختصر عن طريقتين أساسيتين لتظهر لأطفالك أنك تقبلهم وتقدرهم.

الحنان يعني: "أنت جدير بالحب"

قد يبدو أنه من غير الضروري أن نذكر بأن على الآباء أن يكونوا محبين مع أبنائهم. لكن للأسف، ينشأ الكثيرون من دون هذا الحنان، وتظهر عواقب ذلك بعد سنوات. كثيرون من المراهقين يمارسون الجنس قبل الزواج لأنهم يبحثون عن الحنان الذي افتقدوه في صغرهم.

طالما آمنت أنه من المستحيل أن تعطي أطفالك أكثر من اللازم من الحنان. يجب أن يسمعوا ويشعروا بالحنان منك كل يوم. حسيًا، يجب أن تلمسهم؛ الكثير من العناق، القبلات، الربت على الأكتاف، وتدليك الظهر. لفظيًا، يجب أن تقول لهم إنك تحبهم. لن يكتفوا من سماع هذه الكلمات. إني أحاول دائمًا أن أقول لكل واحد من أبنائي "أنا أحبك" بطريقة أو بأخرى، على الأقل ٤ أو ٥ مرات في اليوم[١]، سواء وجهًا لوجه أو من خلال التليفون.

عندما يكبر الأطفال وينتقلون إلى الصفوف الأعلى في المدرسة، قد يبدو أنهم لا يريدون أو لا يحتاجون إلى العاطفة الأبوية. ولكن من خلال خبرتي، أستطيع أن أقول إنهم يحتاجون للحنان والعاطفة أكثر من أي وقتٍ مضى. قد يكون من الصعب اكتشاف الوقت والمكان والطريقة المناسبة للتعبير عن الحب، ولكن لا تصدّق أبدًا أنهم لا يريدونه.

للأسف، يميل الآباء إلى تقليل إظهار الحنان لأبنائهم كلما كبروا في العمر. أظهرت إحدى الدراسات أن الآباء والأمهات يقللون من إظهار الحنان، اللفظي أو الحسي، كلما كبر أبناءهم. يحرص ٤٥٪ من الأمهات لأطفال في سن الصف الخامس على قول

"أنا أحبك" لأطفالهم مرة يوميًا، ولكن عندما يصل الأطفال أنفسهم إلى سِن الصف التاسع تنخفض النسبة إلى ٣٦٪. أما بالنسبة للآباء، فكانت النسبة ٤٤٪ لآباء الأطفال في الصف الخامس، وانخفضت أيضًا إلى ٣٦٪ عند وصول أبنائهم لسن الصف التاسع.

أما بالنسبة للعاطفة الحسية—العناق، القبلات، التربيت... وما إلى ذلك—فقد كانت النسبة ٦٨٪ بالنسبة لأمهات الأطفال في سِن الصف الخامس، في مقابل ٤٤٪ عندما وصل هؤلاء الأطفال لسن الصف التاسع. وأظهر ٥٠٪ من الآباء حبّهم لأطفال الصف الخامس بشكل حسي في مقابل ٣٦٪ فقط عند وصول الأطفال لسن الصف التاسع.[٢]

لا يمكن بالطبع أن نأخذ بنتائج أحد أيّ من هذه الإحصاءات بشكل مطلق، ولكن هذه الإحصاءات تظهر لنا أنه كلّما كبر الطفل قلّل أباه وأمه من إظهار الحب له، سواء حسيًا أو لفظيًا. فكيف يكون الأمر إذا عندما يصل الطفل لسن الخامسة عشرة او السادسة عشرة أو السابعة عشرة؟ يمكننا أن نخمن أن تلك النسب سوف تقلّ جدا!

من السخرية أنه عندما يصل الطفل لسن المراهقة الذي يصارع فيه لتحديد هويته، محاولاً بناء صورته الشخصيّة وتقديره الذاتيّ، فإنه يحصل على أقلّ قدر من العاطفة الأبوية.

لا يكفي أن تقول "إنهم يعرفون أني أحبهم. أنا لا أحتاج أن أخبرهم أو أن أظهر حبي لهم طوال الوقت." ولكنك تحتاج بالفعل أن تخبرهم وتظهر لهم طوال الوقت. إظهار العاطفة لأطفالك هو ما يؤكّد أنهم يستحقون الحب، مما يعطيهم الثقة لبناء علاقات سليمة مع آخرين خارج نطاق الأسرة. لقد تحدّثت لأعداد كبيرة من الشباب والشابات في سِن المراهقة— على الأخص الفتيات— الذين تورطوا في علاقات جنسية بسبب بحثهم عن الشعور بالحب.

إعطاؤهم الوقت يعني: "أنت مهم"

قد يكون الوقت هو أهم المبادئ الستة للتربية الإيجابية. لماذا؟ لأنه بالطبع إذا لم تكن موجودًا كيف ستعطي أبناءك القبول، التقدير، والحنان؟ كيف ستعلمهم الشعور بالمسؤولية وكيف ستمارس سلطتك؟

في أيامنا هذه يحاول الآباء تبرير إنشغالهم عن أبنائهم بأنهم يقضون معهم بعض "الوقت الخاص". ما يجب علينا أن ندركه أنه، ربما يكون الوقت الخاص جيدًا لكنه ليس ببديل عن الوقت الطويل. بالطبع سوف يكون هناك لحظات خاصة متداخلة في الوقت الطويل الذي تقضيه مع أطفالك. لا يمكنك أن تجلس مع طفلك وتقول "أهلًا يا بني، سوف أقضي معك خمس دقائق من الوقت الخاص قبل أن أسرع إلى اجتماع عمل هام."

أنا بطبيعتي شخص مهدّف، ولا أهدأ حتى أنشغل بأربعة أو خمسة مشاريع في نفس الوقت، فكان عليّ أن أتعلم أن أضع أبنائي أولًا دائمًا. في الفصول القادمة سوف أشارككم ببعض الأفكار عن أنشطة يمكنكم أن تقوموا بها مع أطفالكم. بعضها بسيط، وبعضها قد يبدو غريبًا، ولكنني قد فعلتها جميعًا، وأنوي أن أستمرّ بها. لأني أريد لأبنائي أن يتأكّدوا أنه لدي دائمًا الوقت لأجلهم—أنه ليس هناك أي شيء، ولا نشاط أو شخص أكثر أهمية عندي منهم ومن والدتهم. ويجب أن يعلموا أن حبي الأول، يسوع المسيح، هو أساس حبي لهم ووضعهم كأولوية في حياتي.

الحدود توازن الحب

القبول، التقدير، الحنان، والوقت، كلها أجزاء من عنصر **الحب** في معادلة الأبوة. على الجانب الآخر هناك عنصران لموازنة المعادلة، المسؤولية، والسلطة المُحبة؛ **الحدود** أو القواعد التي تعيش عليها الأسرة. ولكن، مع المحافظة على مبدأ أن **الحب يأتي أولا**. الحب هو ما يجعل القواعد مستساغة وذات فائدة.

كما رأينا قبلًا، القبول يعطي الطفل الشعور بالأمان. التقدير يعطي الطفل الشعور بالأهمية. الإحساس بالمسؤولية يعطي الطفل الشعور بالتحكم في النفس. عندما نحاسب أطفالنا على أفعالهم، نعلّمهم معنى المسؤولية.

تمثيل وتعليم معنى المسؤولية لأفراد الأسرة يوفر لك وسيلة ممتازة لتكون بطلًا—مثلا أعلى جيد—لأبنائك. البطل لا يجعل أبناءه مسؤولين عن أفعالهم فقط؛ ولكنه مستعدٌ أيضًا أن يكون مسؤولًا أمام أبنائه.

أنا وديك جعلنا أنفسنا مسؤولَين أمام أبنائنا بأن طلبنا منهم مساعدتنا لنكون أفضل ما يمكننا كآباء، بأن يخبرونا كيف يمكننا أن نؤدّي بشكل أفضل. يحقّ لأبنائنا أن يخبرونا، باحترام، عندما نقول أو نفعل شيء قد يتعارض مع ما نقول أننا نؤمن به أو ما نحاول زرعه في أسرتنا.

عندما تجعل نفسك مسؤولًا أمام أولادك، توقّع منهم أن يحاسبوك. في إحدى المرات، كنا ذاهبين إلى أحد مطاعم الوجبات السريعة لتناول طعام العشاء، وكان الجميع باستثناء كيلي، إبنتنا الكبرى، يريدون الذهاب إلى المطعم نفسه. بعدما أدركت كيلي أن الأغلبية قد حسمت الموقف، أصدرت بعض التعليقات عن ذلك المطعم مطعّمة بكلمات مثل "قمامة"، و"مستنقع الدهن."

اعترضت على استخدامها لمثل هذه الكلمات وعلى سلوكها غير المقبول، ثم اتفقنا على حلّ وسط، وهو توصيل كلّ من يريد الذهاب إلى المطعم الأول ثم سنأخذ أنا ودوتي، كيلي إلى المطعم الذي تريد.

ذهبنا إلى المطعم الذي اختاره شون، كايتي، وهيذر، وأوقفت السيارة وقلت للجميع مازحًا وفي الوقت نفسه كنت متفقًا مع كيلي، "اذهبوا إلى مطعم القاذورات."

أبنائي الأصغر لم يسمعوني—كانوا سعداء بالذهاب ومنشغلين بالتفكير في البطاطس المحمرة وشطائر الهامبرجر التي سيتناولونها. وعندما هممنا بالخروج من السيارة لنذهب للمطعم الذي اختارته كيلي، قالت "أبي، لقد فعلت أنت ما قلت لي إنه خطأ—ما الفرق بين تسمية مكانٍ ما بمطعم القاذورات أو بصندوق القمامة؟"

لقد أمسكتني كيلي متلبسًا، وأنا أدركت ذلك. كنا متجهين لتناول طعام العشاء، ولكني كنت سأتناول كلماتي أنا كمقبلات. شكرت كيلي للإشارة على التناقض في تصرفي وفي دوري كمثل أعلى. لقد تعلمت من التجربة، ولكن من ناحية أخرى كانت أفضل طريقة أشرح من خلالها معنى المسؤولية والتحكم في النفس—وعلى الأخص التحكم في اللسان.

أحد الأشياء التي نؤكد عليها أنا وديك في ندواتنا عن التربية هي أن المسؤولية تعلم الأطفال الطاعة، التي بدورها تساعد الطفل على بناء ضبط النفس. بدون

الإحساس بالمسؤولية لن يتمكن الطفل من بناء ضبط النفس الكافي ليتعامل مع أي سلطة.

هناك نوعان من السلطة

تشير كلمة "سلطة" إلى القيادة—وهذا هو دور الآباء، إنهم القادة في منازلهم. يستطيع الآباء استخدام سلطتهم بعدة طرق، منها الطريقة **الاستبدادية** والطريقة **العلاقاتية**.

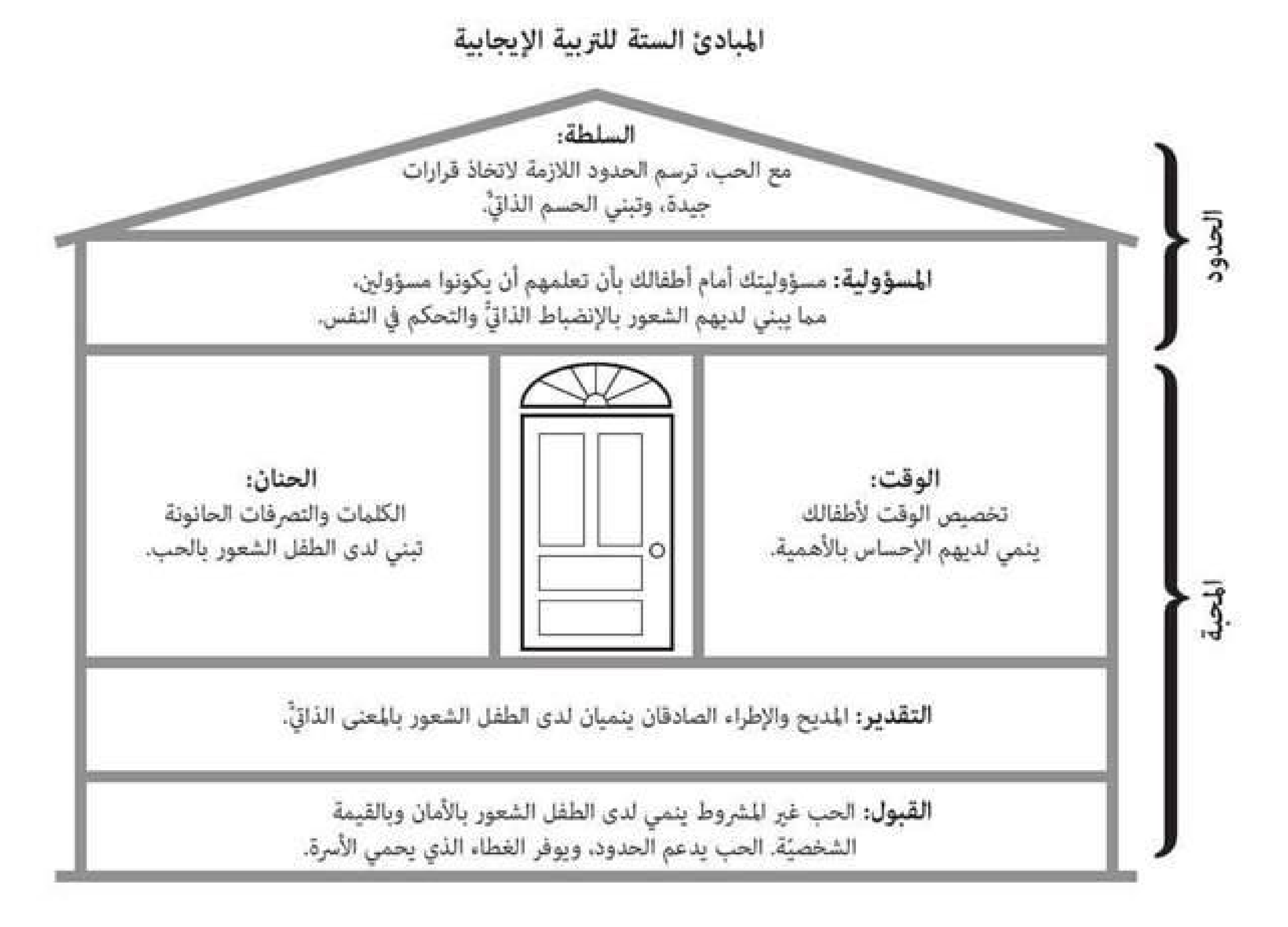
يقول الأب المستبدّ "أنا المسؤول هنا—ستتصرفون كما أريد أنا وإلا..." الأب أو الأم الإستبدادي يتبع القواعد حرفيًا. الآباء الاستبداديون يفضلون السيطرة، التحكم، والتلاعب. أطفالهم عبارة عن دمى يحركونها بشدّ وجذب الخيوط القصيرة التي تمسك بها.

الأب العلاقاتي (الحازم) يقول "إني أريد الأفضل لك. هيا ننظر إلى الخيارات المطروحة أمامنا... لهذا أعتقد أن هذا هو الخيار الأفضل—الطريقة الأكثر مسؤولية للتصرف."

الأب العلاقاتي يعكس دائمًا روح القانون. هؤلاء الآباء هم قادة خدام يقودون بسلطة، ويكونون هم أنفسهم مثلًا أعلى لأبنائهم. الأبناء يعلمون أن هناك حدودًا معينة، ولكن يعلمون أيضًا أن هناك حرية لإتخاذ قرارات جيدة داخل نطاق تلك الحدود. السلطة المُحبة تعطي الطفل الشعور بالحسم الذاتيّ؛ القدرة على اتخاذ القرارات السليمة بخصوص ما يقولونه أو يفعلونه.

لقد شبّهت مبادئ التربية الإيجابية الستة من قبل بوصفة للطهي. يمكن أيضًا وصفها من خلال الشكل الموضح في صفحة ٢٧ والذي يُمثّل منزلًا قويًا، سليماً من الناحية الوظيفية. أساس هذا المنزل هو **القبول**، وفوقه مباشرةً يقع **التقدير**. الحائطان اللذان يمثلا **الحنان والوقت** هما الطريقة التي يصل من خلالها **القبول والتقدير** للطفل، ويوضحان أيضًا كيف يدعم **الحب** العوارض والسقف، وهي تمثّل **الحدود—المسؤولية والسلطة**.

المبادئ الستة للتربية الإيجابية



المبادئ الستة للتربية الإيجابية هي المخطط الذي يمكنك أن تبني من خلاله أسرة إيجابية سليمة وظيفيًا. عندما تمارس هذه المبادئ الستة بالترتيب الصحيح، سوف تصبح بطلًا في نظر أبنائك ليس من أجل سعادتك الشخصيّة ولكن لفائدة ومنفعة أبنائك. سوف تصبح المثل الأعلى الذي يحتاجون إليه ليُعِدَّهم للحياة في هذا العالم المجهِد والخطِر أحيانًا.

ولكننا نريد أن نكرر مرة أخرى، يجب تطبيق هذه المبادئ الستة بالترتيب الصحيح. لا يمكنك بناء منزل مبتدئا من السقف. ولا يمكنك أن تضع الأساس فيما بعد. وإذا فعلت ذلك سوف يتحول الأمر إلى فوضى. في الفصل الثالث سوف نناقش بعمق أكبر، لماذا يجب أن يأتي **الحب** قبل **الحدود**.

للتفكير والمناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. ما مدى أهمية وجود خطة للتربية؟ ماذا كانت خطتك حتى هذه اللحظة؟

٢. طبقًا لما يقوله كاتبا هذا الكتاب، يجب أن يأتي القبول أولًا في تربية طفلك. أكتب تفسيرك الشخصي لسبب صِحّة ما يقولانه.

٣. ما مدى تقديرك لأطفالك؟ هل تبحث عن الفرص لتمدحهم وتشجعهم كلّ يوم؟ هل يزيد مدحك لهم عن النقد؟ عندما كبر أطفالك، هل إنزلقت إلى العادة التقليدية بتقليل التعبير العلني عن حبك لهم؟ إن كنت قد فعلت لك، تحدّث مع شريك حياتك عن إظهار الحنان لأطفالك بطريقة مقبولة بالنسبة لكما ولهم.

٤. طبقًا لما يقوله الكاتبان، ما هي الطريقة الوحيدة لقضاء "الوقت الخاص" مع أطفالك؟ كم من الوقت تخصّص لكل طفل لتعطيه الحنان والإهتمام والإنتباه الكامل؟ هل تضع الخطط وتخرج مع كلّ طفل على حدة؟ هل يمكنك أن تبدأ بذلك قريبًا؟ ماذا عن هذا الأسبوع؟

٥. كيف تبدو لك فكرة أن تكون مسؤولًا أمام طفلك؟ هل يمكن أن يقلّل ذلك من احترام أبنائك لك؟ أم هل يبدو لك طريقة جيدة لتعلّم أبناءك كيف يكونون مسؤولين؟

٦. طبقًا للكاتبين، هناك طريقتان لفرض السلطة الأبوية هما أبعد ما يمكن عن بعضهما وهما السلطة الإستبدادية والسلطة المفتوحة. ولكن السلطة العلاقاتية تقع بينهما. أي هذه الطرق تتبنى من وجهة نظر أطفالك، ولماذا؟

٢

القواعد لا تفيد بدون العلاقات الشخصيّة

القاعدة الأولى للآباء الذين يريدون أن يصبحوا أبطالًا لأبنائهم هي قاعدة عامة تنطبق على جميع القواعد.

القواعد بدون العلاقات الشخصيّة تؤدي إلى التمرد

الأطفال لا يستجيبون للقواعد؛ إنهم يستجيبون للعلاقات. نعم، صحيح أنه يمكنك أن تجبر أطفالك على "إلتزام الأدب" من خلال فرض القواعد. يمكنك قيادة أطفالك إلى وجهة معينة من خلال قيادتك الصارمة للسفينة، ولكن لا يعني ذلك أنك ستحصل منهم على الحب والطاعة. ولكن ما سوف تحصل عليه هو مجرد رد فعل، قد يبدو كالطاعة، ولكنه يحمل الكثير من الخوف، الإحباط والغضب.

إن لم تبنِ علاقتك بأبنائك على الحب والقبول، ثق دائمًا أنك سوف تتعرض للمتاعب بعد فترة. إن الكتاب المقدس يحذرنا من إغضاب أو إستفزاز أبنائنا (أنظر أفسس ٦: ٤؛ كولوسي ٣: ٢٢). ما تخبرنا به هذه الآيات هو أن وضع القواعد بدون بناء علاقات شخصية يؤدي دائمًا إلى إستفزاز الأبناء للقيام بتصرفات سيئة.

لقد تحدثنا، أنا وديك، مع الكثير من الآباء في الولايات المتحدة والعالم أجمع خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة. وفي كلّ مكان نذهب إليه نقابل عائلات تتعامل مع تمرد أحد أفرادها، لقد حاول الآباء كثيراً، ولا يعلمون ماذا يمكنهم أن يفعلوا بعد ذلك. كما رأينا في الفصل الأول، من السهل أن نضع اللوم على الثقافة التي نعيش فيها. هناك العديد من كباش الفداء. نسمع عبارات مثل: لو لم يشاهد

هؤلاء الأطفال هذا الكم من برامج التلفاز، أو هذا العدد الكبير من الأفلام، أو ليتهم لم يستمعوا لموسيقى الروك.

إننا لا ننكر التأثير السلبي لهذه الظواهر على الأسرة. إن أبناءنا يكبرون في ثقافة غير مخصصة للأسرة؛ بل يمكنني القول إن ثقافة عصرنا هذا هي عدوّ صريح للأسرة.

لا يمكننا أن نلوم الثقافة على أخطائنا

ليس من الغريب أننا نقابل الكثير من المتمردين اليوم—الأطفال المبعدين، الغاضبين، المتشائمين، والوحيدين. لكن، أيها الأب وأيتها الأم، من فضلكما تأكدا أن المشكلة الحقيقية ليست في الثقافة. يمكننا اختلاق الأعذار لضعفاتنا ونلقي باللوم على الثقافة، ولكن السبب الحقيقي للمشكلة أعمق من ذلك—على باب بيتنا وفي غرف منزل أسرتنا.

عندما يحاول الآباء وضع القواعد بدون بناء علاقات شخصية مع أبنائهم أولًا، تصبح النتيجة الحتمية هي التمرد. أحيانًا قد يكون التمرد خارجيا، واضحا في تصرفات الأبناء، ولكن أحيانًا قد يكون التمرد داخليا، حيث يبدو الطفل مطيعًا ولكنه يحمل الكثير من الغضب والحقد في داخله، وأيضًا يكون تقديره الذاتيّ ضعيفًا، وصورته الذاتيّة مشوّهة.

إننا نرى إنتهاكات لمبدأ "القواعد بدون العلاقات الشخصيّة تؤدي إلى التمرد" في ثقافات كثيرة حول العالم. لقد ألقيت محاضرة مؤخرًا في الفيلبين أمام أكثر من ستمائة من القساوسة والخدام. بعد المحاضرة إصطف حوالي المئتان منهم ليتحدثوا إلي. أحد أهم المشكلات التي تعاملت معها هذه الليلة هي مشكلة أب—وقسيس في الوقت نفسه—قال لي إن أسرته قد انقلبت ضده. كان أبناؤه—أعمارهم ١٧، و ١٣، و ١٠—هم "أسوأ الأطفال في الكنيسة" وكانوا جميعهم متمردين بطريقة أو بأخرى. كان يريد أن يعرف ماذا يمكنه أن يفعل.

قلت له "إنسَ القوانين."

"ماذا؟" أجابني بدهشة. "هذه هي المشكلة—إنهم لا يتبعون القوانين. بل إنهم لا يعتقدون أنهم يجب أن يفعلوا ذلك."

"إني أفهمك تمامًا،" قلت له، "ولكني أكرر مرة أخرى، توقف عن التركيز على القوانين. خذ بعض الأفكار التي كلمتكم عنها اليوم وابدأ ببناء العلاقات الشخصيّة أولًا. ليس لديك ما تخسره."

كانت أحد الأفكار الرئيسية التي شاركت بها تلك المجموعة من القسس والخدام، هي أن تخصص وقتًا أطول لأطفالك. كما سنرى في الفصول القادمة، لن تستطيع أن تؤكد لأطفالك أنك تحبهم وتقبلهم من دون أن تكون موجودًا. سوف يكتشفون الخدعة سريعًا. لا تنس "يمكنك أن تخدع مخادعًا، يمكنك أن تتحامق على الأحمق، ولكن لا يمكنك أن تغش طفلًا"

"أنت لا تفعل أي شيء معنا أبدًا!"

لقد تعلم أحد أصدقائي القساوسة هذا المبدأ في الوقت المناسب. لقد قابلته مصادفةً في أحد الأيام وسألته عن حال كنيسته الكبيرة، التي كانت قريبة من منزلي.

"أعتقد أن الأحوال جيدة،"قال كريس بدون تركيز، "كل شيء على ما يرام."

استشففت شيئا ما في طريقة إجابته جعلني أشعر أن الأمور لم تكن على ما يرام كما يقول.

"كريس، كيف الحال **حقًا**؟ هل تقضي وقتًا مع زوجتك وأطفالك؟"

ثم قال لي الحقيقة. قبل ذلك بأيام قليلة، أتت إليه ابنته ذات السبعة أعوام وقالت له "أبي، أنا لن أعمل في مجال الخدمة أبدًا."

"لماذا يا حبيبتي؟" سألها هو.

"بسببك يا أبي،" قالت الفتاة بقوة، "لأنك دائمًا في الخارج. أنت لا تفعل أي شيء معنا أبدًا!"

أدى هذا اللقاء العفوي إلى ذهابي للقائه والحديث معه لمدة ثلاث ساعات. أخبرني كريس في أثناء حديثنا، أنه سوف يغير وظيفته قريبًا وينتقل إلى وظيفة إدارية عبر البلاد. **عندها** سيتمتع بوقت أطول مع أسرته.

قلت له "لا، هذا ليس صحيحًا. يجب أن تبدأ من الآن. ليلتان أسبوعيًا في المنزل. ويجب أيضًا أن تخرج مع بناتك كلّ واحدة على حدة لمدة ساعة أسبوعيًا بعد المدرسة. إذا لم تبدأ بالتغيير الآن يا كريس، فلن تبدأ أبدًا، وإذا لم تتغير سوف تخسر أسرتك. وإذا لم تستطع أن تتغير، يجب أن تترك الخدمة."

نظر إلي كريس مندهشًا، ولكننا اتفقنا أنه سيحاول. وقبل أن نفترق أعطيته فكرة سريعة عن خطة التربية الإيجابية، ولكني شددت أن الخطة لن تلاقي الكثير من النجاح إذا لم يكن موجودًا ليطبقها.

بعد ذلك بثلاثة شهور، كنت أقضي بعض المهام وقابلت امرأة تذهب إلى الكنيسة التي يخدم فيها كريس. أتت إلي بسعادة بالغة وقالت لي "كيف يمكنني أن أشكرك على ما فعلته لكنيستنا؟"

"ماذا تعنين؟" سألتها في حيرة، "أنا لم ألق محاضرات هناك منذ سنوات."

فتحدثنا كيف أن كريس عاد إلى منزله في تلك الليلة وقام بتطبيق كلّ ما ناقشته معه. عندما أعطى الوقت لأسرته، شعروا هم بالتقدير والقبول والحب. ولأول مرة أصبح كريس مسؤولًا أمام زوجته وبناته، وهن بدورهن إستجبن لسلطته كرب الأسرة، ليس من دافع الاضطرار ولكن لأنهن أردن ذلك. عندما طبّق كريس المبادئ الستة للتربية الإيجابية رأى تغييرا إيجابيا في أسرته. فشارك تجربته هذه مع شعب كنيسته فحدث التغيير نفسه في الكنيسة بأكملها عندما بدأ آباء آخرون تطبيق الخطة نفسها.

ما يصلح معنا سوف يصلح معك

ما قلته لكريس ليس سحرًا، أو فكرة سماوية خاصة. إنها مجرد مفاهيم كتابية عامة، وأي شخص يستطيع أن يطبقها. أنا ودوتي نعلم تمامًا أنها تجلب ثمارًا لأننا طبقناها مع أبنائنا.

منذ بضع سنوات قررنا أن ينشأ أبناؤنا في بلدة تقليدية بسيطة على بعد حوالي مائة ميل شرق سان دييجو، على حدود غابات كليفلاند. ولأن البلدة صغيرة، فإن كلّ من فيها يعرفون بعضهم بعضًا، ولا نستطيع أن نخفي الكثير عن جيراننا.

منذ البداية، لاحظ الجميع أني أنا ودوتي نراقب أطفالنا عن قرب. لدينا قواعد ونطبقها بالفعل، ولكن بعد أن نتواصل معهم ونفهم ما يجري معهم.

على سبيل المثال، نحن نراقب دائمًا الموسيقى التي يستمعون إليها، ونقرر الحفلات الموسيقية والأفلام التي يستطيعون الذهاب لحضورها. حتى أصبح بعض الآباء الآخرون في البلدة يثقون في اختياراتنا. فيأتي إليهم أبناؤهم يسألونهم: "هل يمكننا الذهاب إلى هذه الحفلة الموسيقية؟"

كثيرًا ما تكون الإجابة "إذا ذهب شون أو كيلي ماكدويل فيمكنكم الذهاب."

ثم يأتي إلينا أبناؤنا، وتسألنا كيلي على سبيل المثال "أبي، أصدقائي يقولون إنهم سوف يتمكنون من الذهاب إلى الحفلة إذا ذهبت أنا، هل يمكنني الذهاب؟"

أحيانًا نقول نعم، ولكننا نرفض أكثر من نصف المرات. ولكن يزيد ذلك من الضغوط على أسرتنا، أننا لا نؤثر على أبنائنا فقط ولكن على أبناء آخرين أيضًا. قد نبدو أننا "الأشرار" الذين لا يريدون أن يستمتع أبناؤهم بوقتهم.

في إحدى المرات، كان شون قد اشترك في أحد الصفوف في مدارس الأحد، وسمعنا من كثيرين أن معلمة مدارس الأحد تشير إلينا—على الأخص أنا، كانت هذه المعلمة ابنة أحد المبشرين المرتحلين الذي لم يكن لديه أي وقت لأبنائه على الإطلاق—وعلى الأخص هي؛ الإبنة الكبرى. فكبرت هذه السيدة وهي مقتنعة تماما أن كلّ من ينخرط في رحلات تبشيرية مثلي تكون علاقاته الأسرية سيئة جدًا. كانت بالطبع تُسقط متاعب طفولتها على أسرتنا، كنا بالطبع نأسف لتصرفها هذا! ولكن لم يكن لدينا أية حيلة.

ولكن الشخص الذي اتخذ موقفًا بالفعل هو ابننا شون. عندما راقبت هذه السيدة شون وسمعته يتكلم عن أبيه وأمه وأخواته، أدركت أن ما قالته عن أسرتنا لم يكن صحيحًا. في النهاية أتت إلي أنا ودوتي لتعتذر، وانتهى الأمر بأن أصبحت علاقتنا معها رائعة.

عندما تحوّلت "جيد" إلى "ممتاز"

أحد أفضل الأشياء في بناء علاقة قوية مع أبنائك هي أنهم سوف يستقون منك قيمك الشخصيّة و"يحيون وفق قواعدك" لأن قيمك هي قيمهم. منذ عدة سنوات حصلت كيلي على درجة "جيد" في اختبار في مادة التاريخ. كانت منزعجة جدًا لذلك لأنها كانت تحصل دائمًا على ممتاز في جميع المواد، ولكن عندما أخبرتني بما حدث بالضبط أدركت مدى انزعاجها وسببه الحقيقي.

يبدو أن طالبا أجنبيا كان قد أخذ هذا الاختبار قبل بقية الطلبة بأسبوعين وقرر أن يحتفظ بالأسئلة. ثم أعطى الإختبار لعدد من التلاميذ في صفها وعرضه عليها أيضًا، ولكنها رفضت وقالت إنها سوف تحصل على درجاتها بمجهودها فقط.

لقد اجتهدت كيلي في الإستذكار، وقالت لي بعدما أخذت الاختبار "أبي، كان هذا أصعب اختبار أمتحن به، أعتقد أني لم أجب على الأسئلة بشكل جيد."

ثم تمّ تصحيح الاختبار وحدث بالفعل أنها حصلت على "جيد" بدلًا من "ممتاز" المعهودة. كان هناك ثلاثة طلاب ممتازين آخرين حصلوا على درجة مشابهة لكيلي أو أقل. وعلى جانبٍ آخر، حصل تلميذان أقل من المتوسط على درجة "ممتاز". بالطبع كانا قد أخذا أسئلة الإختبار من هذا الطالب الأجنبي، حتى أن أحدهما لم يخطئ سوى في سؤال واحد فقط.

ولكن بالنسبة لي أنا ودوتي، حصلت كيلي على علامة "ممتاز" وليس "جيد". كنا فخورين بما حققته بمجهودها—الحصول على درجة "جيد" في أحد أصعب الاختبارات التي امتُحنت به. بل وأفضل من ذلك أنها حصلت على هذه الدرجة ليس لأنها أطاعت قواعدنا نحن، ولكن لأنها أرادت أن تطيع قواعدها الشخصيّة—أن تكون أمينة، وتحصل على درجاتها بمجهودها.

من الصعب أن تقول "لا" ولكنها تستحق

في مناسبة أخرى، كانت كيلي في حفل تخرج أحد زميلاتها في الصف الثامن. بعد قليل إتصلت بنا كيلي وقالت إنها تود أن تبيت الليلة عند زميلتها. استمعت إليها وسألتها بعض الأسئلة. اعترفت كيلي أن هذه الحفلة "الممتدة" سوف يكون بها

فتيان، وأنها ليست متأكدة أنه لن يكون هناك أي كحوليات. فعندما أخبرتني بأسماء من سيبقون بعد الساعة العاشرة، ذكرت اسم أحد الصبيان الذي كان معروفًا عنه أنه يستطيع شراء الكحوليات، على الرغم من أنه في سِن الرابعة عشرة مثل كيلي.

بعدما استمعت إليها، قلت "لا يا كيلي، أنا أرفض ذلك. أريدك أن تأتي إلى البيت عندما ينتهي الحفل في الساعة العاشرة."

بعد ذلك، اتصلت بنا كيلي ثلاث مرات في خلال نصف ساعة. وفي إحدى المرات بدأت تبكي، وعندها عرفت ماذا كان يحدث. كان أربعة أو خمسة من الفتيات الأخريات يريدن البقاء أيضًا ولكن كان عليهن أن يحصلن على موافقة أهلهن، وكان كلّ شيء يتوقف على ما يقوله والد كيلي ماكدويل.

كان واضحًا أن كيلي كانت تحت ضغط من زميلاتها. بدأت تخبرني أنه لان ينبغي علي أن أقلق. سوف يكون أهل زميلتها في المنزل وسوف يكون هناك الكثير من الفتيان والفتيات ولن تكون هناك أية فرصة أن تكون إحداهن وحدها مع أحد الفتيان.

فهمت أن كيلي كانت تقول لي ما كانت زميلاتها تقلنه لها، ولكني أصررت على موقفي السابق. "آسف يا كيلي، لو كنتِ في الصف النهائي كنت سأفكر في الموضوع. ولكنكِ مازلتِ على أعتاب الصف التاسع، وأنا لا أعتقد أن الحفلات المشتركة المستمرة طوال الليل فكرة جيدة."

وضعت السماعة وبكاء ابنتي يصدح في أذني. لم أكن أريد أن أخيب ظنها، ولكني كنت أعلم أنني أفعل الصواب. بعد ذلك، عندما أتت كيلي من الحفل، أيقظتنا وشكرتنا على منعها من البقاء.

"أبي،" قالت كيلي، "لم أكن أريد البقاء، على الأخص بعدما رفضت أنت في بادئ الأمر، ولكن الفتيات الأخريات ضغطن عليّ. أشكرك على مساعدتي."

عندما أصر أنا ودوتي على الرفض، كثيرًا ما يشكرنا أبناؤنا على التزامنا بقواعدنا. وقد مرّ ديك بتجارب مماثلة أيضًا. في إحدى المرات طلب ابنه جوناثان عندما كان في السادسة عشرة من عمره أن يسمح له بحضور حفل كانت تحوم حوله شائعات

بتوافر الكحوليات. فقال ديك لجوناثان "لا يا جي جي، أنا غير موافق. لا أريد أن أبدو أني أوافق على هذه التصرفات."

وبعد ذلك، شكر جوناثان أباه على عدم السماح له بحضور الحفل.

هناك فائدتان لإصرار الآباء على الإلتزام بقواعدهم: أولًا، مساعدتهم على الردّ على زملائهم، لأنه يمكنهم ببساطة أن يقولوا "لا أعتقد أن أبي وأمي سيوافقان." ثانيًا، وهذه هي النقطة الأهم، يفهم الطفل أن هناك قيم وقواعد لا يمكن إنكارها أو تجاهلها.

لا أستطيع أن أدّعي أن أبنائنا يقبلون قراراتنا بحماس ولباقة دائمًا. أحيانا لا يشكرنا أحد على قولنا "لا". ولكن بشكل عام، يطيع أبناؤنا القواعد، ليس لأنهم يخافون منا، وليس لأنهم يظهرون لنا الطاعة بينما يتآكلهم الغيظ من الداخل. بل يطيعون القواعد بسبب العلاقات التي بنيناها معهم منذ نعومة أظافرهم.

الكتاب المقدس يعطينا الكثير من القواعد

إن كنت ستتذكر شيئًا واحدًا فقط من هذا الكتاب فتذكر أن **القوانين بدون العلاقات تؤدي إلى التمرد.** الأطفال لا يستجيبون للقوانين بل يستجيبون للعلاقات.

"ولكن يا جوش،" قد يقول لي الآباء "إني أريد أن أكون كتابيًا. الكتاب المقدس يضع الكثير من القوانين. أنظر إلى الوصايا العشر."

أتفق معكم، ولكن لا بدّ أن أشير إلى أنه حتى الوصايا العشر أعطاها الله إلى شعبه في إطار علاقته بهم. لقد أدرك الرب أن الناموس وحده سوف يكون ثقيلًا على شعبه. لم يكن خلاص شعب إسرائيل يكمن في مدى حفظهم للناموس، ولكن في علاقتهم مع الله.

عندما وقف بنو إسرائيل على أبواب كنعان يستعدون لدخول الأرض والسيطرة عليها، خاطبهم موسى وذكّرهم باليوم الذي أثاروا فيه غضب الرب بينما كان هو على جبل سيناء يتسلّم لوحيّ الشريعة اللذين يحتويان الوصايا العشر. ذكّرهم موسى أنهم قرروا الاحتفال أثناء غيابه، وأنهم طلبوا من هارون أن يصنع لهم عجلًا ذهبيًا،

وشربوا ورقصوا حول العجل. وأنه عندما رأى هذا المشهد حطم لوحي الشريعة وأمضى ثلاثين يومًا وثلاثين ليلة في الصلاة والتشفّع من أجل شعبه.

إستجاب الرب لصلاة موسى ولم يعاقب بني إسرائيل. ولكنه طلب من موسى أن ينحت لوحين آخرين ويصعد بهما إلى الجبل حتى يحفر الرب عليهما الوصايا العشر نفسها كاللوحين الأولين.

بعدما ذكّرهم موسى بكل ذلك قال: "فالآن يا إسرائيل، ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كلّ طرقه، وتحبه، وتعبد الرب إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لخيرك؟" (تثنية ١٠: ١٢-١٣).

على الرغم من تمرّد بني إسرائيل على الرب، إلا أنه كان يعاملهم دومًا كأب مُحِب، يفعل كلّ شيء "لخيرهم". لقد أعطاهم الله الوصايا العشر كوقاية لهم وكبركة، وليس كعبء. على الرغم من أن الناموس كامل (مزامير ١٩: ٧)، فإنه يصبح معلمًا لنا (غلاطية ٣: ٢٤) ليرينا التناقضات في أنفسنا. ولكن الحبّ هو ما يعطي الأشخاص القدرة على حفظ الناموس (رومية ١٣: ١٠).

يعتقد الكثير من الآباء أنهم يضعون القواعد والقوانين لأبنائهم—وعلى الأخص المراهقين منهم—"لخيرهم"، ولكن العنصر المفقود هو العلاقة الشخصيّة. لن يكتفي أبناؤك بقولك "إني أفعل ذلك من أجل خيركم أنتم" إذا لم يروا أو يسمعوا منك ما يعبّر عن القبول غير المشروط الذي يعطيهم الشعور بالأمان، التقدير الذي يعطيهم الشعور بالمعنى، الحنان الذي يعطيهم الشعور بالحب، وإن لم تكن موجوداً لتقضي معهم الوقت الذي يعطيهم الشعور بالأهمية، فلا تتوقّع منهم أن يرحّبوا بقواعدك. ولكن يجب أن تتوقّع شكلا من أشكال التمرد.

يأتي إليّ الكثير من الآباء لأن أبناءهم وبناتهم المراهقين والمراهقات واقعون في مشكلة ما—المخدرات، يمارسون الجنس، حوامل، متورطون في عالم الجريمة— أي شيء آخر كهذه قد يخطر في بالك. إن قلوبهم تنكسر من الحزن، فيسألونني: "ماذا نفعل؟"

كنت كثيرًا ما أتمنى لو كان بإمكاني أن أتحدث إليهم قبل ولادة أبنائهم، أو على الأقل وهم ما زالوا صغارًا. لأن ذلك هو الوقت الأنسب لبناء علاقة يمكنك رؤية ثمارها فيما بعد. ولكن لا يفت الأوان حين يصل الأولاد إلى مرحلة المراهقة، ولكن يصبح الأمر أكثر صعوبة. قد تحتاج إلى أربعة أو خمسة أعوام لبناء علاقة، بينما يمرّ ابنك/ابنتك بأصعب مراحل حياته. ولكنه ما زال أمرا يمكن تحقيقه. تذكّر: **لم يتأخر الوقت أبدًا لبناء علاقة.**

كان بولس يعرف بعض الأشياء عن الأطفال أيضًا

يختلف العلماء بخصوص ما إذا كان بولس الرسول متزوجًا، ولكنه بالتأكيد، كان يعرف الكثير عن تربية الأطفال. في الرسالة إلى أهل كولوسي ٣: ٢٠، يتحدّث بولس عن شيء يحبه كلّ الآباء "أيها الأولاد، أطيعوا والديكم في كلّ شيء لأن هذا مرضي في الرب." ولكن ما الذي يدفع الأبناء لطاعة الآباء؟ يضيف بولس الرسول في الآية التالية "أيها الآباء، لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا" (عدد ٢١).

هل أغاظك أحدهم من قبل؟ هل تعتقد أن الإغاظة هي للكبار فقط؟ أن تغيظ أحدهم يعني "تُغضِب أو تثير بشدة؛ ترهِق صبر الشخص؛ تستفز، تُضجِر." وما هي النتيجة؟ سوف يفشل الأولاد. بمعنى آخر، سيقولون لأنفسهم "ما الفائدة؟ لا يهمّ ماذا أفعل، لا شيء يكفيهم. إن كان أبي وأمي يظنان أني سيء إلى هذا الحدّ، فسوف أكون سيّئا إلى هذا الحدّ!"

فكيف إذًا تخلّص أبناءك من الشعور بالغيظ؟ هل تضرب بالقوانين عرض الحائط وتتركهم على هواهم؟ لا، قد يغيظهم ذلك أكثر، لأنهم قد يظنون أنك لا تهتمّ بهم. بولس الرسول لديه الإجابة في الإصحاح السادس من الرسالة إلى أفسس، فقرة مشابهة لتلك في الرسالة إلى أهل كولوسي. هنا، يطلب من الأبناء أن يطيعوا الآباء لأن ذلك هو الحق ثم يضيف "أكرم أباك وأمك (التي هي أول وصية بوعد) لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض."

ثم يُكمل "وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم؛ بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره" (أفسس ٦: ١-٤)*.

القوانين لا تكفي وحدها. سينتهي بك الأمر وأنت تلعب دور الشرطي بينما يتمرّد أبناؤك بتصرفات سيئة كثيرة. ولكن عندما تعطيهم التقدير والقبول المُحِب، من خلال جرعات كبيرة من الحنان والوقت، سوف يستجيب أبناؤك بشكل إيجابي لقواعدك. لنضع الأمر في شكل معادلة:

القوانين - علاقة شخصية = تمرد

القوانين + علاقة شخصية = تجاوب

ما يريد الآباء معرفته دائمًا هو "كيف يمكنني الحصول على مثل هذه العلاقة مع أبنائي؟ عندما أقول لهم لا، لا يرونني كبطل، ولكن كوحش. أين أخطأت؟"

بدلًا من التفكير في كلّ الأخطاء التي قد نقع فيها، أريد أن أركز على **ما يمكننا أن ننجح فيه**. في الفصول القادمة سوف نستكشف معنى القبول غير المشروط. بدون هذا القبول، تتقلّص صورة أبنائك الذاتيّة، وينحسر تقديرهم لأنفسهم. بالتحديد، ما الذي يمكنك فعله حتى يتأكّد أطفالك، دون أدنى شك، أنك تحبهم مهما فعلوا؟ لكي نبدأ، يجب أن نعود أولًا إلى المصدر الأساسي للقبول—الله.

* أنظر الفصل الرابع عشر للمزيد عن أفسس ٦: ١-٤ وكيف تكون أبا علاقاتيا.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. خذ بعض الوقت لتحليل علاقتك بأبنائك. إختر رقمًا من ١ إلى ١٠ يمثل علاقتك بكلٍ منهم، رقم ١٠ يمثل علاقة ممتازة. لا تندهش إذا وضعت رقمًا مختلفًا لكل ابن وابنة. فكر في سبب ذلك. هل يتذمّر أحدهم دائمًا بشأن القوانين؟ هل تجد صعوبة في دفع أي منهم ليكون مطيعًا أو متعاونًا؟ فكّر في طفلك (أطفالك) الذي تجد صعوبة في التعامل معه. ما هو السبب الحقيقي لذلك؟

٢. في صفحة رقم ٣٠ يقترح جوش على قسيس وأب لثلاثة متمرّدين أن "ينسى القوانين". ماذا يعني ذلك في رأيك؟ هل من الممكن أن نركز أولًا على العلاقات ثم تأتي القواعد بعد ذلك؟

٣. في صفحة ٣١ يعطي جوش بعض النصائح لكريس؛ قسيس أخبرته إبنته الصغيرة أنها لا تريد أن تدخل مجال الخدمة عندما تكبر لأنه كثير الانشغال ولا يقوم بأي نشاط معها أو مع الأسرة. كانت نصيحة جوش له: قضاء ليلتين كلّ أسبوع في المنزل، والخروج مع بناته كلّ واحدة على حدة لمدة ساعة كلّ أسبوع بعد المدرسة. فكر في جدولك أنت. هل تقضي بعض الأمسيات في المنزل مع الأسرة، وتتفاعل معهم، تلعب وتمرح معهم، وما إلى ذلك؟ كم مرة خرجت مع أطفالك في الشهر الماضي؟

٤. ماذا يحدث عندما تواجه موقفا ما مع ابنك تضطر فيه أن تقول لا؟ هل تستمع إلى ابنك ثم تعطيه الأسباب، أم أن أسلوبك يميل إلى الإستبداد؟

٥. هل تفعل ما يغيظ أو يستفزّ أبناءك دائمًا؟ لماذا لا تجلس وتتكلم معهم لتعرف وجهة نظرهم؟

الجزء الثاني

القبول: بناء الشعور بالأمان وبالقيمة الشخصيّة

القبول هو أساس أي علاقة ناجحة. علاقتنا مع الله مبنية على رحمته—قبوله غير المشروط لنا بكل عيوبنا. إننا لا نفعل أي شيء لنكسب محبته. ولكننا نأتي إليه بإيمان بسيط، وثقة، بأنه يحبنا ويقبلنا. وابنك يأتي إليك بشكل مشابه أيضًا. هل من الممكن أن تحب طفلك حبًا **غير مشروط**؟ لماذا يحتاج الأطفال للقبول غير المشروط، وماذا يحدث إذا لم يحصلوا عليه؟ ما الدور الذي يلعبه القبول في تكوين الصورة الذاتيّة والتقدير الذاتيّ للطفل؟ سوف تعرف إجابة هذه الأسئلة في هذا الجزء، بالإضافة إلى...

- كيف تلاحظ أنك تعطي ابنك أقلّ انطباع بأنه لا بدّ أن يحيا على مستوى معين من الإجادة.
- الآيات الكتابية التي تشير إلى تفرّد كلّ شخص، وكيف يمكنك معاملة ابنك/ابنتك على أساس تفرده.
- لماذا لا يصحّ استخدام "الأبوّة القياسية".
- الآيات الكتابية التي تعلّم وتوضح مفاهيم مثل "التقدير الذاتيّ" و"الصورة الذاتيّة."
- التعريف الكتابي للتقدير الذاتيّ السليم.
- كيف يمكن دفع بعض الأطفال للتفكير "أنا لا أساوي الكثير، قد لا أساوي شيئًا على الإطلاق."
- كيف يمكن أن تعلّم طفلك، "لقد خُلقت على صورة الله... أنا ذو قيمة—الله لا يخلق التفاهات!"
- بعض التوضيحات العملية لتنقل لأطفالك قبولك غير المشروط لهم.
- لماذا يعتبر القبول اختيارًا، وكيف تتخذه كلّ يوم.

٤

إذا قبلتهم أنت، سيقبلون أنفسهم

هل تحب أطفالك بسبب شخصياتهم أو بسبب أدائهم؟

خذ وقتك في الإجابة. إذا فكرت قليلًا في السؤال قد لا تبدو الإجابة واضحة مثلما بدت لأول وهلة. يعتمد جزء كبير من إجابتك على تعريفك لماهية القبول غير المشروط والقبول المشروط.

يُبنى القبول غير المشروط على هويّة طفلك—إنسان خُلق على صورة الله، وله قيمة وضعها فيه خالقه. هناك فرصة أفضل للأطفال الذين ينشأون على القبول غير المشروط في الحصول على شعور سليم بالقيمة. وكذلك تزيد فرصتهم في الشعور بالأمان في علاقتهم مع ذويهم. ويستجيبون بشكل أفضل للسلطة المُحبة. ما مدى أهمية القبول غير المشروط؟

القبول في غاية الأهمية لأنه يبني الشعور بالأمان، الذي يجعل الطفل مستعدًا ليكون شفافًا ويُظهر ضعفاته، مما يفتح الباب لثقة أكبر بينك وبين طفلك.

وعلى الجانب الآخر، يركّز القبول المشروط على تصرفات الطفل. لأنك تقبل الطفل إذا أظهر الطاعة، أو الأداء الجيد. ولكن إذا قلّ أداؤه عن توقعات الأبوين، يشعر الطفل بالرفض وعدم الأمان، وبانعدام القيمة الذاتيّة والتقدير الذاتيّ. حيث تتلاشى الثقة بينكما وأيضًا تذبل الشفافية والاستعداد لإظهار الضعفات.

يأتي الشعور بعدم الأمان في عدة أشكال

في رحلاتي الكثيرة، أقابل الكثير من المراهقين وطلاب الجامعات الذين لم يعرفوا سوى القبول المشروط—وأحيانًا القليل جدًا من أي نوع من أنواع القبول.

كان مارك متأكدًا أنه لن يذهب إلى الجامعة أبدًا لأن أحد المدرسين قال له عندما كان صغيراً، أنه غبي، بل والأسوأ من ذلك أن أبواه كانا دائمًا يقولان له: "أنت كسول، ولن تحقّق أي شيء في حياتك."

كبرت لوري وهي تتعرّض لمضايقات زميلاتها الشديدة لها بشأن ساقيها النحيفتين. عذبتها صيحاتهن: "رجلي دجاجة"، و"يجب أن ترتدي الزلاجات في حوض الاستحمام"، حتى نهاية المرحلة الإعدادية. والآن، ما زالت لوري نحيلة البنية بعد ما وصلت للسنة الأولى في الجامعة، بينما تعاني زميلاتها من مشاكل زيادة الوزن، ولكنها ما زالت تعتذر عن نحافة ساقيها وتتجنّب ارتداء ثوب السباحة.

قد يبدو جيف لأول وهلة كشخص واثق من نفسه. إنه أفضل تلاميذ صفه، ومن أهم اللاعبين في فريقه لكرة القدم الأمريكية. فلسفة جيف في الحياة هي "لا بدّ أن تكون منتجًا—وإلا لن يعتقد أحد أنك ذو قيمة."

بالنسبة للبعض، مثل مارك ولوري، من السهل التعرف على تقديرهم الذاتيّ الضعيف، لأنهم يعترفون بصراحة بنظرتهم السلبية لأنفسهم. ولكن قد يخفي آخرون، مثل جيف، صورتهم الذاتيّة الضعيفة بالصرامة والسلوك الواثق، ولكن تجدهم من الداخل على الدرجة نفسها من انعدام الثقة والشعور بالأمان.

"إنعدام الثقة في ماذا؟" قد تسألني. إنعدام الثقة في أنهم مقبولون—أن لهم قيمة حقيقية في أنفسهم فقط. إنهم يعيشون حياة مبنية على الأداء، ويعتقدون أنهم لا بدّ أن يُثبتوا للآخرين ولأنفسهم أنهم مهمون، وبأن لهم قيمة.

إنهم يعتقدون أنهم لا بدّ أن يجتهدوا للحصول على أي تقدير من الآخرين. إنهم لا يؤمنون أنه لديهم الحق نفسه مثل كلّ إنسان خلقه الله على صورته ومثاله—أن يكونوا محبوبين ومقبولين من أجل شخصيتهم فقط، ليس من أجل تصرفاتهم، أو شكلهم الخارجي، أو ممتلكاتهم.

للأسف، لقد قابلت الكثير من الشباب الذين وقعوا في فخّ حسن الأداء، مع آبائهم، أو مثلهم الأعلى من الكبار. إنهم ببساطة لا يفهمون أن محبة اللّه غير المشروطة تعطي قيمة لكل إنسان. يقول كاتب المزمور "فمن هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟ وتنقصه قليلًا عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلّله؟" (مزمور ٨: ٤-٥)

هل التقدير الذاتيّ مفهوم كتابي؟

من السخرية بمكان أن هناك الكثيرين الذين لا يعتقدون أن التقدير الذاتيّ هو مفهوم كتابي. كثيرًا ما يتحداني أحد الآباء، بعد كلّ حلقة دراسية أقيمها عن تربية الأبناء، بخصوص أفكاري عن التقدير الذاتيّ. من الممكن أن يكونوا قد قرأوا في أحد الكتب الشهيرة مؤخرًا أن التقدير الذاتيّ هو مفهوم حديث النشأة—وليس له أيّة علاقة بالتديّن أو بالكتاب المقدس. لقد فهموا مما قرأوه أن الرغبة في الحصول على تقدير ذاتي سليم هي خطية، لأنها تجعل الإنسان يركز على نفسه فقط. وفي كلّ مرة تكون إجابتي: "أقدّر استعدادك للحديث عن هذا الموضوع. إني أتفق معك أن البعض قد يركزون على أنفسهم فقط وعلى اهتماماتهم الشخصيّة، ولكن لا أعتقد أن التقدير الذاتيّ والصورة الذاتيّة من الأفكار 'الآثمة'. على العكس تمامًا، إني أؤمن أن التقدير الذاتيّ الصحيح، والصورة الشخصيّة السليمة هما ما يحولان دون تحوّل الفرد إلى شخص أناني يركز على نفسه فقط."

عندما أناقش موضوع التقدير الذاتيّ والصورة الذاتيّة كثيرًا ما أنصح ببعض الكتب، ومنها كتابي Building Your Self-Image) Tyndale, Living Books, 1988). وكتاب رائع لموريس واجنر The Sensation of being Somebody) (Zondervan, 1975).

تعريف "الصورة الذاتيّة" و"التقدير الذاتيّ"

إننا جميعًا نحمل صورة عن أنفسنا. وقد أظهرت الأبحاث أن تصرفاتنا غالبًا ما تتفق مع هذه الصورة. وكنت أنا كذلك بالفعل في فترة دراستي الثانوية والجامعية أيضًا. كانت صورتي الشخصيّة في أسوأ حال، بسبب مشاكلي الأسرية، على الأخص

مع أبي، وأيضًا مع بعض المعلمين الذين لم يتقبلوا كوني أعسرًا، ولم ينظروا إليّ سوى كتلميذ ضعيف. كان لدي القليل جدًا من المشاعر الإيجابية عن نفسي، وأحيانا لم تكن هذه المشاعر موجودة.

لم أتمكن من الحصول على إحساس بالقيمة الذاتيّة، سوى من خلال إيماني بيسوع المسيح، وإدراك قبول الله لي. يستطيع من لديهم إحساس بالقيمة الذاتيّة أن يقبلوا أنفسهم، لأنهم يعرفون أن الله يقبلهم بل ويسعد بهم. يقول لك التقدير الذاتيّ السليم "أنا محبوب وذو قيمة—إنسان مؤهل وكفؤ كجزء من خليقة الله. نعم أنا إنسان خاطئ، ولكن حرّرني الرب. لقد غفر لي خطاياي، والآن يمكنني أن أصبح كما يريدني."

القيمة الذاتيّة السليمة تعطيك الشعور بالأهمية. تجعلك تشعر أنك مهم، أن العالم أصبح أفضل بوجودك فيه. كلّ من لديه صورة ذاتية سليمة تصبح لديه القدرة على أن يتعامل مع الآخرين وأن يقدر قيمتهم أيضًا. إنه يشع بالأمل، والفرح والثقة. هل يبدو ذلك مألوفًا—هذا ما يسميه الكتاب المقدس بثمار الروح القدس (غلاطية ٥: ٢١-٢٢).

أما الشخص الفقير في القيمة الذاتيّة، فيكون عبدًا لآراء الآخرين. الشخص الذي يفتقر إلى الشعور بالقيمة الذاتيّة لا يكون على طبيعته.

كتب لي أحد الطلبة الذي كان يبدو واثقًا من نفسه، قال معترفًا: "أشعر أني شخص غير مرغوب فيه. إني أهاب رأي الآخرين فيّ، ومن الصعب عليّ أن أقبل نفسي. لا أزال خائفًا من النظر في أعين الناس، أو حتى أن أكون مع آخرين. حالتي النفسية سيئة جدًا. إني أخاف الرفض بشدّة."[1]

الكتاب المقدس لا يعلمنا أن نُحطَّ من قدر أنفسنا

يعارض المسيحيون الذين يشعرون بعدم الراحة حيال الصورة الذاتيّة والتقدير الذاتيّ، فكرة قبول وحب النفس. ويظنون أنهم ديدان لا أهمية لها، خطاة ليس لهم قيمة ولا يستحقون سوى نار الجحيم. بل والأسوأ من ذلك، أنهم يستشهدون بآية من الرسالة إلى رومية ١٢: ٣: "فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم: أن

لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقل، كما قسم الله لكل واحدًا مقدارًا من الإيمان." إنهم يعتقدون أن هذه الآية تعلّمهم ألا يفتكروا حسنًا في أنفسهم—بل أن يحطّوا من قدر أنفسهم.

ولكن هذه الآية لا تنصحنا بالتقليل من قيمة أنفسنا أبدًا. إنها تطلب منا أن نعلي من شأننا لأننا خليقة الله، ولكن لا أن نعلو فوق حقيقة أنفسنا. يقول بولس أنه يجب علينا أن نكون واقعيين وأن نرتئي إلى التعقل. هذه الآية هي أساس لتعريف كتابي جيد.

الصورة الذاتيّة السليمة:
"أن ترى نفسك كما يراك الله—ليس أكثر وليس أقل."

بمعنى أن لا نتجاهل حقيقة أننا خطاة. ولكن في الوقت نفسه، لا نقف عند هذه الحقيقة لدرجة تمنعنا من فهم الحقيقة التي يعلنها لنا الكتاب وهي أننا مخلوقون على صورة الله، ولذلك يكون لنا قيمة كبيرة في أنفسنا.

اكتشفت في صغري أن الأعسر ليس مقبولا

في صغري، لم أكن أعلم شيئًا عن كوني مخلوقًا على صورة الله، وأن لي قيمة في ذاتي. لم أكن أعلم أنه يقبلني، فاستهلكت الكثير من الجهد محاولًا أن أكون "مقبولًا" لكل من يعطيني القليل من وقته. لقد وُلدت أعسرًا، وفي سنوات المدرسة الإبتدائية كان المعلمون يحاولون أن يرغمونني على استخدام يدي اليمنى. أتذكر إحدى المعلمات التي داومت على الوقوف بجانبي ممسكة مسطرة تضربني بها على يدي اليسرى إذا حاولت استخدامها لأي غرض ما.

كانت تقول لي بعنف: "فكّر يا جوش، استخدم يدك اليمنى!"

لم يمض وقت طويل حتى ظننت أن الشخص الأعسر أقل قيمة ممن يستعمل يده اليمنى، وكان الاستنتاج المنطقي، أني أنا أيضًا أقل في القيمة.

أصبحت قلقًا وقليل الثقة وظهرت في حياتي مشكلة في التخاطب. وضاعفت هذه المشكلة من ضعف صورتي الذاتيّة وتقديري لنفسي.

وجدت صعوبة في فعل أي شيء، وخاصة أن أتحدث أمام زملائي. تطلبت منا أحد المهام أن نسرد "خطاب جتسبرج" أمام الطلاب جميعا. كنت قد أتقنته تمامًا، وسردته كاملًا لنفسي في أثناء تنظيف الحظيرة، ولكني تجمدت أمام زملائي. بدأت في التأتأة—ولم أتمكن من قول جملة واحدة—وفي النهاية خرجت أجري خجلًا من صفي.

تعلمت أيضًا أن أكره أبي السكّير

بينما وفرت المدرسة الكثير من التجارب التي من شأنها أن تُذبل تقديري الذاتي، كانت المشكلة الأكبر في المنزل. كنت متأكدًا من حب أمي لي، ولكن علاقتي السيئة مع أبي السكير دمّرتني. عندما أصبحت في سِن الرابعة عشرة، كانت كراهيتي لإدمان أبي للكحوليات قد تحولت إلى كراهية لأبي نفسه، والتي زادت حتى تخرجي من المدرسة الثانوية.

أحد المشاهد المحفورة في ذاكرتي، هو عندما كنت في السنة النهائية من المدرسة الثانوية، واتفق الصف بأكمله على تنظيم نزهة نهاية العام في مزرعتنا. كانت نزهة رائعة، إلى أن ظهر أبي على الدرب المؤدي للمنزل. كانت شاحنته القديمة تتمايل إلى الوراء والأمام مُصدرة سحب من الغبار، وتجنب بصعوبة الاصطدام بشجرة، ثم بسور، ثم بكلبنا الأليف.

أوقف أبي شاحنته، ثمّ خرج منها، ومشى نحو المنزل مترنحًا يكاد يسقط. عندما رأى أصدقائي أنه كان سكرانًا—مرة أخرى— بدأوا يطلقون النكات عليه. خجلت من مواجهتهم، فجريت إلى الحظيرة واختبأت بها لبعض الوقت.

ماتت أمي منكسرة القلب

قبل تخرجي من المدرسة الثانوية بشهرين، عدت إلى المنزل في منتصف الليل في أحد الأيام، بعد موعدٍ مع صديقتي، لأجد أمي تبكي بمرارة.

سألتها: "ما الموضوع؟ ماذا حدث؟" كنت أتوقّع أن يكون أبي قد ضربها مرة أخرى. أخيرًا تمكّنت من النطق بعد عدة دقائق.

قالت وهي تبكي: "هذا كثيرٌ جدًا... لم أعد أحتمل". "أباك... إدمانه... إيذاؤه لي".

لم أتمكّن أن أقول لها سوى: "أعلم يا أمي."

قالت باكية: "لم أعد أحتمل". "لقد... لقد فقدت الرغبة في الحياة. أريد أن أنتظر حتى تعتمد على نفسك بعد تخرجك الشهر القادم..." ثم بكت بمرارة وقالت: "بعد ذلك، أريد أن أموت."

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي رأيت فيها أمي بهذه الحال. ولكن كان الأمر يختلف عمّا مضى. بدا كما لو كانت تتنبأ بموتها. هل كانت تشير إلى الإنتحار؟ لم أكن متأكدًا، ولكن انهيارها هذا أخافني.

تخرجت من المدرسة الثانوية بعد ذلك بشهرين، وفي يوم الجمعة التالي، ماتت أمي. هل يمكن لشخص أن يموت من الحزن؟ جسديًا، لا. ولكن نفسيًا وعاطفيًا، بالطبع نعم. ماتت أمي، وصورتها الذاتيّة وتقديرها الذاتيّ فيّ أسوأ ما يمكن بسبب معاملة أبي لها. فقدت آخر مصدر للأمان والاستقرار بموت أمي. أينما ذهبت، ومهما تأخرت، كانت أمي دائمًا تنتظرني، تريد أن تتحدث معي، كانت مهتمة بما يحدث في حياتي. ولكنها الآن ذهبت، وصرت أنا وحيدًا.

ذهبت إلى الجامعة وأنا مفلس عاطفيًا

في جنازة أمي، بقيت أحدّق في وجه أبي وعيناي تنطقان بالكراهية. كنت أحتقره، وربما كنت سأقوم بحركة يائسة لو لم أترك البيت بعد ذلك وأذهب إلى الجامعة. كنت قد اخترت جامعة صغيرة. وصلت إلى مقرّ الجامعة مفلسًا على الصعيدين الروحي والعاطفي. كنت أرنو لحبٍ بدون شروط، وبدون نهاية. كنت بحاجة شديدة للقبول من الآخرين، ولكن حاجتي الأشد كانت لقبول نفسي والتوقّف عن احتقارها.

كنت أريد كلّ ما يريده الشباب—الأمان، الثقة، السلام الداخلي—و... نعم، السعادة. كان مشروعي الأساسي هو محاولة إيجاد السعادة، وخلال السنة الأولى في الجامعة، حاولت أن أنسى نفسي في محاولتي لأكون قائدًا في مقر الجامعة. أصبحت رئيسًا لطلاب السنة الأولى، ووجدت نفسي أشارك في صنع قرارات هامة، كالمتكلمين الذين يُدعَوْن لإلقاء المحاضرات، والحفلات التي يقيمها الطلبة.

تحولت حياتي إلى إجهاد في الدروس والمحاضرات من الإثنين إلى الجمعة، ثم تأتي السعادة في ثلاث ليالي: الجمعة، السبت، والأحد.

بعد عدة أسابيع بدأت ألاحظ أن مجموعة من الطلبة، حوالي الثمانية، يقضون أوقاتًا طويلة مع إثنين من المدرسين. لم أفهم الأمر تمامًا، ولكني كنت أرى شيئًا مختلفًا في تلك المجموعة. كانوا يعرفون بماذا يؤمنون ولماذا، وكانت تجذبني هذه الصفة. وبدا أيضًا أنهم يعرفون وجهتهم، وهي صفة يفتقدها معظم من كنت أتعامل معهم. ولكن أغرب شيء أنهم كانوا يتحدثون كثيرًا عن الحب، وكانوا يساعدون الآخرين حتى على حساب أنفسهم، وهو شيء نادر الوجود في الجامعات.

كنت أريد أن أعرف ما الذي يجعلهم يتصرفون بهذه الطريقة، فقررت أن أصادقهم. وضعوا أمامي تحديا بأن أفكر بالإيمان بيسوع المسيح بشكل عقلاني.

استغرقت دراستي حوالي السنتين، ولكن بعد ذلك لم أعد أشك في وجود الله. أقنعتني الأدلة التي توصّلت إليها أن يسوع المسيح هو بالفعل كما يقول—ابن الله ومخلص العالم. بعد هذا التحدي بدأت أصارع مع التحدي الجديد—أن أصير مسيحيًا. مثل سي إس لويس، دخلت إلى مملكة الله بعد صراع، ولكن أخيرًا، سلّمت حياتي ليسوع المسيح.

وبعد فترة من الوقت، غيّر المسيح حياتي بالفعل. شعرت ولأول مرة في حياتي بالأمان، والقيمة—والسلام. تأكدت أن الله يقبلني كما أنا، لأن يسوع دفع ثمن خطاياي. لم أكن بحاجة لعمل أي شيء حتى يقبلني. لقد أعطاني الخلاص لأني آمنت—فقط.

قبول الله غير المشروط، هو حقيقة هامة جدًا كثيرًا ما تُغفَل. كما قال لنا مارك ولوري وجيف قبلًا، يقف الكثيرون عند شكلهم الخارجي، أو فقرهم في القدرات والمواهب أو الممتلكات. ويحاولون طوال حياتهم الحصول على القبول، غير مدركين أن الله نفسه قد قبلهم بالفعل. إن الله يقبلك ويقبلني ويقبل أولادنا، كما نحن، بدون أي شروط، بسبب يسوع المسيح فقط. هذا ما كان يوحنا يقوله "في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل لأنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يوحنا ٤: ١٠).

عندما ثبتت حقيقة الإنجيل في نفسي، بدأت أدرك خطأ فكرة أني لا بدّ أن أكون كاملًا حتى أكون مقبولًا، وأنه لا بدّ لي أن أكون على مستوى معين، ولا بدّ أن أبهر الآخرين دائمًا. في النهاية لم أعد أهتم أني أعسر، أو أني كنت أتلعثم بكلامي في طفولتي، أو أني مازلت أتلعثم أحيانًا عندما أكون قلقًا. تلاشى كلّ ذلك، وأيضًا تلاشت رغبتي في إخفاء عيوبي وضعفاتي. أصبح بإمكاني أن أعترف أني لست كاملًا، ولكن على عكس ذلك، فهمت أيضًا أني "كامل في المسيح يسوع،" وكان هذا هو أهم شيء.

غيّر الله حياة أبي أيضًا

أدركت من خلال إيماني الجديد أنه يمكن لقبول الله لي أن يملأ الفراغ الذي كنت أشعر به في حياتي بسبب عدم قبول أبي لي. ولكن الله لم يكن قد إنتهى من عمله بعد إذ أرسل لي "علاوة."

بعد إيماني، حاولت أن أبني علاقة أفضل مع أبي، ولكني لم أنجح. ثم في أحد الأيام، كنت أقود سيارتي وحدي وتوقفت عند نقطة عبور القطار فصدمني من الخلف سائق سكير يسير بسرعة أكثر من ٤٠ ميل في الساعة. إنتهى بي الأمر في المستشفى، وساقيّ وذراعي ورقبتي مربوطة بضمادات تقويمية. عندما عدت إلى المنزل أخيرًا، أتى أبي إلى غرفتي، ولأول مرة صافي الذهن تمامًا بدون تأثير الشراب، وقال لي: "كيف يمكنك أن تحب أبا مثلي؟"

أجبته: "أبي، منذ ستة أشهر فقط كنت أحتقرك، ولكن المسيح غيّر حياتي." ثم شاركت معه اكتشافاتي المتعلّقة بيسوع المسيح.

لم يناقشني أبي. لكنه استمع لي بكل هدوء. ثم صلّى معي، ولم أصدق ما سمعته: "يا ربّ، إن كنت أنت الله بالفعل، وإن كان المسيح ابنك، وإن كنت قادرا أن تفعل في حياتي ما فعلت في حياة ابني، فإني أريدك أن تكون مخلصي الشخصيّ."

بعد ذلك بعدة شهور، تمكنت من العودة إلى الدراسة مرة أخرى، وانتقلت إلى جامعة أخرى في ميتشغن قريبة من مزرعة أبي. لم يتزوج أبي بعد وفاة أمي، ولكنه كان يواعد النساء من وقت لآخر، كان أحيانًا يأتي لزيارتي في جامعتي وكنا نخرج سويًا في موعد مزدوج مع صديقتينا.

بعد كلّ هذه السنوات من التعاسة والحزن، قضيت أربعة عشر شهرًا رائعاً مع أبي قبل أن نقلته أزمة قلبية إلى الرب. علمتني تلك الشهور الأربعة عشر أنه لم يتأخر الوقت أبدًا لتبدأ في التعويض عمّا فات. لم يتأخر الوقت أبدًا لنقبل بعضنا البعض. تدفعني تجربتي مع أبي في الأربعة عشر شهرًا الأخيرة في حياته أن أبني أفضل علاقة ممكنة مع أبنائي.

الطفل المقبول يقبل نفسه

لقد قصصت عليكم متاعبي مع الافتقار إلى التقدير الذاتيّ الصحيح والصورة الذاتيّة السليمة، لأوضح لكم ما يحدث عندما لا يشعر الطفل بالقبول من الآخرين، وعلى الأخص من شخصية في مكان المثل الأعلى، مثل الأبوين والمعلمين. إذا لم يسمع الطفل سوى عن أخطائه، سوف يصل في النهاية إلى استنتاج نهائي: "أنا لا أساوي الكثير—ربما لا أساوي **شيئًا على الإطلاق**."

يرفض الطفل أن يقبل نفسه عندما يشعر أنه غير مقبول من أقرب الناس إليه، وهذا هو السبب الأساسي لضعف التقدير الذاتيّ والصورة الذاتيّة.

وعلى الجانب الآخر، نجد الطفل الذي يشعر بالتميّز لأن أباه وأمه وفّرا له هذا الشعور. كانت هذه موهبة والدي دوتي، كان عندهم القدرة على جعل أطفالهم الثلاثة يشعرون بأنهم مميّزون، ولكن لم يشعر أحدهم أنه أكثر تميزًا عن الآخرين. كثيرًا ما كانت دوتي تقول لي أنها لم تكن لتقبل أن تكون الابنة الفضلى، كما لم تكن لتقبل أيضًا إذا شعرت أن أخاها أو أختها هو/هي الابن المفضل/الابنة الفضلى.

بينما كان والدا دوتي يحبان أطفالهما بالتساوي، كانت لديهم طرق يجعلون بها كلّ طفل يشعر بأنه مميز. كان والد دوتي يقول لها "أنتِ ابنتي الكبرى المفضلة."، ثم يقول لأختها سالي التي تصغرها بسبع سنوات "أنتِ ابنتي الصغرى المفضلة." ثم يقول لأخيها "أنت ابني المفضل."

واستمرت دوتي بالطريقة نفسها مع أبنائنا. كيلي هي "ابنتها الكبرى المفضلة." شون هو "ابنها المفضل،" وكايتي هي "الشقراء المفضلة،" أما هيذر فهي "السوداء العينين المفضلة."

طريقة بسيطة، لكنها تفي بالغرض. شون على سبيل المثال، يعرف أنه الابن الوحيد في الأسرة ولكنه ما زال يحب أن يسمع أنه "الابن المفضل." ما أقصده هو، هناك طرق لتجعل كلّ طفل من أطفالك يشعر أنه مميز، ويجب أن تختار الطرق التي تصلح مع أطفالك.

تراسل دوتي أحيانًا إحدى صديقاتها التي لها ابنان عمرهما قريبان من بعضهما. تكتب هذه السيدة عن أحدهما بأنه مصدر فخرها، ولكنها نادرًا ما تذكر الابن الآخر. التفضيل واضح، ولنا أن نتخيل تأثير ذلك على الابن الآخر.

في كتابه الرائع "**ابحث أو اختبئ**"، يشير د. جيمس دوبسون أن وباء الشعور بالدونية قد أصاب نسبة كبيرة من الأمريكيين في القرن العشرين. ولكنه يؤمن أن الآباء يستطيعون إيقاف هذا الوباء عن طريق فهمهم الكامل لفكرة أن جميع الأطفال خُلقوا بالقيمة نفسها، والحقوق نفسها في الاحترام والكرامة الشخصيّة.

لا أعتقد أن د. دوبسون يُضيف أكثر مما يخبرنا به الكتاب المقدس. إنها وظيفة كلّ أب (وأم) أن يعطي أطفاله شعورا صحيًا بالقيمة الشخصيّة، وكل أب يحقّق ذلك سوف يكون بطلًا في نظر أبنائه بكل ما في الكلمة من معنى!

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. كيف يمكنك كأب أن تبني التقدير الذاتيّ لطفلك؟ يمكنك أن تبدأ بالحديث الحرّ مع أبنائك عما يقوله الإنجيل:

- لقد خلقنا الله على صورته. (تكوين ١: ٢٦-٢٧)
- أعطانا الرب مهمة خاصة—أن نُخضِع (ندير) الأرض. (تكوين ١: ٢٨)
- لقد خُلقنا "أقل قليلًا عن الملائكة" (مزمور ٨: ٥)
- لقد أخطأ الجميع وأعوزهم مجد الله، (رومية ٣: ٢٣) ولكن الرب أرسل ابنه الوحيد ليموت عن خطايانا (يوحنا ٣: ١٦)
- يستطيع كلّ واحد منا أن يكون ابنًا لله بالإيمان باسم يسوع المسيح (يوحنا ١: ١٢-١٣)
- الله حررنا (اشترانا) بأغلى ثمن—موت ابنه على الصليب (١كورنثوس ٦: ٢٠؛ ١بطرس ١: ١٨-١٩)
- الملائكة تحرسنا لأننا محررون (عبرانيين ١: ١٤؛ مزمور ٩١: ١١-١٢)
- يسوع نفسه يعدّ لنا مكانًا لنكون دومًا معه (يوحنا ١٤: ١-٣)

ربما لم تختبر أنت نفسك حقيقة تلك الآيات الكتابية. فكّر بها، استخدمها في صلاتك، تحدث إلى قسيس كنيستك أو صديق مسيحي تثق به. عندما ترسخ هذه الحقائق في نفسك، يمكنك أن تشاركها مع أبنائك بحماس واقتناع. أليست تلك أفضل طريقة لتعلمهم عن القبول؟ أليست تلك أفضل طريقة ليعلموا أنهم مقبولون من الله ومن يسوع المسيح، ومنك أنت أيضًا؟

كما أقترح أيضًا أن تقرأ كتابي "Building Your Self-Image"، من دار نشر Living Books Edition ـ Tyndale House Publishers. إقرأه وادرسه وأكمل تدريبات "أحجار البناء". سيكون من الأيسر أن تعلّم هذه المفاهيم لأولادك إن كان لديك أنت نفسك صورة كتابية سليمة عن نفسك.

٢. تحدث مع أطفالك عن الحقائق الكتابية لتساعدهم مبدئيًا على الشعور بالقبول، ولكن إن كنت تريد تجسيد هذه الحقائق، **فإنّ أطفالك يحتاجون للتطبيق العملي من خلال الأب والأم**. يخطئ الكثير من الآباء المسيحيين، سواء بسبب الإهمال أو التقصير، بتعليم أبنائهم تعاليم الإنجيل **من دون أن يكونوا مثالًا لهم**. فتكون النتيجة أن يتعلم الأبناء جميع "الشعارات"، يتعلّمون كلّ العبارات الصحيحة، ولكن لا يروا سوى القليل من التطبيق من الأشخاص الأكثر أهمية في حياتهم—ذويهم.

٣. لماذا لا تتوقف الآن وتقيّم موقف أسرتك؟ هل يسمع أطفالك القواعد والآيات الكتابية فقط، أم يرونها مُمثَّلة في طريقة معاملة آبائهم لهم ولبعضهم البعض؟ ناقش مع شريك حياتك عن تطبيق الحقائق الكتابية أمام أطفالكما. ثم صلّيا سويًا طالبين الحكمة لتكونا مثلًا أعلى يحتذى به.

٥

القبول: المعنى الحقيقي لأمثال ٢٢: ٦

عندما كان شون ابني في الثانية عشرة من عمره، كان يلعب في فريق البيسبول للصغار. في إحدى المرات، قبل بداية الموسم الجديد بأسبوع، فكرت في طريقة لأشرح له—ولزملائه— معنى القبول. اشتريت ١٢ قسيمة مثلجات من مطعم قريب وأعطيتها للمدرب.

قلت للمدرِّب: "أيها المدرب، هذه القسائم هدية مني للأولاد."

"ممتاز." قال المدرب مبتسمًا. "شيء رائع. أتمنى لو أن كلّ آباء اللاعبين يهتمون بأعضاء الفريق مثلك. سوف آخذهم لاستعمال هذه القسائم بعد أول فوز لنا."

أجبت مسرعا: "لا!". "أريدك أن تأخذهم بعد أول مباراة **يخسرونها**."

نظر إليّ المدرب بطريقة غريبة. ما قلته لم يتوافق مع مفهومه عن الفوز والخسارة ومكافأة اللعب الجيد. فقلت له:

"أيها المدرب، أنا لا أعلم موقفك، ولكن بالنسبة إليّ، أريد أن أركز على مجهود أبنائي أكثر من نجاحهم. وأريد أن أركز عليهم كصورة الله اكثر من تركيزي على مجهودهم. إني أؤمن أن ابني خُلق على صورة الله وأن له قيمة وكرامة يمتدان إلى ما لا نهاية، وليس لهذا أي علاقة بالبيسبول. كنت سأظل أحبه وأقبله بنفس القدر، حتى لو لم يلعب البيسبول أبدًا في حياته."

حدّق فيّ المدرب لبضع لحظات. وكلّ ما تمكن من قوله هو "حسنًا، **هذا شيء جديد**."

ثم بدأ الموسم، وفاز فريق شون بالمباراة الأولى، ولكنهم خسروا أخيرًا في المباراة الثالثة أو الرابعة، وحقَّق المدرب وعده بالفعل. أعطى المدرب قسيمة مثلجات لكل لاعب ثم خرجوا جميعًا "للاحتفال" بالخسارة.

شكرني شون بعد ذلك خمس مرات على المثلجات. كما شكرني أيضًا ثلاثة من زملائه في الفريق على مدار الأسبوعين التاليين. أذكر على وجه الخصوص، صبيا اسمه جيسي، قال لي: "أشكرك كثيرًا على المثلجات يا سيد ماكدويل. يا للعجب، أنت لا تهتم إذا فزنا أو خسرنا— أنت تحبنا بأي حال."

لقد أسعدني ذلك إلى أقصى درجة. لقد أردت لشون وزملائه أن يعرفوا أن قيمتهم الحقيقية لا تكمن في قدراتهم في لعبة البيسبول، ولكن في حقيقة أن كلًا منهم خُلق على صورة الله وأن له في ذلك قيمة وكرامة بدون حدود. هل هذا الدرس أصعب من أن يفهمه طفل في الثانية عشرة من عمره؟ بالطبع لا، على الأخص عندما تستخدم المثلجات كوسيلة إيضاح!

أنت فريد بين ستة مليارات من البشر

أريد لشون—وجميع أبنائي— أن يعرف أيضًا، أنه بينما خلقنا الله على صورته، أنه خلقنا أيضًا **كأشخاص متفردين**. فكر في الأمر: هناك أكثر من ستة مليار شخص على كوكب الأرض، ليس بينهم أي شخص مثلك كليًا. وأيضًا ليس هناك من يماثل ابنك أو ابنتك.

كثيرًا ما أسألُ الأطفال: "إذا كان هناك واحد فقط منك بين ستة ملايين من البشر، فلماذا تودّ أن تصبح شخصًا آخر؟"

نعم، يودّ الكثيرون أن يصبحوا أشخاصًا آخرين. يحسدون الآخرين دائمًا— هيئتهم، شعرهم، بشرتهم، مواهبهم، قدراتهم. نقطة البداية لبناء تقدير ذاتي سليم هي أن تصحّح أفكارك بخصوص خلق الله لك كإنسان متفرد. سوف أستعير هذا التعبير من ملصق شهير للسيارات: **"الله لا يخلق التفاهات."**

نجد أحد أفضل الطرق لوصف تفرد كلّ طفل في كلمات مألوفة خطها الملك سليمان: "رَبِّ الولد في طريقه، فمتى شاخ أيضًا لا يحيد عنه." (أمثال ٢٢: ٦)

للأسف، كثيرًا ما يسيء الآباء المسيحيون فهم هذه الآيات، فيعتقدون أن معناها "أقيموا الصلوات في الأسرة، خذوا أطفالكم لمدارس الأحد، حتى لا يخرجوا عن الإيمان عندما يكبرون."

ولكن المعنى الحقيقي لهذه الآية يكمن في جملة "في طريقه." يشير الكاتب إلى **طريق الطفل** نفسه، وليس طريق الله. المعنى الأساسي لهذه الآية هو "الحث على تربية الأبناء طبقًا لشخصياتهم المتفردة."

في المزامير، نجد أن الكلمة العبرية نفسها تُرجمت إلى "يُحني"، وتشير إلى إنحناء قوس الرماية. في يومنا هذا، ومع وجود الدقة المتناهية في الصناعة، يمكن لأي شخص أن يمسك بقوس وزنه ٤٥ رطلًا ويرمي سهما ليصيب الهدف بدقة. ولكن في ذلك الزمان لم تكن هذه المقاييس موجودة. كان يجب على كلّ من يرمي سهما، أن يستخدم القوس الخاص به، وأن يعتاد على قوة القوس وخصائصه المختلفة.

كان كلّ واحد يصنع قوسه الخاص به، وكان عليه أن يعرف جميع خصائصه إن أراد أن يصيب به أي هدف.

وبالطريقة نفسها، يجب على كلّ أب (أو أمّ) أن يعرف الخصائص الفريدة لكل طفل في الأسرة. أن تربي كلّ طفل "في طريقه" لا يعني أن تترك الطفل على هواه، أو أن تتركه ليفعل ما يشاء. هناك ملحوظة في "إنجيل رايري" توضح أن المعنى الحقيقي لجملة "في طريقه" هو "طبقًا له هو"، أي عادات واهتمامات الطفل. لتربية طفلك يجب أن تضع في اعتبارك شخصيته المتفردة، بما يتماشى مع نموه البدني والذهني."[1]

بالضبط كما يبحث كلّ رامٍ عن "قوة الانحناء المناسبة لقوسه"، يجب أن نبحث عن الانحناء المناسب لكل طفل. يعلم الآباء بالفطرة أن كلّ طفل من أطفالهم يختلف عن الآخر، ولكنهم مع ذلك يقعون في خطأ تربيتهم جميعًا بالطريقة نفسها. قد يرجع ذلك لتوقعاتهم المتشابهة من جميع أطفالهم. أتفق معك أن كلّ أسرة تحتاج إلى مقاييس معينة ثابتة، ولكن ليس هناك طريقة ثابتة لمعاملة كلّ الأطفال، لأن كلّ طفل يستجيب بطريقة مختلفة.

"التربية القياسية" هي الطريقة المثلى
لإفساد جميع الأبناء.

السنوات الأولى في حياة كلّ طفل هي الأكثر أهمية، لماذا؟

كان لِـ ديك وشارلوت تأثير كبير على حياتي في هذا الجزء. لقد تعلمت علم النفس التربوي من خلال مشاهدتهم مع أطفالهم، ثم بدأت استخدم المبادئ نفسها عندما رُزقنا أنا ودوتي بالأطفال.

طبقًا لعالم النفس إريك إريكسون، أحد أشهر خبراء التنمية البشرية، فإننا جميعًا نمرّ بثمانية مراحل من النمو خلال حياتنا. في السنتين الأولتين يكون الطفل في عمر الثقة حيث يمده أبواه بالإحتياجات الأساسية. ويُبنى في هذه المرحلة أساس صورته الذاتيّة وشعوره بالأمان.

بعد ذلك يدخل الطفل في مرحلة **الإستقلالية** التي يميزها إصرار الصغير على كلمتي "أنا! ملكي!" في هذه المرحلة يبدأ الصغير في رؤية نفسه كإنسان مستقل بدلًا من كونه فقط إمتدادا للأشياء الأخرى. ويبدأ الأبوان في هذه المرحلة في التعرّف على خصوصية الطفل ويربيانه "في طريقه". بمعنى آخر، أن يتعرفا على شخصيته ويربيانه ويعتنيا به على هذا الأساس.

عند وصول الطفل سنّ الحضانة ويبدأ في التعامل مع أطفال آخرين، يدخل الطفل مرحلة **المبادرة**. حتى هذه المرحلة يلعب الصغار سويًا بشكل "متوازٍ"، بمعنى أنهم يجلسون معًا ولكن يلعب كلٌّ منهم بمفرده. ولكن عندما يصبح الصغير في سِن الحضانة (من ٣ إلى ٥ سنوات)، يبدأ الطفل بالتفاعل واللعب مع أطفال آخرين. في هذه المرحلة يأخذ الطفل المبادرة. يبدأ في التعاون واللعب والتخطيط مع أطفال آخرين.[٢]

جميع هذه المراحل الثلاث حاسمة جدًا في تكوين صورة الطفل الذاتيّة. يتكلّم الكثيرون عن أهمية الثلاث إلى خمس سنوات الأولى من حياة الطفل. لا يوجد ما يسمى بطفل أصغر من أن يتعرف أبواه على تفرده وينمّيان فيه هذا التفرّد من خلال القبول غير المشروط. كما سمعت دوتي في محاضرة لِـ جيد زوجة د. هوارد هندركس.

فيما يخصّ الأطفال، يجب أن يتعاون الآباء مع الطبيعة.

ليس هناك أي شخص مثل طفلك

إنها مسؤولية كبيرة أن تكتشف طبيعة كلّ طفل من أطفالك، وأن تربيه طبقًا لطبيعته. إننا في أسرتي، نؤدب أحد أطفالنا بطريقة وآخر بطريقة مختلفة تمامًا. على سبيل المثال، إذا قررت أنا أن أعاقب كيلي بأن تجلس في وسط الغرفة لمدة نصف ساعة أو أكثر، لن يكون لعقابي هذا أي تأثير. لأنها سوف تخترع ألعابًا في ذهنها وتستمتع بوقتها إلى أقصى درجة.

ومن ناحية أخرى، فإن الجلوس في وسط الغرفة لمجرد عشرين دقيقة هو "عقاب قاسٍ جدًا" بالنسبة لشون. لأن شون شخص إجتماعي ولا يحتمل أن يكون بعيدًا عن الناس لأي فترة من الوقت. لذلك سوف يتغير سلوكه فورًا إذا جعلته يجلس دون أن يكلّم أحدًا أو أن "يفعل شيئًا". ولكن لا بدّ أن نستخدم عقابًا مختلفًا مع هيذر وكايتي.

لقد أعطيتكم مثالًا واحدًا بسيطًا من أسرتي. إذا نظرت إلى أطفالك ستجد الكثير من الإختلافات الفردية بينهم أيضًا. إحرص أن تنقل لهم هذا الشعور بالتفرد بشكل إيجابي بخلاف العقاب.

من المهم أن تقبل تفردك وأن تكون سعيدًا بالشخص الذي خلقك الله لتكونه، بدلًا من أن تحاول أن تكون شخصًا آخر. أفضل تعبير رأيته عن هذه الفكرة كان في قصيدة لِـ بايرون ميشو، وهو طالب في جامعة بنسلفانيا سمعني أتحدث عن هذا المفهوم في إحدى المحاضرات. بعد المحاضرة سطّر بايرون تلك الكلمات، ووضعها تحت عنوان "أنا":

طوال حياتي، حاولت أن أنال رضى الآخرين.

طوال حياتي، كنت أمثّل أمام الناس.

لن أفعل ذلك.

لأني إذا قضيت حياتي أحاول أن أكون شخصا آخر،

فمن سيكون أنا؟

حتى يقبل الطفل تفرده ويبني صورة ذاتية سليمة، يجب أن تذكره دومًا "إذا لم يكن هناك شخصٌ آخر مثلك، فلماذا لا تصبح هذا الشخص الفريد الذي خلقه الله؟ أنت أفضل من تكون في هذا العالم."

لن يعرفنا أحد أو يحبنا مثل الله

مع تأكيدك على خصوصية طفلك، يجب أيضًا أن تذكّره أنه محبوب جدًا. لأن هذا ما يقوله الله، ويمكننا أن نثق في كلامه. يقول الله، على لسان إرميا "ومحبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة" (إرميا ٣١: ٣).

وفي الإصحاح الثامن من الرسالة إلى رومية، يضمن لنا بولس محبة الله في المستقبل، بغض النظر عن جميع التجارب والمتاعب التي قد نمرّ بها، عندما يقول إنه لا شيء—لا شيء مطلقًا— قد يفصلنا أنا أو أنتم أو أولادنا عن محبة الرب (رومية ٣٨-٣٩).

لا يُدرك كثيرون ممن أقابلهم، من جميع الأعمار، أن الله أحبهم حتى قبل أن يؤمنوا به. بينما كنا في الظلمة أعداء للرب، وبينما نحن بعد خطاة، هو أحبنا ومات لأجلنا (رومية ٥: ٨؛ أفسس ٥: ٨). وإن أحبنا الله ونحن بعد لا نعرفه، فكم يحبنا الآن بعدما أن أصبحنا أبناءه بالتبنّي؟ يعطينا يسوع دليلًا قويًا بقوله "كما أحبني الآب، كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي." (يوحنا ١٥: ٩).

أتذكر أغنية لبيل وجلوريا جايثر، شعرت في إحدى المرات كما لو كانت الكلمات تقفز من الصفحات وتكلمني: "أنا محبوب. أنا محبوب... **الذي يعرفني أفضل هو يحبني أكثر.**"[٣]

الله يعرفنا جميعًا تمام المعرفة. كثيرًا ما أشكر الله على هذه الآيات الرائعة من مزمور ١٣٩: "يا رب قد اختبرتني وعرفتني...كل طرقي عرفت. أنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا رب عرفتها كلها" (١، ٣-٤).

يقول كاتب المزمور إن الله يعرفني أكثر من زوجتي دوتي، وأكثر من أي إنسان آخر على وجه الأرض. إنه يعرف كل أفكاري، حتى قبل أن أفتكر بها، ويظل يقبلني دون أي تحفظات أو شروط.

وينطبق الأمر نفسه على الجميع. عليك توصيل هذه الحقيقة لأبنائك بأي طريقة ممكنة، وكلما أمكنك ذلك. الإله نفسه الذي يعرفك ويعرفني أكثر من أي شخصٍ آخر، يحبنا أكثر من أي شخصٍ آخر!

لقد تكلمت هنا عن قبول ومحبة الرب لنا لأني أعلم أن الكثير من الآباء يصارعون مع فقر تقديرهم الذاتيّ وضعف صورتهم الذاتية. قد تكون نشأت في بيت لم تلق فيه القبول المطلوب، أو لم تلق سوى القبول المشروط بحسن الأداء (قبول مشروط). ولكن عدم نشأتك في بيئة مثالية لا يعني أنك لا تستطيع أن تحطّم هذه الحلقة مع أولادك.

إذا كنت ستستفيد من شيء واحد فقط من قراءة هذا الكتاب، نأمل أنا وديك أن يكون هذا الشيء هو إدراكك لقبول الرب غير المشروط لك، وأنه أيضًا سيعطيك القوة لتقبل أولادك بشكل غير مشروط. لا يعني ذلك أنه عليك أن تصبح كاملًا. ولا يعني أيضًا ألا تغضب أحيانا من تصرفات أبنائك. ليس هناك إنسان يستطيع إظهار الصبر الكامل والقبول التام. الله هو الوحيد القادر على ذلك. ولكن الله مثلنا الأعلى العظيم، هو أيضًا مصدر قوتنا لنقبل أولادنا **بشروط أقلّ**، ولنثبت لهم أنهم ليسوا في حاجة لكسب قبولنا أو قيمتهم الذاتية.

قبول كيلي—وجيم بيكر

عندما كانت كيلي في سِن الثالثة عشرة، أعطتني فرصة ذهبية لأبرهن لها أني أحبها لشخصها هي وليس من أجل ما تفعله—أو ما لا تفعله.

ذهبت في إحدى المرات لأصطحبها من المدرسة إلي البيت، وقررت أن أقف لأستقبلها عند باب الخروج. في أثناء ذهابنا نحو السيارة، سألتني، "أبي، ما رأيك في جيم بيكر؟"

كانت أخبار جيم وتامي بيكر تملأ النشرات الإخبارية، ولكني لم أكن أعلم أنهما أصبحا مادة للحديث في مدرسة إعدادية مدنية. كلما سألني أحد أبنائي سؤالًا صعبًا، وعادة أجيبهم أيضًا بسؤال، حتى أتعرف أكثر على سياق تفكيرهم مما يسمح لي بالإجابة (ويعطيني أيضًا الوقت للتفكير).

أجبتها: "لماذا تسألين؟"

"لقد قضينا حوالي الساعة اليوم نتحدث عن جيم بيكر، وكل ما فعله مع جيسيكا هان... كنت فقط أتساءل عن رأيك فيما فعل."

دارت في ذهني جميع أنواع الإجابات. فكرت فيما قد يقوله معظم الآباء المسيحيون، وأيضًا غير المسيحيين: "شيء فظيع. شيء مثير للغثيان. يجب أن يُطردوا خارج الخدمة... أعتقد أنه ليس حتى مسيحيًا حقًا!"

كنت قد سمعت بعض القساوسة يقولون كلّ هذا لأبناء رعيّاتهم، وبينما كنت أتفهم مدى غضبهم، فكرت في شيء آخر أيضًا. كلّ قسيس يقول لرعيته مثل هذا الكلام عن جيم بيكر، كان يخبرهم ضمنيًا بالآتي: "إذا وقعت في أي مشكلة، لا تأتي إليّ كقسيس كنيستك." وكان يقول ذلك على الأخص لكل فتاة شابة في الكنيسة "كقسيس كنيستك، سوف أحبك وأقبلك طالما بقيت طاهرة، ولكن إذا حبلتِ من دون زواج، سوف أدينك."

والآباء المسيحيون الذين كانوا يتكلمون عن جيم بيكر بلهجة سلبية بها إدانة، كانوا يقولون لأبنائهم ضمنيًا: "إننا نحبكم ونقبلكم طالما ظللتم بعيدين عن المخدرات، والكحوليات، أو إذا لم تحبلن بدون زواج."

فكيف أجيب إذًا؟ كيف أقول لإبنتي ذات الثلاثة عشر عامًا رأيي في الخطية، دون أن أدين الخاطئ؟ بلعت لعابي، وعضضت شفتي، ثم قلت لها: "يا حبيبتي، ما فعله جيم بيكر خطأ. ما فعله كان خطية."

ثم شرحت لكيلي لماذا يعتبر ما فعله خطية، ما معنى مقابلة جيم بيكر لجيسيكا هانا في غرفة بأحد الفنادق. ثم استطردت:

"ولكن يجب أن تدركي يا كيلي، ويجب أن يدرك زملاؤك في الصف أن الله يحب جيم بيكر بالضبط كما يحبك ويحبني. يجب أن يدركوا أن المسيح مات من أجل جيم بيكر بالضبط كما مات من أجلك ومن أجلي. إذا لم يغفر الرب لجيم بيكر، فلن يغفر لكِ أو لي."

ظلت كيلي صامتة للحظات في طريقنا للسيارة. وفي أثناء ذلك، كنت أحاول أن أختار الكلمات المناسبة لأخبرها بما أريدها أن تعرفه: **أنا لا أحبك لأنك عذراء. إذا حبلتِ دون زواج يمكنك أن تأتي إليّ، لأني كما أودّ أن أنقل نعمة الله لجيم بيكر، أريد أيضًا أن أنقلها لكِ؛ إبنتي.**

تنفست بعمق، أوقفت كيلي وأدرت وجهها ناحيتي، وقلت لها "يا حبيبتي، فلننظر للموضوع بواقعية. هل تتخيلين ما سيحدث لي إذا حبلتِ؟ سوف يصلبونني. سوف ينقلب عليّ نصف شعب كنيستنا. قادة الكنائس، الجرائد والمجلات، الصحفيون، المبشّرون من جميع أنحاء البلاد—سوف أكون فريسة لهم."

نظرت إليّ كيلي وعيناها الزرقاوين متسعتين قلقًا، وقالت لي: "أعرف يا أبي."

"ولكني أريدك أن تعرفي شيئًا واحدًا." ثم قلت "إذا حدث وحبلتِ، لن أهتم بما يقوله شعب كنيستنا. لن أهتم بما يقوله المبشرون، والقساوسة، وقادة الكنائس، والصحفيون... أو أي شخصٍ آخر. سوف أتحول عنهم جميعًا، ولكني لن أتحول عنكِ أبدًا، سوف أحيطك بذراعيّ ونعبر الأزمة معًا."

في تلك اللحظة، تركت إبنتي ذات الأعوام الثلاثة عشرة حقيبتها على رصيف موقف السيارات وأحاطتني بذراعيها وبدأت تبكي، وقالت "أعلم يا أبي!"

"حسنًا" قلت لها ضاحكًا، "سوف أظل أذكّرك"، وقلت في داخل نفسي، **وسأذكّر نفسي أيضًا.**

كان هذا الموقف منذ عدة سنوات. منذ أن تحدثنا أنا وكيلي عن جيم بيكر للمرة الأولى، ظللت أذكرها في مناسبات عديدة أني أقبلها، وأني أثق بها وأحبها بغض النظر عما سيأتي في المستقبل. قد يظن البعض أن في تصرفي هذا مخاطرة كبيرة، وأن كيلي قد "تقبل العرض." أو قد تتخلى عن حرصها، وتفكر "لا يهم—أبي سوف يحبني بأي حال." ولكني لا أهتم بهذا، لأني أثق بها بالفعل، وأثق أن علاقتنا قوية.

ولكن ماذا أفعل، إذا حدث شيء مثل الحمل بدون زواج مع إحدى بناتي، كيلي أو كايتي أو هيذر؟ ستكون صدمة لي بالتأكيد، ولكني أصلي أنه إذا حدث ذلك أن يعطيني الله القوة لأكون الأب الذي أرادني أن أكون. وإني أؤمن أنه سيعطيني القوة والحب لأحيط إبنتي بذراعيّ ونعبر الأزمة سويًا.

قبول تينكر بيل، وغبار الجنيات

تتوقف قدرتك على قبول طفلك في الأزمات الحادة، مثلا، حين تقول الابنة لأمها: "أمي، إني حبلى"، على قبولك لهم في المواقف العادية التي يتعرضون لها يوميًا. لقد ذكرت في الفصل الأول من هذا الكتاب مدى إنبهاري بأبوي دوتي عندما كنت أواعدها. كانا يظهران قبولهما لها بطرق شتى، وعلمت بعد ذلك أنهما لم يفعلا ذلك فقط لإبهاري كضيف في منزلهما.

كان لوالدة دوتي تحديدًا قدرة حقيقية على الإبتهاج بأطفالها. كان يمكنها أن تعبّر لأبنائها عن فرحها بهم في جميع تعاملاتها معهم، لفظيًا أو من خلال لغة الجسد. كان يمكنها الدخول إلى عالمهم ورؤية الحياة كما يرونها هم. كانت لديها القدرة أن تقفز إلى عقولهم وترى الأمور بعيونهم.

على سبيل المثال، عندما كانت دوتي في السابعة من العمر، كانت قصة بيتر بان من قصصها المفضلة. وكانت تحب أن تحيا في عالم الخيال، وتتخيل نفسها داخل القصة وتلعب في كلّ مرة دور شخصية مختلفة من شخصيات القصة. في أحد الأيام، بينما كانت والدتها مشغولة في أحد أركان المنزل، نزلت دوتي إلى القبو ووجدت فيه صندوقًا كبيرًا من مسحوق الغسيل. وضعت دوتي يدها في المسحوق وتذكرت غبار الجنيات التي كانت تستعمله الجنية تينكر بيل في قصة بيتر بان.

فكرت دوتي ذات الأعوام السبعة "سأفعل مثل تينكر بيل، وأنشر غبار الجنيات في كلّ مكان." فنشرت دوتي المسحوق في كلّ مكان في البدروم، وسرعان ما غطى "غبار الجنيات" كلّ شيء في الغرفة. شعرت دوتي بسعادة بالغة وغاصت في عالم بيتر بان الخيالي. ثم نظرت حولها ورأت الفوضى التي تسبّبت بها. جلّ ما جال في خاطرها "يا إلهي، سوف أعاقب..."

وبالطبع حدث ما كانت تخشاه، إذ أتت أمها بعد ذلك بلحظات واكتشفت الفوضى. لا نقدر أن نلوم أي أم كثيرة الانشغال على الإشتعال غضبًا من منظرٍ كهذا، ولكن هكذا تتذكر دوتي ما حدث:

"كان ردّ فعل أمي مختلفًا تمامًا. لقد دخلت إلى عالمي وفهمت النشوة التي شعرت بها عندما كنت أتخيل أنني الجنية تينكر بيل تنشر غبار الجنيات في كلّ

مكان. جلست أمي معي وعانقتني ثم أخذنا نتكلم عن مغامرات بيتر بان. دخلت في عالم الأحلام معي وسمحت لي أن أعيش ما أحسّت به مرة أخرى. ضحكنا على غبار الجنيات الذي كان يغطي المكان ثم قمنا بتنظيفه سويًا."

إني أحب قصة دوتي وغبار الجنيات لأنها توضح ماهية القبول بشكل رائع. لم تقبل والدة دوتي بالإتساخ. على العكس، لقد شرحت لدوتي أنها تسببت في فوضى لا بدّ أن يتم تنظيفها على الفور. ولكنها في الوقت نفسه، لم تدمِّر الشعور الجميل الذي شعرت به دوتي في أثناء لعبها. بدلًا من أن تضرب دوتي أو توبخها، عاشت معها تجربة كانت هامة بالنسبة إليها.

مشكلة غبار الجنيات هذه هي واحدة فقط من مرات عديدة تتذكرها دوتي، عبرت فيها أمها عن قبولها لأطفالها وسعادتها بهم. لم تكن أمًا متساهلة مع أطفالها ولم تتركهم ليفعلوا كلّ ما يحلو لهم. كانت دائمًا تبين لهم الصواب من الخطأ، **ولكنها كانت دائمًا تضع قبولها لهم أولًا وقبل كلّ شيء.**

لقد نشأت دوتي تسمع والدتها تقول "الأمومة أكثر إشباعًا من أي شيء آخر مررت به. إنه أفضل شيء يمكنني أن أفعله."

الطفل الذي لا يجد القبول يعيش في خوف

كان أكثر ما لاحظته في دوتي في بداية لقائنا أنها إنسانة واثقة من نفسها. وعرفت السبب بعد أن سمعت منها قصصا مثل "قصة غبار الجنيات". إن زوجتي دوتي مثال حي على أن القبول يبني الشعور بالثقة والأمان في الطفل. بعد زواجنا وولادة أطفالنا كنت أحيانًا أتعجب من المجهود الذي تبذله لإظهار القبول لهم. لقد كانت مثلًا أعلى لي، وتعلمت منها كيف أقبل أطفالي.

لا أستطيع أن أصف لكم الفوائد التي عاد بها قبولنا لأطفالنا طوال سنوات نشأتهم. أهم شيء يمكن للآباء أن يفهموه ويمارسوه مع أبنائهم هو القبول غير المشروط. لأن طفلك لن يشعر بالأمان إذا لم يشعر بقبولك غير المشروط له. الطفل الذي لا يشعر بالأمان، لا يقبل ضعفاته. الطفل الذي لا يشعر بالأمان لن يكون واضحًا أمام الآخرين. بمعنى أنه لن يعود من المدرسة ليشاركك بما حدث معه

خلال اليوم، ما قاله أو ما فعله أصدقاؤه. يعيش الطفل الذي لا يشعر بالقبول والأمان في خوف دائم—الخوف الذي يجعله يفكر "سوف يرفضونني، فمن الأفضل أن أصمت."

لهذا السبب لا بدّ أن يأتي القبول أولًا في بناء علاقاتك مع أبنائك. كلّما زاد قبولك لأطفالك أصبحوا أكثر صراحة معك بخصوص ما يحدث في حياتهم.

كما قلت من قبل، القبول غير المشروط ليس سهلًا، ولكي نكون صريحين، ليس ممكنًا طوال الوقت أيضًا. الله هو الوحيد الذي يقدر على القبول المطلق. أنا محدود القدرات كإنسان خاطيء، ولكني أؤمن أنني أنمو دائمًا نحو المثال الإلهي.

أحيانًا يرتكب أحد أبنائي شيئًا ما يجعلني أعضّ شفتي، وأتنفس بعمق، أو حتى أذهب لكي أتنزه لبعض الوقت. لأني كثيرًا ما أبالغ في عقابهم—وعلى الأخص منعهم من الخروج لفترات طويلة، ثم أعود بعد ذلك لأعتذر وأخفف العقوبة. ولكن ضعفي في ممارسة القبول غير المشروط تعوّضه قوّة الروح القدس، الذي يعطيني قدرات لم أكن أعلم أني أملكها.

نلخص هذه الفصول الأولى ونقول، القواعد بدون العلاقات الشخصيّة تؤدي إلى التمرّد. ولكن عندما تبني علاقة قوية مع أبنائك—علاقة أساسها قبولك لهم—لن يتمرّدوا عليك بل سيتجاوبون معك. قد لا تحصل دائمًا على إستجابة مطيعة، ولكنها ستكون في إطار من الثقة وليس من الخوف، لأن ابنك سيتأكّد أنك تحبّه **مهما حدث**.

هذه الثقة في محبتك لهم لا بدّ وأن تأتي من القبول. كما ينطبق هذا أيضًا على محبة الله لنا. يعتقد بعض العلماء أن بولس الرسول يعبّر عن بعض من أعمق أفكاره عن الكنيسة في رسالته إلى أهل أفسس. ما يقوله بولس الرسول عن الكنيسة—أسرة المؤمنين التي تمتد حول العالم—يمتد إلى أسرتك أيضًا. يقول بولس في بداية رسالته لمسيحيي أفسس "...إذ سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، **حسب مسرة مشيئته.**" (أفسس ١: ٥)

إن الله يقبلنا لأنه يريد أن يقبلنا، ليس لأنه مضطرّ أن يقبلنا. القبول هو إختيار. في الفصل القادم سوف يخبرنا ديك داي كيف تعلّم هذه الحقيقة في دولة صغيرة على بعد آلاف الأميال، وكيف غيّر هذا السرّ أسرته إلى الأبد.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. يبدأ هذا الفصل بقصة عن المثلجات التي أهداها جوش لفريق ابنه للبيسبول في أول خسارة في الموسم. هل احتفلت مع أبنائك عند خسارتهم في مباريات دوري الصغار، أو أية مسابقة أخرى؟ لماذا لا تحاول وترى ماذا يحدث؟

٢. كيف تحاول إكتشاف "إنحناء" أبنائك—شخصياتهم واهتماماتهم ومواهبهم الحقيقية؟ ناقش مع شريك حياتك مخاطر الوقوع في خطأ "التربية القياسية"—أن تعامل جميع أبنائك بالطريقة نفسها طوال الوقت. ناقشا المعاملة المناسبة لكل طفل، ولماذا؟ شجعا بعضكما البعض على تربيتهما بتلك الطرق.

٣. ماذا لو حبلت ابنتك، أو حبلت فتاة أخرى من ابنك؟ هل يمكنهما أن يشاركا ما فعلاه بدون الخوف من رفضك لهما؟ هل قلت لهما ذلك؟

٤. فكّر بما يمكنك أن تقوله أو تفعله في الأسبوع القادم لتقول لطفلك: " أنت أفضل أنت في العالم!"

٥. هل تتعاطف مع جوش عندما يقول أن قبوله لأطفاله ليس سهلًا دائمًا، وأنه أحيانًا يجب عليه أن يكبح جماح نفسه ويترك المكان؟ على من يعتمد ليساعده في لحظات ضعفه؟ إجعل هذه الصلاة صلاتك اليومية:

"يا إلهي، ساعدني أن أتذكر في هذا اليوم أنك تقبلني دون شروط، ومهما يحدث، إني أريد أن أقبل أبنائي بالطريقة نفسها أيضًا، بالحكمة والقوة اللتين ستمنحني."

٦

القبول يقول "أنت إنسان مميّز"
(ديك داي)

قضيت عدة سنوات في عملي في الإستشارات الأسرية في مجتمع نيوبورت بيتش الثري في ولاية كاليفورنيا الأمريكية. من أصعب الحالات التي قابلتني، حالة سيدة شابة في منتصف الثلاثينات من عمرها، كانت بحاجة شديدة للحب والقبول. ولكن كانت المشكلة أنها لا تريد الحديث عن الحب أو عن الله؛ مصدر الحب والقبول.

نشأت جانيت كطفلة وحيدة لأب مستبدّ قاسٍ في الحكم عليها ويشعرها دائمًا أن ما تفعله ليس كافيًا—وبأنها ليست كافية. المستبدّ هو حاكم متسلط ومتكبر وله القوة المطلقة. وكان أباها يطابق هذا الوصف تمامًا، وكان يستخدم قوته تلك بأفظع الطرق؛ بإساءته لها بدنيًا وجنسيًا.

لاحظت على الفور أنني كلما ذكرت الله كانت جانيت تتصلّب، وتمرّ سحابة على وجهها. كلمة "الله" تعني الأبوة مما كان يذكّرها بأبيها، ويذكّرها باليأس والخوف والألم اللذان عرفتهما في طفولتها.

وبالطريقة نفسها، كانت كلمة "حب" تحرك فيها مشاعر قوية، ولكنها ليست مشاعر إيجابية. كانت جانيت تسلم نفسها لأي شاب يدقّ على بابها لتسمع فقط كلمة "أحبك"، لأنها لم تشعر بأي حبّ من والدها— لم تشعر سوى بالإساءة فقط. وبالطبع إستجاب لطلبها الكثيرون حتى يحصلوا منها على ما يريدون. كانوا يقولون لها "أحبك" حتى يستغلونها. فأصبحت حتى كلمة "الحب" تمثل لها جرحًا كبيرًا.

لم تحصل جانيت على أي شيء طوال حياتها بينما حصل الآخرون، على الأخصّ الرجال، على كلّ ما أرادوه منها.

في البيت، لم تعرف جانيت سوى الحدود والقواعد التي وضعها والدها المستبِد المسيطر، والتي بلغت مبلغها مع إساءته الجنسية لها. كان من الواضح أن جانيت تتمرّد على أبويها؛ الأرضي والسماوي، بتسليم جسدها وروحها لأي رجل يقبل بها. كانت تمثل حالة قصوى لما قد يحدث لشخص إضطربت حياته بشكل كبير.

كانت الطريقة الوحيدة لمساعدة جانيت هي أن أساعدها على إدراك أن الله أب سماوي محب، ليس كأبيها الأرضي الضعيف الفاسد. ولأبني الثقة بيني وبينها، فعلت شيئًا قد يجعل أصدقائي المسيحيين يفكرون أنني قد أصبحت ليبرالي التفكير. بدأت أحدث جانيت عن "الكائن" الذي يحبّها. أخذت صورة الأب والمشير، ليس لأقرّبها مني، ولكن لأقرّبها من خلالي؛ الإنسان الذي خُلق على صورة الله، إلى الأب السماوي، وهو الدور الذي أراده الله لكل أب وأم على الأرض. في النهاية، بعد أن أظهرت لها القبول والتقدير، أصبح لي مطلق الحرية أن أتكلم عن الله ومحبته. وأخيرًا سعدت برؤية إستجابتها ليس لمشورتي فقط، ولكن لمحبة الله أيضًا.

التمرّد يقول "أرجوك أنظر إليّ، أرجوك أحببني!"

يظهر التمرّد في صور مختلفة عندما لا يشعر المرء بالقبول. كانت جانيت من الحالات المعقدة ولكن يمكنك أن ترى نتائج عدم القبول على اختلاف أنواعها. على سبيل المثال، كنت قد عملت في فترة من الفترات كمشيرًا في المدارس الحكومية، في أثناء عملي في عيادتي الخاصة، وكانت أحد مهامي تدريب المدرّسين على الإشراف على ساحة المدرسة في أثناء فترة الراحة اليومية. أخبرني المدرسون أن حوالي ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة من تصرفات التلاميذ الشقية تحدث على بعد عشرة خطوات منهم. مما بدا غريبًا للكثيرين منهم. كانوا يظنون أن التلاميذ يسيئون التصرف على الأطراف البعيدة من ساحة المدرسة حيث لا يراهم أحد.

على العكس تمامًا. شرحت للمعلمين أن التلاميذ يحاولون أن يقولوا لهم "أنا هنا. إني أريد حبّك. وإلا فأريد أن تراني—وسوف أفعل أي شيء لأحصل على انتباهك."

هؤلاء الأطفال لم يحصلوا على الحب في بيوتهم—أو حتى على الكراهية. لا بدّ أن ينتبه الشخص لأحدهم حتى يكرهه، وآباء هؤلاء الأطفال لم يكونوا منتبهين، بل كانوا غير مبالين. أسوأ إهانة لكرامة أي إنسان هي أن تعامله كما لو كان غير مهمّ، كما لو كان غير موجود من الأصل.

كان هذا السلوك ينطبق على الأطفال من سِن الحضانة حتى سِن الصف الثامن، ولكن لم يكن ليختلف شيئًا إذا كانت المدرسة تتضمن أيضًا الصفوف من التاسع حتى الثاني عشر. بالطبع سيكون تعريف سوء التصرف أكثر تعقيدًا بين طلبة المرحلة الثانوية، ولكنه كان لا يزال موجودًا.

ما أريد أن أقوله هو أن **كلّ إنسان يريد أن يكون مقبولا**، على الأخص الأطفال. وإن لم يحصلوا على القبول بطريقةٍ ما، سيحاولون الحصول عليه بطريقة أخرى قد تكون "غير مقبولة" بالنسبة لمن حولهم. لماذا؟

نعتقد أنا وجوش أن السبب يكمن في كيفية خلق الله للإنسان وتعامله معه. إننا نهتم كثيرًا بالقبول لأنه أول حجر وضعه الله في بناء شخصية الإنسان. الله، الأب السماوي، يريد أن يغيّر أطفاله من سلوكهم، ولكن قبل أن يحاول أن يغيّرنا يأتي لنا حيثما كنا—برحمته. وما هي الرحمة؟ هي القبول غير المشروط. يعلمنا الكتاب المقدس بكل وضوح أننا لا نحتاج أن نغير من أنفسنا حتى يقبلنا الله. إنه يقبلنا كما نحن؛ بخطايانا.

وكلما فهم الآباء هذه الحقيقة، تحسّنت علاقتهم بأبنائهم. أحد الإحتياجات الأساسية التي وضعها الرب فينا هي الحاجة **للشعور بالأمان**—فكرة أننا مقبولون، وأن لنا قيمة، هي أساس التقدير الذاتيّ الصحيح.

أشار عالم النفس ناثانيال براندون، صاحب الكثير من الكتابات في الصورة الشخصيّة، أن الإحتياج للتقدير الذاتيّ هو إحتياج فطري في البشر. ولكن ما ليس فطريًا هو معرفة كيفية إشباع هذا الإحتياج أو المعايير التي تقيسه. لا بدّ أن يكتشفها كلّ إنسان بنفسه. للأسف، الكثيرون يدمّرون أنفسهم في محاولتهم لإشباع إحتياجهم للتقدير الذاتيّ.

الأغطية الخاطئة لن تساعدك في تركيب صورة للحياة

هل جربت تركيب صورة مقطَعة إلى أجزاء صغيرة من قبل؟ يبدأ معظم الناس بنشر القطع أمامهم أولاً ثم ينظرون إلى غطاء العلبة، لكي يفهموا شكل الصورة. يمكنك بإستخدام غطاء العلبة أن تبدأ بتكوين الأركان وزوايا الصورة ثم تتحرك نحو الوسط. تعطيك الصورة على غطاء العلبة فكرة عن تصميم اللوحة—تكوين الصورة.

الحياة أيضًا مثل هذه اللوحة، بكل ما في الكلمة من معنى، ولكن المشكلة فيمن يحاولون تركيبها مستخدمين غطاء صندوق آخر. كما لو كان أحدهم قد بدّل أغطية الصناديق بدون علمهم، وهم يحاولون أن يحلوا لغزًا مستخدمين المخطط الخطأ.

في عملنا مع الآباء والشباب، تعرفنا أنا وجوش على أربعة على الأقل من الأغطية الخاطئة في الحياة: المظهر الخارجي، الأداء، المنصب، والممتلكات.

لم أقابل بعد شخصًا لم يصارع، بشكلٍ أو بآخر، مع **مظهره الخارجي**. في كتابه "**إبحث أو اختبئ**" كتب د. جيمس دوبسون فصلًا كاملًا عن "ذهب القيمة الإنسانية"—أو بمعنى آخر الجمال.[1]

ولكن مهما حاولنا، ومهما صرفنا الملايين من الدولارات كأمة تحاول أن تتجمل، سنظل دومًا نطارد هذا الغطاء الخاطئ إن كنا مهتمين بمحاولة إيجاد مفتاح القيمة الإنسانية. هذا التشديد الخاطئ على المظهر الخارجي، قد يفضي إلى الغطاء الخاطئ التالي—**الأداء**. هل تتذكر دامبو، الفيل صاحب الأذنين الكبيرتين؟ لقد رفضوه بسبب مظهره الخارجي، فماذا فعل؟ عوّض ذلك النقص بتعلّمه الطيران.

يعتقد الكثيرون أنهم غير مقبولين على مستوى المظهر الخارجي فيعوضون عن ذلك بالأداء. كما سنرى في الفصل القادم، من المهم أن نقدّر الأداء الجيد للطفل ولكن بعد أن يصل للإقتناع التام أن الأداء ليس له علاقة بالقيمة الشخصيّة.

"جيد" الدرجة التي دفعته للتفكير في "hara-kiri"

أحضر لي أحد قساوسة الجامعة شابا يحتاج للمشورة لكونه على عتبة الإنتحار. كان يدرس في السنة التمهيدية لكلية الطب في جامعة مرموقة، وكان قد حصل على

أول درجة "جيد" خلال أربعة عشر عامًا من الدراسة. إني أذكر جيدًا أني خرجت للإحتفال عندما حصلت على أول درجة "جيد." ولكن هذا الشاب دفعه هذا التقدير للتفكير جديًا في الإنتحار.

كان هذا الشاب الابن الأكبر لعائلة يابانية. إن كنت على دراية بالثقافة الآسيوية، ستدرك على الفور أنه كان تحت ضغطٍ شديد. كان شعوره بالقيمة الذاتيّة يتوقف بالكامل على أدائه، وهو الآن قد "فشل" بحصوله على درجة جيد بدلًا من ممتاز. لذلك نظرنا إلى تهديده بالإنتحار بشكل جديّ. لحسن الحظ، تمكّنت من العمل معه وتغيير وجهة نظره.

الممتلكات والمناصب هي أيضًا أهداف زائفة

بالإضافة إلى المظهر الخارجي والأداء، هناك أيضًا غطاء زائف اسمه **الممتلكات**. منذ طفولتنا، نجلس أمام صندوق تتقدمه شاشة تأتينا عليها رسائل مادية بشكل يومي، تخبرنا بمختلف الطرق "إشترِ! إبتع! إمتلك!" في إحدى الدراسات، قدّر الباحثون أنه عندما يصل الشاب إلى سنّ التخرج من المرحلة الثانوية، يكون قد شاهد أكثر من ثلاثمائة وخمسون ألف إعلان تجاري.[٢]

كما يشير ستيفن إيري في كتابه الرائع "**إهزم وحوش العالم**" أن خبراء الإعلانات يخبروننا بعشرات الطرق أننا كلما إمتلكنا أكثر كان شعورنا أفضل حيال أنفسنا. لا بدّ أن نمتلك السيارة الصحيحة، المنزل الصحيح، الملابس الصحيحة، ومعجون الأسنان الصحيح. وعندها سوف تُحلّ كلّ مشاكلنا.

تقول أغنية حوريات "ماديسون أفينيو" أن أي شيء ممكن—النجاح، سلام النفس، السعادة—إذا إشترينا وامتلكنا. تنادينا الحملات الإعلانية "... حتى نصدق أن هويتنا مرتبطة بممتلكاتنا. أصبحنا نفكر على الشكل التالي: 'قيمتي في ممتلكاتي' لقد أصبحنا ما يقال عليه 'مستهلِك'."[٣]

وأيضًا مع الممتلكات، نطارد جميعًا غطاء العلبة المسمى بالمنصب. يبدو أننا نولد بموهبة طبيعية في لعبة "التقدم على الآخرين." لقد أمضى يسوع ثلاث سنوات

يحاول أن يعلم تلاميذه ألا يكون إهتمامهم الرئيسي تجميع الممتلكات أو "الصعود" على سلم النجاح. ولكنه كان يتحدث دوما عن "الكنوز السماوية" (متى ٦: ١٩-٢١).

نقرأ في إنجيل مرقس أن يسوع كان مسافرًا مع تلاميذه، وبعد يومٍ طويلٍ وصلوا إلى وجهتهم أخيرًا، وسألهم يسوع "بماذا كنتم تتكلمون فيما بينكم في الطريق؟"

لكنهم صمتوا فجأة. لم يرد أيّ منهم الإعتراف أنهم كانوا يتجادلون عمّن سيكون الأعظم منهم في الملكوت. فأجلسهم يسوع جميعًا وقال لهم: "إذا أراد أحد أن يكون أولًا فيكون آخر الكل وخادمًا للكل" (مرقس ٩: ٣٣-٣٥).

بجملة واحدة قاطعة، أكّد يسوع لتلاميذه أنهم متساوون في القيمة. قيمتهم كبشر لا تقاس بمن هو "الأعظم." ولكن بدلًا من ذلك، يرسم لهم يسوع صورة خادم يشعر بالأمان بدرجة كافية تجعله يرضى بكونه في الآخر وليس أولًا. هذه هي القيادة الحقّة، والعظمة الحقيقية.

بعدما علمهم يسوع هذا الدرس عن الإتضاع والخدمة، أخذ يسوع طفلًا كان في المكان بين ذراعيه وقال لهم: "من قبل واحدًا من أولادٍ مثل هذا باسمي يقبلني، ومن قبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني" (مرقس ٩: ٣٧).

لماذا استخدم يسوع طفلًا صغيرًا كمثال؟ لأن التلاميذ كانوا يتجادلون عمن هو الأعظم بينهم، ويقيسون كلّ واحد بحسب إنجازاته، فقرّر يسوع أن يلتفت للشخص الوحيد الذي لم يكن له أي إنجازات تُذكر.

لقد قصد يسوع أن يقول "لا بدّ أن تأتي إليّ كما يأتي طفلٌ صغير—بدون إدعاء أو نفاق. ليس هناك أي داعٍ لتريني عملك أو إنجازاتك—أو أي مبرر حتى أحبك أنا أو أبي السماوي. إننا نحبك كما نحب الطفل الصغير الذي يأتي إلينا بكل ثقة."

إن قيمتك لا تكمن في إنجازاتك أو منزلتك. قيمتك لا تكمن في الأمور التي تمتلكها أو فيما تعمل. ولكن تكمن قيمتك **فيك أنت**؛ إنسانٌ خلقه الله على صورته ومثاله.

سبر أغوار "الله محبة"

حتى نفهم قصد يسوع مما قاله لتلاميذه (ولنا)، لا بدّ أن نعود ونفكر في جوهر الله. يوحنا التلميذ، الذي أكمل بعد ذلك مسيرة طويلة كرسول للمسيح، كان يحتاج هذا الدرس عن العظمة مثل أي تلميذٍ آخر أو أكثر. بالإضافة إلى الإنجيل المسمى باسمه، كتب يوحنا ثلاث رسائل لكنيسة المسيح. في واحدة من هذ الرسائل شارك يوحنا المؤمنين بحقيقة بسيطة ولكنها عميقة؛ "الله محبة" (١ يوحنا ٤: ١٦). الكلمة اليونانية للمحبة هي agape—وهي الحب المُضحي، غير المشروط، ليس به رغبة أو إحتياج للمِثْل.

لذا، يتضح من هذا التعريف أن طبيعة الله هي العطاء. محبة الله agape لا بدّ أن يكون هناك من يستقبلها—أي من يحبه. قد يبدو أن الله قد خلقنا جميعًا حتى يشبع احتياجه للمحبة. ولكن إن صحّ هذا، نكون قد وقعنا في مشكلة محيّرة، لأن حينها لن يكون الله كائنا ذاتي الإكتفاء. ولكن حلّ هذه المشكلة هو أن ندرك أن الله كان يُشبع حاجته للمحبة في داخل الثالوث. كان يُرضي طبيعته المعطاءة في ذاته الإلهية—الآب، الابن والروح القدس. لم يكن الله محتاجًا لأي شخص، ولكن نقرأ في سفر التكوين "نعمل (الآب والابن والروح القدس) الإنسان على صورتنا ... ذكرًا وأنثى." (أنظر تكوين ١: ٢٦).

لم يكن الله محتاجًا لنا، ولكنه أرادنا، وما زال يريدنا. إننا مخلوقات محدودة خُلقت على صورة الله غير المحدود. بمعنى أنه خلق فينا القدرة على الدخول في علاقات مُحِبة—معه ومع آخرين، وعلى الأخصّ مع أطفالنا. ولكن للدخول في أي علاقة ذات معنى، لا بدّ أن يتوافر شيئان أولًا: الإختيار والثقة.

لقد خلق الله فينا القدرة على الإختيار—بين الخير والشر. فشل في ذلك أول رجل وامرأة في الخليقة، وبقينا نحن ندفع الثمن منذ ذلك الحين. لقد اختار آدم وحواء الشرّ لأنهما لم يثقا في الرب وفيما قاله لهما. بينما شوّهت الخطية الأصلية صورة الله في الإنسان، ولكنها لم تمحها. لم يزل الله يحب الإنسان حبًا غير مشروط، حتى أنه أرسل ابنه الوحيد ليموت على الصليب حتى يثبت ذلك.

أرادني الله أن أتعلّم أكثر

بعد سنوات من عملي في المشورة الأسرية وصلت إلى قناعة بأننا نحتاج لمكان يجتمع فيه المسيحيون ليفهموا شخص الله وقيمتنا وتفردنا في نظره. لقد تركت في النهاية العمل الخاص وانتقلت للعمل في جوليان؛ وهو مجتمع ريفي صغير في وسط الجبال شرق سان دييجو بكاليفورنيا، لأساعد في تأسيس مركز جوليان؛ وهي منظمة لا تهدف للربح بل تهدف إلى مساعدة الناس من جميع الأعمار ومن جميع الفئات على رؤية ثقافتهم والعالم من وجهة نظر مسيحية. ولنحقق ذلك وضعنا دورة تدريبية تتضمن جميع جوانب الحقيقة الإلهية: الكتابية، النفسية، التاريخية والعلمية. كان هدفنا هو التأثير على **شخصية الإنسان كاملةً** وبنائها فكريًا، إجتماعيًا، شخصيًا، علاقيًا وروحيًا.

بعد ذلك، استقر جوش وأسرته في جوليان، وأصبح جوش مدرسًا في المركز. لأكثر من عشر سنوات شاهدنا هذا المركز يغيّر حياة كثيرين من المسيحيين؛ رجال الأعمال، ربات البيوت، تلاميذ المعاهد أو الكليات. وأيضًا الخدام، المرسلين والشباب من المؤمنين.

تضمنت مناهجنا دراسات لاهوتية، فلسفة، تاريخ، فن، علم نفس، وعلم إجتماع. وركزنا أيضًا في الدورة المكثفة التي تستمر إثني عشر أسبوعًا على علاقات كلّ دارس—مع الآخرين ومع نفسه.

أحد علامات البرنامج هي "التجربة البرية" التي تضمنت تسلق الصخور، الترحال، واختبارات البقاء على قيد الحياة، تهدف جميعها إلى تنمية مهارات الدارسين في التعامل مع الضغوطات.

كل ما تعلمته في معهد اللاهوت، وكل ما وضعته في المنهج الخاص بمركز جوليان، كان يركز بشكلٍ خاص على قبول الله غير المشروط. كنت أظن أنني قد فهمت هذه الحقيقة الرائعة، التي اكتشفتها عندما أصبحت مسيحيًا في أواخر العشرينيات من عمري. كنت متزوجًا ولدي بالفعل أربعة أطفال. بعد أن عرفت المسيح أقسمت أن أربي أبنائي طبقًا لمثال الله من القبول غير المشروط. لقد ربينا أنا وشارلوت أبناءنا الأربعة الأوائل طبقًا لفهمنا لهذا المبدأ الأعظم بين المبادئ الكتابية. ولكن، بعد ذلك بسنوات شعر الرب أني ما زلت في حاجة لتعلم المزيد.

كيف تجسّد اللاهوت

بعد ولادة طفلنا الرابع بستة عشر عامًا رزقنا الرب بجوناثان، وكنت حينها في منتصف الأربعينات من عمري. كان جوناثان طفلًا فريدًا. ولد جوناثان قبل موعده وكان وزنه لا يتعدى الخمسة أرطال. قد يقول البعض إن ولادة طفل جديد لشخص في منتصف الأربعينات هو حادث، أو على الأكثر "بركة غير مقصودة." ولكني أؤمن أن الله قد أرسل لنا جوناثان حتى نمرّ بتجربة تربية طفل كأب وأم مسيحيين منذ البداية.

بعدما أحضرنا جوناثان من المستشفى، كنت أدخل إلى غرفته كلّ ليلة، وأنظر متعجبًا أنه ابني. لا بدّ أن إبراهيم كان يشعر الشعور نفسه عندما ولد له إسحق في شيخوخته.

"يا إلهي، إنه ابني،" كنت أقول لنفسي. "أنظروا إلى هذا الصغير. أنظروا لشعره الأشقر. إنه لي—أشكرك يا رب!"

فعلت ذلك ليلة بعد ليلة، أسبوعا بعد أسبوع، وسنة بعد سنة. أصبح جوناثان بمثابة "وليّ العهد."

عندما كان جوناثان في عمر السادسة، حصلت أنا وشارلوت على فرصة للذهاب إلى كوريا في رحلة تبشيرية تحت رعاية الحملة الجامعية للمسيح. كانت لهذه الرحلة نتائج هائلة. في الليلة الختامية في يودو بلازا حضر ٢,٧ مليون مسيحيًا—أكبر تجمع من المسيحيين في مكان واحد في الوقت نفسه—للتعبّد والتسبيح للرب. أدمعت عيناي وأنا أسمع صوت أكثر من مليونين ونصف المليون يرددون هللويا.

تركت تلك الليلة أثرًا بالغًا في نفسي، ولكنها لم تغير حياتي. ولكن كانت تلك الزيارة إلى كوريا على وشك أن تغير حياتي، قبل موعد عودتنا بيومٍ واحدٍ فقط.

قبل ميعاد عودتنا بيوم، في صباح يوم أحد مطير، وجدنا أنا وشارلوت أنفسنا في ملجأ للأيتام على حدود سايول العاصمة.

لماذا ذهبنا إلى ذلك الملجأ؟ لم أكن بحاجة إلى وريث. لم نكن نريد المزيد من الأطفال—كان لدينا خمسة أطفال. كان أربعة منهم من الصبيان وبهم ستستمرّ عائلة داي، وسيستفيدون بأي ميراث قليل قد أتركه لهم.

لا، لم نكن بحاجة للمزيد من الأطفال، ولكننا أردنا أن نشارك أسرتنا ومحبتنا مع طفل لا يملك أسرة. أخيرًا، أحضر لنا المدير خمسة أطفال وسألنا "أيّ واحد تريدون؟"

"أيّ واحد تريدون؟" وضعتنا في موقف لا بدّ معه أن نختار. شعرنا كما لو كانت مياه باردة تُرمى علينا، لأننا أدركنا أنه لا بدّ لنا أن نختار طفلًا واحدًا ونترك الأربعة الآخرين. كان إثنان منهم رُضّعا، فعرفنا أنهما ليسا من أراد الله لنا. لم نكن نريد أن نبدأ أسرة ثالثة، ولكننا فقط أردنا أن نوسّع أسرتنا الثانية—أن نجد أخًا أو أختًا لجوناثان. فأصبحنا أمام خيارٍ من ثلاثة: فتاة في عمر الرابعة، صبي في عمر الخامسة، أو فتاة في عمر السادسة.

لم تمضِ على الفتاة الأصغر أكثر من دقيقة حتى تسلقت وجلست في حضني وابتدأت تحتضنني وتجعلني أتعلق بها بحديثها الرقيق. في حين أن الفتاة ذات الأعوام الست بدأت تتصرف كأمٍ صغيرة. بدأت تدلّل الرضيعين وتعتني بهما قبل أن يحملونهما بعيدًا. شعرت أيضًا أنها فتاة مميزة جدًا.

ثم التفتنا إلى الصبيّ الصغير ذو الخمسة أعوام والذي بدا أنه غير مبالٍ بالأمر على الإطلاق. إنسحبنا أنا وشارلوت وخرجنا خارج الغرفة وصلينا. ثم بدأنا نبكي. ثم صلينا ثانيةً، ثم بكينا مرة أخرى، ثم صلينا، ثم بكينا مرة ثالثة.

أشكر الرب أنه كان صباحًا ماطرًا لأني تمكنت من الخروج لأدع الأمطار تتساقط على وجهي. وإلا كان سيعتقد المدير أن الأمريكيون مفرطو الحساسية، وقد يمنعنا من تبني أي من الأطفال على الإطلاق.

لكن عندما صلينا، فهمنا بوضوح من الذي يريدنا الرب أن نأخذه معنا. وبقدرة الرب وحده، تأكد القرار حين قمنا باختيار الطفل نفسه من دون أن يعلم أحدنا إختيار الآخر. كان كلانا يتلعثم محاولًا تخمين إختيار الآخر.

في النهاية إخترعنا نوعا من أنواع "القرعة." عند إشارة معينة كان يجب على كلّ واحد منا أن يختار الطفل الذي يريد ويمثل رقمه بعدد أصابعه. إصبع واحد يعني الفتاة ذات الأربعة أعوام، إصبعين للصبي ذو الخمسة أعوام، وثلاثة أصابع للفتاة ذات الستة أعوام.

إخترنا في الوقت نفسه، واندهشنا أن كلّ واحد منا أظهر إصبعين. على الرغم من أن شارلوت كانت تظن أني أردت الصغيرة ذات الأربعة أعوام، وعلى الرغم من يقيني أنها أرادت الفتاة ذات الستة أعوام. لكن عندما أتى وقت الاختيار، وضع الرب في قلوبنا أن نختار الصبي ذو الخمسة أعوام.

ابتسم المدير، وأسرع لإعداد أوراق التبني. كنت أظن أنه بإنتهاء مرحلة الإختيار قد انتهت المرحلة الأصعب، ولكن الصراع الحقيقي لم يكن قد بدأ بعد. سألت نفسي فجأة **هل سأحب هذا الصغير مثل حبي لجوناثان—"ولي العهد" الصغير؟** ثم سمعت صوتًا خافتًا يقول لي "ديك، ماذا تقول دائمًا في ندوات الزواج والأسرة؟ الحب اختيار. ليس المهم ما تشعر به—ولكن المهم أن تأخذ قرار الحب."

وعرفت حينها أني لا بدّ أن أختار بالإيمان. كان لا بدّ أن أختار أن ألتزم نحو هذا الطفل—أن أظل أحبه طوال حياته بالضبط كما أحببت جوناثان أو أي من أخوته.

وقّعنا على أوراق التبني، وفي اليوم التالي كنا على متن الطائرة عائدين إلى بلادنا. كنت أفكّر في أحداث الأمس وفجأة طرأ على ذهني هذا التشابه.

"وليّ العهد" و"المختار"

لقد أعطانا الله جوناثان "ولي العهد" بعد أيام شبابنا، بالضبط كما أعطى إسحق لإبراهيم في أيام شيخوخته. والآن أصبح لدينا أيضًا "المختار"—تيمي الصغير، كما أسميناه. ثم، اتضح لي هذا التشابه. للمرة الأولى تجسد أمامي علم اللاهوت الذي ظننت أني قد درسته جيدًا في المعهد. طبقًا لما تعلمته كنت أعلم أن الله هو الآب، وأن يسوع المسيح هو الابن ("وليّ العهد")، وكنت أنا، ديك داي، "المختار." أنا لم أختر الله، بل اختارني هو. كما هو الحال لأي مؤمن.

فماذا عن التشابه البشري المحدود؟ أخذت أنا دور الأب، وجوناثان هو "وليّ العهد" وأصبح تيمي الصغير هو "المختار."

كنت أتأمل في كلّ ذلك، وفهمت القبول من وجهة نظر جديدة. لقد اختارني الله وأحبني حبًا لا متناهيا وغير مشروط. وأنا اخترت تيمي وألزمت نفسي بهذا الحب

نفسه غير المتناهي وغير المشروط. لأني كنت متأكدًا من حب الله غير المشروط لي، تمكّنت من بناء الثقة نفسها في أبنائي.

يحتوي هذا الكتاب الكثير من الحقائق والأفكار العملية القيّمة في تربية الأطفال. ولكن أساس هذا الكتاب هو **القيمة المعطاة من الله لكل طفل**. يعتقد المسيحيون خطأً، أن هذه القيمة تعطى لهم فجأة عندما يؤمنون بالمسيح ويدعون على اسمه. يعتقدون أنهم كانوا بلا قيمة حتى تلك اللحظة، خطاة فاسدون متجهون نحو الجحيم. ولكن هذا ليس صحيحًا. قيمتنا ليست في مسيحيتنا، ولكن قيمتنا تتأكد لنا—أي تصبح أكيدة في قلوبنا وعقولنا—**من خلال** مسيحيتنا.

قد لا يبدو ذلك مهمًا من الناحية اللاهوتية، ولكن فكّر معي للحظة. إذا كانت تلك القيمة تُعطى للمسيحيين فقط، فلماذا نهتم بالأجنّة وضحايا المجاعات في أفريقيا؟ لا بدّ أن تكون الإجابة أنه على الرغم من سقوط الإنسان في الخطية تظل له قيمة لأنه مخلوق على صورة الله. نعم، لقد تلّطخت الصورة وتشوّهت، ولكنها ما زالت موجودة، وبالتبعية مازالت القيمة موجودة أيضًا. أساس قيمة الإنسان هو خطة الله العبقرية، وبرهن الرب عليها بالفداء، وضمنها بالخلاص. إن الله **ليس بحاجة إلينا**. ولكن في مجده يختار أن يحبنا، ليس لأنه **يحتاجنا** بل لأنه **يريدنا**.

كآباء مخلوقين على صورة الله يجب أن نعكس تلك الصورة لأطفالنا بحسب قدرتنا. أهمّ مسؤولياتنا هي أن نجعلهم يدركون أنهم أيضًا مخلوقون على صورة الله—وأن لهم قيمة حقيقية.

قضى تيمي عدة شهور منذ مجيئه إلى الولايات المتحدة الأمريكية كجزء من أسرتنا يتكيف معنا ومع الثقافة الجديدة. وفي أحد الأيام سألته "تيمي، هل تودّ العودة إلى كوريا في يومٍ من الأيام؟"

فقال هو "بالطبع لا."

"لماذا؟" سألته بفضول. لن أنسى إجابته أبدًا: "لأني شخصٌ مهمٌ هنا."

وهذه هي الخلاصة، أليس كذلك؟ يمكننا شرح القبول بمصطلحات لاهوتية، أو بمصطلحات علم النفس، ولكن المهم هو أن يكون بإمكاننا أن نقول "هنا—في أسرتي— **أنا شخص مهم**." أتمنى أن يتمكّن كلّ طفل في أسرتك من قول ذلك.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. في هذا الفصل يخبرنا ديك أن الأطفال بحاجة ماسّة لقبولك لهم، لدرجة تدفعهم للقيام بتصرفات غير مقبولة لجذب انتباهك. ماذا نتعلّم من هذا عن حاجتنا الماسّة للشعور بالقبول؟

٢. في هذا الفصل يخبرنا ديك عن "أغطية الصناديق الخاطئة الأربع" التي يستخدمها الناس أحيانًا لإشباع حاجتهم للقبول والشعور بالأمان، وهي: **المظهر الخارجي، الأداء، الممتلكات، والمنصب.** أيّ من هذه الأغطية الأربعة يمثل مشكلة بالنسبة لك؟ وأيها قد يمثل مشكلة لأطفالك؟ ناقش الأمر مع شريك حياتك لتقررا ما إذا كان سلوككما في هذه المجالات الأربع يعطي مثلًا أعلى إيجابيًا لأطفالكما. ما الذي يتعلمه أبناؤك من خلال مشاهدتهم لتصرفاتك وأسلوب حياتك؟

٣. يتحدث هذا الفصل عن تيمي، الطفل الكوري الذي تبناه ديك وشارلوت عندما كان في الخامسة من عمره. لقد تأكدا أن تيمي أصبح جزءًا من الأسرة عندما قال لهما إنه لا يريد العودة إلى كوريا "لأنني مهمٌ هنا." كيف تجعل كلّ أطفالك يشعرون أنهم "مهمّون هنا"؟

الجزء الثالث

التقدير: مفتاح الشعور بالأهمّية

كما رأينا في القسم الثاني، القبول هامّ جدا لأننا نريد أوّلا أن ندرك بأن كينونتنا هامّة. بعد القبول مباشرة يأتي التقدير - علينا أن ندرك بأن الأمور التي نقوم بها هي أيضا هامّة. نحن لا نبحث عن المديح، مع أن المديح هامّ جدا. التقدير له علاقة بالأهميّة - أي أن تشعر بأنّك شخص هامّ وأن الأمور التي تنجزها تُحدث تغييرا في الآخرين. لهذا السبب من المهمّ جدا أن يقدّر الأهل الأمور التي يفعلها أولادهم، لكن عليهم في الوقت نفسه أن يحذروا من معاملة أولادهم على أساس الأداء. الفصلان القادمان سيعالجان كيفية التعامل مع هذين الخطين، وستتعلّمون:

- لماذا يجب بناء التقدير على القبول
- كيف تقدّرون أولادكم من دون معاملتهم على أساس الأداء
- لماذا واحد من ثلاثة أشخاص يعيشون على أساس الأداء يتحوّلون إلى أشخاص لا يرضون إلا بالكمال
- الأخطاء التي يرتكبها كثيرون من الأهالي بينما يظنّون أنهم يفعلون الصواب
- سرّ تطبيق التقدير في منزلك على صعيد يوميّ
- عوارض من لا يرضى إلا بالكمال وكيفية معالجتها
- كيف تكون قدوة في التفوّق وليس في الكمال
- قوّة تلك الكلمة الصغيرة "لا"
- كيف يمكن للتنافس أن يتحوّل إلى سعي إلى الكمال وإلى عقلية "الربح هو أهمّ شيء"
- كيف تتنافس مع بدلا من أن تتنافس ضدّ واستخدام التنافس لكي تُصبح أفضل ما يمكن أن تكون عليه

٧

اضبطهم وهم يقومون بعمل جيد

لقد فعلت كلّ ما بوسعي لأطبّق المبادئ التي تعلمتها من خلال مشاهدة ديك داي، منذ أن كان أطفالنا صغارا. كنت أعلم أنهم يحتاجون للحب والقبول غير المشروطين، وكنت أفعل كلّ ما بوسعي لأعطيهما لهم كلّ يوم. ولكن كان عندي مشكلة صعبة—أنا.

على الرغم من أن معرفتي للمسيح في سنوات دراستي الجامعية حررتني من افتقاري للشعور بالقيمة الذاتية، إلا أنني تعلمت من خلال تجاربي الأولى مع الكنائس والمجموعات المسيحية أن الله محب، ولكنه يكره الخطية. فحتى ترضي الله كمسيحي يجب أن تكره الخطية أيضًا، وتحيا وفقًا لذلك.

بعد أن تزوجت دوتي ورُزقنا بالأطفال، تصرفت من مفهومي الأوّلي عن المسيحية معتقدًا أن وظيفة الأبوين هي أن يمنعا أبناءهما من الوقوع في الخطية. قلت لنفسي **لن أكون مرضيًا للرب إذا تساهلت مع أبنائي فأفسدت تربيتهم.**

لم أكن شخصاً عنيفًا، ولكن في سنواتي الأولى كأب كنت ما قد يسمّيه أبنائي "مزعج جدّا." كنت دائم الإستعداد للإنقضاض عليهم إذا إرتكبوا أي خطأ ولم أعطهم حقهم في الثناء عند عمل الصواب. كان يبدو كما لو كان أسلوبي في تربيتهم هو أن أتعمد الإمساك بهم يخطئون، أو على الأقل أن أمنعهم من إرتكاب الأخطاء. كنت أظن أن لدي التزام—لا، مسؤولية خطيرة—لتصحيح كلّ ما يفعلونه تقريبًا.

السرعة في النقد والبطء في الثناء

كان موقفي شديد الوضوح في تصرفاتي. على سبيل المثال، فلنفترض أني أجلس في مكتبي أكتب، والكتابة تتدفق من ذهني، ثم أتت إليّ دوتي وقالت: "عزيزي، لقد أتى شون لتوه من المدرسة وقد حصل على ممتاز في جميع المواد."

كنت أجيبها: "رائع يا عزيزتي، أريد فقط أن أنهي هذا الفصل، سوف أتحدث معه على مائدة العشاء."

وعندما يحين موعد العشاء، قد أتذكّر أن أتحدث معه وقد لا أتذكر. ما أودّ أن أوضحه أنه إذا فعل شون، أو أيّ من أبنائي ما يستحق الثناء، لم أكن أقفز منتهزاً الفرصة لأعبر له عن تقديري وفخري به.

ولكن لنفترض أن دوتي قالت: "لقد ضرب شون كايتي لأنها دخلت غرفته." كنت أجيبها: "**ماذا؟!** أرسليه إليّ حالًا. أريد أن **أتكلم** معه!"

ردّة فعلي على خبر أن ابني ضرب أخته الصغرى يختلف تمامًا. فجأة لم يعد الانتهاء من كتابة الفصل أمرا هامًا. الأمر لا يحتمل الإنتظار حتى وقت العشاء. لا بدّ أن أتعامل معه **الآن**، لا بدّ أن أؤدب إبني بالشكل الملائم.

يمكنني أن أعطيك أيضًا الكثير من الأمثلة المشابهة مع كيلي أو كايتي. (تذكر أن هيذر لم تكن قد ولدت بعد) لم أكن أدرك أنني كنت أعلّم أبنائي ما لم أريدهم أن يتعلموا: "أفضل طريقة لجذب إنتباهي هي أن **تخطئ**."

والآن، في لقاءاتي مع الشباب في أماكن مختلفة حول البلاد، يخبرني ١٥ من أصل ٢٠ شابا المشكلة نفسها؛ أن أفضل طريقة لجذب إنتباه آبائهم هي أن يخطئوا.

كنت أستمع مؤخرًا للبرنامج الإذاعي "ركّز على الأسرة." كان د. جيمس دوبسون يستضيف أربعة من الشابات اللواتي كنّ قد انخرطنّ في علاقات جنسية في سنوات مراهقتهن، وهنّ الآن في العقد الثاني من عمرهن يعانين من عواقب تلك العلاقات. كما أتذكر، ثلاثة منهن قلنّ: "أسرع طريقة لجذب انتباه أبي هي أن أخطئ."

لا أعلم متى كنت سأتوقف عن هذا التوجّه السلبي نحو التربية. كان من السهل جدًا أن أتصيد أخطاء أبنائي. كما أعطاني ذلك الفرصة لتبرير إستبدادي معهم، كنت أظن أني بذلك "أقوم بوظيفتي" كأب.

مدير الدقيقة الواحدة يهب للنجدة

في عام ١٩٨٤ عندما كانت كيلي في عمر العاشرة، وشون في عمر الثامنة، وكايتي في عمر الرابعة، كلمني الله من خلال أحد الكتب. لا، لم يكن الكتاب المقدس. ولكن أخبرني أحد أصدقائي عن كتاب صغير كان قد صدر قبل عام تقريبا—"**مدير الدقيقة الواحدة**."[١]

"**مدير الدقيقة الواحدة**" لكينيث بلانشارد وسبنسر جونسون، كتاب قصير وسريع عن كيف يمكن لمدير في أي شركة أو مؤسسة أن يساعد موظفيه على وضع الأهداف وتحقيقها من خلال الثناء المتكرر والتأنيب المؤثر. يقول المؤلفان أن مدير الدقيقة الواحدة يتحرك بين موظفيه محاولًا "ضبطهم يقومون بعمل جيد" وعندما يفعل ذلك، فإنه يظهر لهم التقدير والتشجيع على الفور.

لم أكن بحاجة أن أقرأ الكتاب بأكلمه لأفهم الفكرة. لم يكن الكتاب يتحدث عن التربية، ولكني تعلمت منه شيئًا كنت بحاجة ماسة إليه كأب. تغيرت نظرتي للأبوة، بدلًا من الإمساك بأبنائي يخطئون، تعلّمت أن أنظر لتعاملاتي معهم بطريقة مختلفة. وأصبح شعاري:

"حاول أن تضبط أولادك وهم يقومون بعمل جيد."

من الغريب كيف أن جملة واحدة فقط يمكنها أن توضح مبدأ أو مفهوما معينا. لقد اقتنعت قبلًا بإظهار القبول غير المشروط لأبنائي، ولكني كنت ما زلت في حيرة بخصوص تقديري لهم. لم تكن المشكلة أنني لم أمدحهم قط، ولكني كنت أمدحهم فقط بعد أن أتأكد من تصحيح كلّ أخطائهم. وبالطبع، من السهل أن يقع الأطفال في الخطأ، فيصبح اصطياد أخطائهم أمرًا في منتهى السهولة. وتتعقد المشكلة أكثر، إن أضفت إلى ذلك إعتقادهم أن أسهل الطرق لجذب انتباهي هي أن يرتكبوا الأخطاء.

إختفاء تعدد الشخصيات

كان جزءٌ مني يحاول أن يقبل أبنائي، والجزء الآخر يحاول تصحيح جميع أخطائهم. لا عجب أني شعرت أني مصاب بمرض تعدّد الشخصيات! ولكن كلّ شيء تغير عندما غيرت من نقطة تركيزي. بدلًا من تركيزي على ما يرتكبونه من **أخطاء**، بدأت أبحث عن الأشياء **الجيدة** التي يفعلونها. أصبح هدفي الجديد هو أن أجد شيئان على الأقل يوميًا أقدرهما في أطفالي، ثم أن أمدحهم على ما أجده.

لا أعلم إذا كانوا قد لاحظوا "التغيير الفوري" في شخصيتي، ولكن أنا قد لاحظته. لقد تغيرت نظرتي للتربية بشكل كامل.

كنت عندما أرى كيلي تستذكر دروسها، أتوقف وأقول لها "حبيبتي، إني أقدر أنكِ تستذكرين." إذا رأيت شون يلقي القمامة خارجًا، كنت أستوقفه وأقول له "شون، أشكرك لأنك تذكرت."

إذا رأيت كايتي ترتّب ألعابها كنت أقول لها "كايتي، حبيبتي، إني أقدر كثيرًا أنك تهتمين بألعابك."

كما بدأت أيضًا أمارس عادة جديدة، كنت أحاول أن أجد جميع أبنائي في مكان واحد تقريبًا—في غرفة الجلوس مثلًا—وأقف في وسطهم من أجل "جلسة تقدير." كنت أتوقف لمدة ثلاث دقائق، ومن دون أن أتفوه بكلمة كنت أسأل نفسي: **"ما هي الأشياء التي تقدّرها في أبنائك الآن؟"** ثم أحاول أن أسرد في ذهني حوالي عشرين أمرا من تلك الأشياء، أي بين أربعة أو خمسة أشياء لكل واحد منهم، وكنت دائمًا أنتهي قبل نهاية مهلة الدقائق الثلاث.

ساعدني هذا التدريب الصغير على تذكر كلّ ما أشكر الله عليه في أطفالي، كما ساعدني أن أكون دائم التأهب لأعبر لهم عن تقديري. ليس الأمر أنك لا تستطيع أن تجد ما تقدره في أبنائك؛ ولكن المشكلة في أن تبرمج نفسك **أن تخبر أبناءك بما ترى**—أن تثني على مجهودهم.

مازال لدى كثيرون من الآباء الذين أقابلهم وجهة نظري القديمة عن الأبوة، ويقولون لي: "هناك بعض الأشياء التي **يجب** على الطفل أن يقوم بها. لماذا أمدحه على قيامه بأمر عادي مثل إلقاء القمامة؟"

وإجابتي هي "لمَ لا؟ كيف تشعر عندما يمدحك أحدهم على القيام بوظيفتك؟"

يحبّ أي شخص أن يسمع رئيسه في العمل يقول "أقدر تعاملك مع هذه الصفقة." من منا لا يحب أن يطهو وجبة جيدة ويسمع جميع أفراد الأسرة يقولون "**وجبة رائعة**—ليس هناك أفضل منها!"

التقدير كمبدأ كتابي

وجدت أمثلة عديدة للتقدير من خلال دراستي للكتاب المقدس. عندما كان يسوع يعتمد من يوحنا المعمدان، عبّر أبيه السماوي عن تقديره له "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٧).

إذا كان الله الآب قد عبّر عن تقديره لابنه أمام العالم أجمع، فيمكنني أنا أيضًا أن أعبّر عن تقديري لأبنائي سواء في البيت أو أمام الناس.

كان الرسول بولس يعبر دائمًا عن تقديره "لأبنائه بالروح" الذين تبناهم من الكنائس الكثيرة التي أنشأها، كما اختار البعض منهم ليخصّهم بتشجيعٍ خاص. على سبيل المثال، لقد كتب إلى تيموثاوس ليخبره أنه يذكره في صلواته وأنه يشتاق لرؤيته، لأن إيمان تيموثاوس الصادق كان يملؤه فرحًا (٢تيموثاوس ١: ٣-٥).

إذا كان بولس قد أخذ الوقت ليعبر لتلميذه عن تقديره له، فيمكنني أنا أيضًا أن أصرف الوقت لأعبر عن تقديري لتلاميذي—الأبناء الذين أعطاهم الله لي لأدربهم وأرعاهم.

بطريقة أو بأخرى، كان بولس "مدير الدقيقة الواحدة" الأول. على الرغم من اضطراره للتأديب أحيانًا، على الأخص مع كنيسة كورنثوس، لكنه كان يحرص دائمًا أن يضبط المؤمنين يقومون بعمل جيد، ولم يتردّد أبدًا في تشجيعهم والثناء عليهم.

ما زلنا جميعًا نتعلم

أهم شيء في توجّه مدير الدقيقة الواحدة هو أن يفهم الإحتياج للمجاملة الصادقة. للأسف، نشأ الكثيرون بدون الثناء أو المديح الكافي، فتعلموا أن يحترسوا من المديح، إعتقادًا منهم أن من يمدحهم يخدعهم. لقد رأيت ذلك في أسرتي. حتى الآن، بعد تحولي بستة أو سبعة أعوام، مازال أبنائي لا يصدقونني أحيانًا. أستمتع أحيانًا بإيقاف أحدهم لأقول له:

"أريد أن أتحدث معك."

"نعم يا أبي. هل هناك من مشكلة."

"لا—أريد فقط أن أقول لك أنك قد قمت بعملٍ رائع!"

ثم أخبره بتفاصيل العمل الرائع الذي قام به.

ما زال كيلي وشون على وجه التحديد، يجدان صعوبة في قبول ثنائي عليهما. قد يقولان مثلًا: "حسنًا يا أبي، ماذا تريد هذه المرة؟"

لكني فقط أبتسم وأستمر في تقديري لهما—بصراحة، بحماس، أو حتى بشكل فظ أحيانًا—إنني أعلم أنهما يحتاجان للتقدير، وأرى أيضًا أنهما يحبّانه!

أعتقد أننا جميعًا نتعلم. إني أتعلم وهم يتعلمون بدورهم. ولكنني لاحظت أنه كلما زاد عدد المرات التي أضبطهم فيها يقومون بعمل جيد وأمدحهم عليه، قلّ الإحتياج لتوبيخهم أو تأديبهم. أصبح الثناء حافزًا لهم على حسن السلوك، وفي الحقيقة، قلّت في النهاية عدد المرات التي احتجت فيها إلى معاقبتهم.

على سبيل المثال، كنت كثيرًا ما أنتقد كيلي على إلقاء ملابسها في جميع أنحاء الغرفة. فبدأت أحاول بجهد أن أضبطها حين تضع ملابسها في سلة الملابس المتسخة، ثم أمدحها على ذلك. ولكننا ما زلنا لا نستطيع أن نسمي هذا نصرًا. نعم، يأتي التعبير عن التقدير بالنتائج المرغوبة، ولكن ليس على الفور.

كنت أوبخ هيذر على التعامل بشدة مع قطتها الصغيرة. فبدأت أمدحها عندما أجدها تعامل قطتها بلطف. لقد حصلت في النهاية على النتيجة المرغوبة، وأعتقد أن القطة على وجه الخصوص تشعر بامتنان لذلك.

تعامل مع التقدير بحرص

بعد كلّ ما قلته عن التقدير، يجب أن أحذرك. إذا لم يتأكد أطفالك من قبولك غير المشروط لهم أولًا، قد يتحول التقدير والثناء إلى أمر معاكس، حيث يعيش طفلك بهدف الأداء الجيد، قائلًا لنفسه، **إذا تصرفت بشكل جيد... إذا حصلت على درجة ممتاز... إذا أحرزت هدفًا... عندها سوف يقدرني أهلي.**

الحياة بهدف الأداء الجيد توّلد الشعور بالذنب. كثيرًا ما أسأل الآباء في المحاضرات إذا كانوا قد شعروا بالذنب بسبب فشلهم في مهمة ما، والقليلون فقط لا يرفعون أيديهم.

"لماذا؟" أسألهم: "ما علاقة الفشل بالأخلاقيات؟"

إنهم يفهمون. إننا لا نشعر بالذنب عندما نفشل في تحقيق شيء ما، ولكننا نشعر بالخزي. ويمنعنا هذا الشعور من قبول أنفسنا، لأننا نحيا على أساس الأداء. وهذا بالضبط ما حدث لي في صباي، أحاول أن أكون جيدًا، وأبحث دائما عن القبول الذي لم ألقاه من أبي.

لهذا أفعل المستحيل حتى يشعر أبنائي بالقبول أولًا، ثم بالتقدير بعد ذلك. على سبيل المثال، كيلي وشون، يحصلان على درجات مميزة طوال الوقت تقريبًا. وأنا أحاول أن أجلس معهما لمناقشة إنجازاتهما عندما يحصلان على شهاداتهما.

أصبح لتلك الجلسات طقسًا معينًا، أؤكد لهما من خلاله أنني أقدّر درجاتهما الممتازة، ولكني أريدهما أن يتأكّدا التالي: "حتى لو لم تحصلا على درجة مميزة، لن يتغير حبي وقبولي لكما."

في إحدى المرات، كنت أبدأ حديثي مع شون عندما قاطعني قائلًا: "أعلم يا أبي. حتى لو لم أحصل على أية درجة امتياز في حياتي ستحبني بالدرجة نفسها أيضًا."

أجبته قائلا: "بالضبط."

ثم ابتسم شون وقال لي وعيناه تبرقان: "ولكن، ألست سعيدًا أنني حصلت على درجة ممتاز في جميع المواد؟"

لا بدّ أن أعترف أن شون قد غلبني، ولكني لم أمانع. في الإصحاح العاشر من سفر التثنية، يقول الرب لبني إسرائيل إنه أعطاهم وصاياه لخيرهم (عدد ١٣). وهكذا أريد أن أربي أبنائي—أن أفعل الأفضل لهم، حتى إن لم يكن سهلًا عليّ.

قلت لشون: "نعم، أنا سعيد أنك حصلت على درجة ممتاز في جميع المواد، لأنك تلميذ ممتاز. وإذا كنت حصلت على جيد أو مقبول، كنت سأتضايق وأحاول أن أفعل شيئاً من شأنه أن يرفع من مستواك. لأنك إذا كنت قادرًا على الحصول على الإمتياز فلن أكون أفضل أب يمكنني أن أكونه إذا سمحت لك أن ترضى بجيد أو مقبول."

ولكن كان الأمر مختلفًا في حالة كايتي. إننا لا نضغط عليها، أنا ودوتي، لأنها في مستوى جيد إلى مقبول. كيف نعرف قدرات أبنائنا المختلفة؟ لأننا نراقبهم، نعمل معهم ونشجعهم. كما أننا نكون دائمًا على علم بمشاريعهم وواجباتهم المدرسية وأدائهم فيها.

كما أننا أيضًا نتناقش مع المعلمين في مدرستهم. لقد إجتهدنا أنا ودوتي لتكون لدينا علاقة جيدة مع المعلمين في مدرسة أولادنا، وطالما قدّرنا آراءهم، كما يقدرون هم أيضًا إهتمامنا. إنهم متأكدون من إهتمامنا بتعليم أولادنا، ونحن نثق أنهم يصدقوننا القول.

أريد لشون وكيلي أن يعرفا أني لن أكون أبًا جيدًا إذا تركتهما ليحصلا على "ممتاز" مرات قليلة فقط طوال فترة الدراسة الثانوية، وأنهم سوف يدفعان ثمن إهمالي هذا بعد ذلك. وينطبق الأمر نفسه على كايتي أيضًا. إذا تركنا درجاتها تنحدر أقلّ من المعدّل المطلوب، سنخذلها كأبوين.

أعطهم الحرية للإنجاز

إني أعترف أنه من الصعب الحفاظ على هذا التوازن. ولكن أفضل طريقة لتحقيق ذلك هي أن **تبدأ بالقبول أولًا، ثم تنتقل للتقدير بعد ذلك**. أعط أطفالك الشعور بالأمان، بالحب، وبالقيمة الذاتية حتى يشعروا أن لهم مطلق الحرية بأن يفشلوا. عند ذلك، يستطيعون فعلًا إطلاق العنان لقدراتهم. سواء كنا نتحدث عن درجاتهم المدرسية، أو قدراتهم في الرياضة، أو عن أي مسعى آخر، فإنهم يسعون إليه من منطلق شعورهم بالقيمة الذاتية، وليس من منطلق الحاجة للشعور بالقبول. إني أقول دائمًا:

إني أقدر مجهود أبنائي أكثر من إنجازاتهم، وأقدر قيمتهم كبشر أكثر من تقديري لمجهوداتهم.

أتساءل أحيانًا إذا كان تقديري لمجهود أبنائي يعتبر "شرطًا" قد يدفعهم للحياة على أساس حسن الأداء. قد يحدث هذا بالطبع، ولكن ما يطمئنني أني لن أتوقف أبدًا عن قبول أبنائي أولًا ثم تقديرهم ثانيًا. لن أصبح "خبيرًا" في ذلك أبدًا، سأظل أبذل الجهد لأكون أبًا يقبل ويقدّر أبناءه، مهما مضى من وقت.

لا أزال أصارع عدوّي القديم

من الصعب التغلّب على العادات القديمة. لو تخلّيت عن حرصي لوقت قليل فقط، أجد نفسي أعود مرة أخرى لعادة ضبط أبنائي يخطئون بدلًا من ضبطهم يفعلون شيئًا جيدًا. التغيير وظيفة لا تنتهي. ما زلت حتى الآن أحاول تغيير "التربية على طريقة الغضب الإلهي." عندما يسيء أبنائي التصرف، أول فكرة تخطر في ذهني هي أن أوبخهم. مهما حاولت، تظل طريقتي القديمة موجودة في داخلي.

هناك عائقَين لا بدّ أن أتغلب عليهما. أحدهما ذكرته بالفعل، وهو العادات القديمة. إذا لم أكن واعيًا لقبول وتقدير أطفالي، فإني لن أقبلهم أو أقدّرهم. إني أدرك مدى قيمة وأهمية ذلك. ولكن الأمر لن يكون في ذهني طوال الوقت، سوف أترك بعض الفرص تفلت من يدي، حتى أتوقّف تقريبًا.

العائق الثاني هو أن إبليس بالفعل يخاصمنا كأسد زائر (١بطرس ٥: ٨) وأحد أهم أسلحته هو تبرير الخطأ، يمكنني أن أقول لنفسي بكل بساطة: "**كان أبي مدمنا على الكحول ولم يقبلني أو يقدّرني قط، ولكنني ما زلت بخير.**"

ولكن لن يكون ذلك سوى عذرا للتهرب من مسؤولياتي كأب، كما أن أبنائي يعيشون في ثقافة مختلفة تمامًا عن الثقافة التي نشأت أنا فيها. يواجه أبنائي ضغوطات لم تكن موجودة في فترة صباي وشبابي. إنهم يحتاجون لأية مساعدة أستطيع أن أقدمها لهم.

أبنائي يفهمون ما أعنيه عندما أقول لهم: "إفعلوا ما في وسعكم" لأني أظهر لهم قبولي وتقديري طوال الوقت. إني أحاول أن أمدّهم بما يحتاجونه للحياة في هذا العالم التنافسي. إننا كبشر في منافسة دائمة مع بعضنا البعض. في الفصل القادم سيحدثنا ديك عن الطرق الإيجابية والسلبية للمنافسة، وكيفية مساعدة طفلك على طلب الإمتياز وليس الكمال.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. هل طريقتك في تربية أطفالك تعتمد على "ضبطهم يخطئون" أو "ضبطهم يقومون بعمل جيد"؟ ماذا يقول أطفالك؟

٢. لماذا كان من السهل على جوش أن يعتقد أن التربية هي النقد والتأديب أولًا ثم يأتي الثناء في المرتبة الثانية، إذا كان موجودًا على الإطلاق؟ هل مررت بشيء مشابه من قبل؟

٣. كما قرأت في هذا الفصل، ما سبب قوة التقدير؟ ما هي العلاقة بين الثناء والأبوة الحسنة؟

٤. لماذا يجب أن يحترس الآباء في استخدام التقدير؟ ماذا يحدث إذا لم يضع الأبوان القبول كأساس للتقدير؟

٥. قم باستعارة كتاب "**مدير الدقيقة الواحدة**" من مكتبة مدينتك (أو إشترِ نسخة خاصة لك) واقرأه عدة مرات. أكتب أفكارك عن تحسين مهاراتك الأبوية.

٦. للمزيد من الأمثلة الكتابية إقرأ: رومية ١: ٨؛ أفسس ١: ١٥-١٦؛ كولوسي ١: ٣-٤؛ ١تسالونيكي ١: ٢-٣؛ ٢تسالونيكي ٢: ٣-٤؛ فليمون ١: ٤-٧. ما هي الفكرة الأساسية المشتركة بين جميع طرق بولس للتعبير عن التقدير؟ ما الذي يمكنك أن تتعلمه منه لتعبّر لأطفالك عن تقديرك لهم؟

٧. إن لم تكن معتادًا على التعبير عن تقديرك لأطفالك على أفعالهم الحسنة، فلتبدأ الآن؛ فكّر في أمرين تقدّرهما في كلّ طفل من أطفالك كلّ يوم. عندما تجد ما تقدره في طفلك، **أخبره**. لا تهتم بغرابة الموقف في البداية. سوف يسهل الأمر مع الوقت.

٨. بعد أن تصبح محترفًا في التعبير عن التقدير، جرب فكرة جوش "جلسة التقدير." قد تكون مائدة العشاء مكانًا جيدًا للبداية.

٨

كيف لا يصبح طفلك باحثًا عن الكمال
(ديك داي)

ناقش جوش في الفصل السابع مخاطر معاملة الأطفال على أساس الأداء. أريد أن أبدأ بالتركيز على مشكلة رأيتها أمامي على مدار سنوات عديدة. هذه المشكلة اسمها البحث عن الكمال، وكنت أقابلها كثيرًا في الأولاد والبالغين، إذ يشعرون أنّه لا بدّ لهم أن يؤدّوا على مستوى جيد حتى يكونوا مقبولين.

فلننظر إلى مثال على البحث عن الكمال ممثلًا في امرأة سنطلق عليها اسم باربرا. باربرا أتت إليّ بعد أن أخبرها طبيبها أنها بصحة جيدة وليس بها علّة، على الرغم من شعورها بالتعب والاكتئاب طوال الوقت. وعندما أخبرتني بجدولها اليومي، فهمت السبب.

كانت باربرا تعمل بدوام كامل في متجر راقٍ—لأنها كانت تحبّ هذا العمل وليس من أجل احتياج ماديّ. وكانت الدعامة الرئيسية لإحدى المنظمات التي تُعنى بالآباء والمدرسين، وكانت أيضًا عضوة نشطة في مدارس الأحد بكنيستها، حيث كانت معلمة للأطفال ما قبل سِن المدرسة. كما كانت عضوة في جوقة الكنيسة، وتخدم في المدرسة الصيفية للكتاب المقدس كلّ عام.

فهمت من حديثها أنها فخورة جدًا بإبنتها جينيفر، التي كانت تحصل على درجات مميزة في المدرسة، وكانت بطلة فريق الكرة الطائرة لمجموعتها العمرية، و"هي مسالمة وتبتعد عن المشاكل." كما أن جينيفر كانت كثيرًا ما تحلّ محلّ باربرا، في تحضير العشاء والقيام بالكثير من أعمال المنزل.

تنهدت باربرا قائلة: "لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدون جينيفر. إنها فتاة رائعة. جيم وأنا فخوران بها جدًا."

طلبت منها قائلا: "أخبريني المزيد عن جينيفر".

إستطردت باربرا لمدة خمس عشرة دقيقة تصف إبنتها بكلمات رنّانة. جينيفر كانت على وشك أن تصبح خطيبة حفل نهاية العام الدراسي، لأنها كانت الطالبة صاحبة معدل الدرجات الأعلى في صفها، كما كانت تخطط بالفعل لتكون خطيبة حفل التخرج من المرحلة الثانوية أيضًا.

ثم أكّدت لي باربرا قائلة: "ولكنها لا تحبّ الكتب فحسب. إنها تحبّ الرياضة، كما أنها تحب المنافسة جدًا. مدربها للكرة الطائرة متأكد من أنها ستنضمّ إلى لفريق المدرسة في المرحلة الثانوية. كلّ ما عليها فعله هو أن تسيطر على انفعالاتها بشكل أفضل. إنها تكره أن تفلت منها الكرة، ولا تستطيع أن تحتمل خسارة أي مباراة."

تساءلت بصوت عالٍ: "من أين تظنين أتت بهذه الروح التنافسية؟"

أجابت باربرا: "أنا وجيم نؤكد دوما على أنه يجب أن نبذل أقصى ما عندنا. أنا أيضًا تنافسية جدًا—جيم لا يحب أن يلعب معي سكرابل لأني أفوز دائمًا."

"لقد ذكرتِ إنفعالات جينيفر—هل تنفعل كثيرًا؟"

تغير وجه باربرا قليلًا ثم أجابت: "سأكون صريحة؛ جينيفر لديها مشكلة. إني أحاول أن أجعلها تبطئ قليلًا، ولكنها تنطلق بأقصى ما يمكنها. جينيفر عضوة في أكثر من ناد واحد، ورئيسة لآخر، إلى جانب دراستها وفريق الكرة الطائرة. كما أنها تريد أن تزيد من عملها كجليسة أطفال لتكسب المزيد من الأموال لشراء ملابس جديدة. إنها تفقد أعصابها معي أحيانًا، ولكن هذا شيء متوقع مع كلّ هذا الضغط الذي تضعه على نفسها."

يمكنني أن أقص عليكم الجلسة بأكملها. باربرا مزيج من عدة سيدات عملت معهم على مدار عدة سنوات. أعتقد أنك قد فهمت المشكلة الآن. للأسف، المشكلة واضحة للجميع ما عدا باربرا. جميع الإشارات موجودة. باربرا تسعى للكمال، وقد علّمت ابنتها أن تفعل الشيء نفسه.

كلاهما يعيش على أساس الأداء. قبل أن أساعد باربرا لتفهم سبب شعورها الدائم بالإجهاد، يجب أن أعرف أولًا لماذا تدفع نفسها بشدّة هكذا. ثم يجب أن أجعلها ترى كيف أن جينيفر تتبع مثال أمها. لقد تعلّمت منها كيف تطلب من نفسها أكثر مما يمكنها أن تفعل. كانت جينيفر تحيا على طريقة: "كلّ شيء أو لا شيء." لا بدّ أن تحصل على "ممتاز" طوال الوقت، لا بدّ أن ترضي أهلها طوال الوقت، لا بدّ أن يكسب فريقها كلّ مباراة.

الفوز هو كلّ شيء لجينيفر؛ الترتيب الثاني لا يكفي، والحصول على "جيد" شيء مروع. جينيفر تتعلم المنافسة ضدّ العالم أجمع—وضدّ نفسها—كلّ يوم. إنها تتبع أمها في الطريق السريع للأداء.

القوة الخفية للتوقعات

هناك عدة طرق خفية لتضع طفلك على الطريق السريع للحياة وفق الأداء. أهمها هو أن يتوقع الآباء الكثير من أبنائهم. أحيانًا يتوقع الآباء من أبنائهم أن يحقّقوا إنجازًا ما فشلوا هم في تحقيقه—على سبيل المثال، اللعب في فريق المدرسة، الحصول على لقب ملكة جمال المدرسة، أو الحصول على وظيفة أفضل أو تعليم أفضل. الكثير من الآباء يريدون أن يعيشوا حياتهم من خلال أبنائهم، مما يضع الأبناء تحت ضغط الأداء طبقًا لتوقعات الأب والأم. أضف إلى ذلك الضغوطات التي يقابلونها في المدرسة، من المدرسين ومن زملائهم، فيتعاظم الضغط الواقع على هؤلاء الصغار.

ولكن بالنسبة للأطفال الذين ينشأون في أسر مسيحية، تأتي الطامة الكبرى من الكنيسة. لقد قابلت الكثير من الأطفال المسيحيين الذين نشأوا مع الإنطباع بأنّه لا بدّ أن يكونوا كاملين. ولأن طلب الكمال ليس واقعيًا، كلّ ما تمكنوا من فعله هو

أن يلبسوا قناع الروحانية—على الأخصّ أمام الكبار. كان يمكنهم أحيانًا أن يكونوا أنفسهم مع أصدقائهم، ولكنهم تعلموا أن "يسايروا الركب" أمام آبائهم، ومعلمي مدارس الأحد، وقادة مجموعات الشباب.

من السخرية أن الكنائس اليوم مليئة بأناسٍ يتظاهرون بالكمال، بينما يزخر الكتاب المقدس بقصة تلو القصة لأشخاص غير كاملين—أشخاص فشلوا؛ فشلًا ذريعًا في بعض الأحيان.

كان لي، أنا وزوجتي شارلوت، شرف الخدمة كمشيرَيْن في اجتماع جمعية بيلي جِرهام للمبشرين المرتحلين في أمستردام بهولندا في عامي ١٩٨٣ و١٩٨٦. للأسف، كنا نسمع الشكوى نفسها مرة بعد مرة. قال لنا المبشرون الذين يخدمون في دول العالم الثالث: "ليس لنا من نلجأ إليه. لا نستطيع أن نتحدث مع مجالس إرسالياتنا، لا نستطيع أن نتحدث مع شيوخ أو قادة الكنيسة، وبالطبع لا نستطيع الذهاب للشعب لأنهم يتطلّعون إلينا. ليس لنا من نذهب إليه بمشاكلنا."

إذا كان أبناؤك صغارًا توقّف الآن وفكّر في توقعاتك منهم. يفخر الآباء بشكل عام بتوقعاتهم الكبيرة من أبنائهم، ويقولون "أفضل طريقة لدفع أي شخص لإنجاز أمر ما هي أن تتوقع منه أن يفعل هذا الأمر."

قد يكون تحدي الطفل مقبولًا، ولكن وضع الكثير من التوقعات على كاهل الطفل يضعه في حلقة مفرغة ويجعله يحيا على أساس الأداء. يعتقد بعض علماء النفس أن واحدا من أصل ثلاثة أولاد يعيشون على مستوى الأداء يتحوّل إلى باحث عن الكمال. أحيانًا نصف أحدهم أنه باحثًا عن الكمال كنوع من المجاملة. ولكن الحقيقة أن البحث عن الكمال عبء كبير، قد يؤدي إلى الكثير من الاضطرابات النفسية مثل التأجيل المرضي، فقدان الشهية العصابي، الشره المرضي—أو قد تصل إلى حَدّ الإنتحار.

علامات البحث عن الكمال

يفكر الباحثون عن الكمال بطريقة كلّ شيء أو لا شيء. لا بدّ أن يكونوا كاملين—لن يكتفوا بأقل من ذلك، مما يجعلهم يعتقدون أنه لا يوجد شيء لا يمكنهم إنجازه.

كلمة "لا" ليست موجودة في قواميسهم، وغالبًا ما يشرعون في كثير من الأمور التي لا يستطيعون إنهاءها.

أيضًا يشعر الباحثون عن الكمال بالصِغر بالنظر للصورة العامة. لأنهم شرعوا في عمل ما لايقوون على إنهائه، ويريدون أن ينهوه بشكل مثاليّ بدون أية أخطاء، فلا يرون سوى العوائق عندما يتخيلون ما سيأتي بعد ذلك، ويسألون أنفسهم كيف وضعوا أنفسهم في هذا الموقف، وكيف سيتمكنون من إنهاء كلّ شيء؟ أو قد لا يحاولون من الأساس خوفًا من الفشل.

عندما يرى الباحث عن الكمال كلّ هذه العقبات، يبدأ في التأجيل. الشخص الذي يؤجل إنجاز مهامه، هو في الغالب يبحث عن الكمال، وسبب التأجيل أنه يعتقد أنه لا يمتلك الوقت الكافي لإنجاز المهمة بشكل ممتاز. وكلما إستمر في التأجيل كلما ساء الأمر، ولكن في النهاية يستطيعون تبرير ذلك بقولهم: "لو كان لدي فقط المزيد من الوقت—كنت سأتمكن من إنجاز المهمة بشكل أفضل." ولكن تكمن المشكلة الحقيقة في الخوف من الفشل والرفض.

ويذكرني ذلك بنقطة أخرى—يجد الباحث عن الكمال صعوبة في إنهاء أي مشروع. لأنه لا يتوقف عن الرغبة في تحسينه، لأنهم لا يرضون أبدًا.

كما رأينا في حالة جينيفر ابنة باربرا، يغضب الباحث عن الكمال عندما لا تسير الأشياء كما يريد. الباحث عن الكمال ليس صبورًا سواء مع نفسه أو مع الآخرين، ولا يفهم كيف أن الآخرين ليس لديهم المعايير المرتفعة نفسها.

يستعمل الباحث عن الكمال كلمة "يجب" كثيرًا؛ "**يجب** أن أفعل ذلك" أو "لا **يجب** أن أقول ذلك."

الباحث عن الكمال يلوم نفسه بشدة إذا فشل أو أخطأ. الفشل—بأي شكل—غير مقبول.

الباحث عن الكمال يجتهد أكثر حتى "يكون أفضل في المرة القادمة." مما يدفعه في حلقة أخرى من كلّ شيء أو لا شيء، ووضع أهداف مستحيلة، ثم الشعور بالصِغر مرة أخرى عندما يعجز عن تحقيقها.[١]

كما رأينا في حالة باربرا، يشعر الباحثون عن الكمال بالإحتراق النفسي بسبب كثرة انشغالاتهم. قد يشعرون بالرغبة في الإنسحاب من معترك الحياة لبعض الوقت بسبب خوفهم من الفشل.

هل يخاف أبناؤك من الفشل؟

الحياة على أساس الأداء تدفع الكثيرين للشعور بالخوف من الفشل. هل يتعلم أبناؤك أن يخاطروا قليلًا في الحياة، أم هل تعلمهم أن يختاروا الخيار الآمن؟

بالنظر إلى حياة بعض الشخصيات "البطولية" نتأكد أنهم قد عرفوا الفشل:

- توماس إديسون: فشل آلاف المرات قبل أن يخترع المصباح الكهربائي.
- بايب روث: أحد أعظم الرياضيين في العالم. سجّل ستين هدفًا كاملًا وظلّ يحمل هذا الرقم القياسي لعدة عقود حتى كسره روجر ماريس.[٢] ولكن في ذلك العام نفسه حمل روث رقمًا قياسيًا آخر—للضربات الفاشلة.
- إبراهام لينكولن: فشل مرات عديدة على الصعيد الشخصي والصعيد السياسي قبل أن يصبح رئيس الولايات المتحدة.

وآخرون مثل ألبرت أينشتاين، ونستون تشرشل، وبنيامين فرانكلين الذين كانوا أبطالًا أيضًا، ولكن جميعهم تمّ فصلهم من وظائفهم.

القاسم المشترك بين جميع الأبطال هو استعدادهم للمخاطرة، للاختلاف عمّن حولهم، إستعدادهم حتى للفشل في تحقيق ما يعتقدون أنه شيء جدير بالإهتمام. ما هو نوع المثال الذي توفره لأطفالك بخصوص إستعدادك للاختلاف عمّن حولك؟ أنا لا أقصد في القضايا الأخلاقية، ولكن الاختلاف بمعنى المغامرة، التعلم، والاكتشاف.

هناك فرق كبير بين إعطاء الأطفال الحرية للفشل، وطلب السعي الكمال، مما يضعهم بين براثن الرابطة المزدوجة. فهم من ناحية يتعلمون ألا يخاطروا ويأخذوا الخيار الآمن. فلا يأتون بأي إبتكار. ومن الناحية الأخرى، فإنهم يسعون للكمال بطريقة منظمة ومقننة.

إننا جميعًا نمرّ بما يسمى الحياة. إننا نسير في طريقها، ولكننا لن نصل أبدًا، لأن الحياة رحلة وليست وجهة. يحدّد معظمنا هدفًا معينًا لتحقيقه في أثناء الرحلة. لدينا أهداف، ونهتم أيضًا بالنتائج.

أصبحت الأهداف ووضعها تجارة مهمة في السنوات الأخيرة. تقيم الشركات من جميع أنحاء البلاد ندوات وورش عمل لمساعدة موظفيها على وضع وتحقيق الأهداف.

ماذا عن أهداف طفلك؟ ما هي الأهداف التي يضعها طفلك لنفسه على مثالك، وإرشادك وتوقعاتك؟

من الجيد أن يكون لك أهداف وأن تريد أن تصل لنتائج معينة، ولكن إذا جاء الوصول لتلك النتائج وتحقيق تلك الأهداف على حساب استمتاعك بالعملية نفسها، تكون قد فاتتك حياتك. لا بدّ أن نتحمّس جميعًا نحو الحياة، ونتعلم كيف نمرّر هذا الحماس—وليس التوقعات المتطرفة—إلى أبنائنا.

علّمهم كيف يتنافسون مع وليس ضد

جزء من التقدير الذي تنقله لأبنائك يتعلق بالمنافسة. يقول أخصائي نمو الطفل إريك إريكسون، تبدأ مرحلة جديدة في حياة كلّ طفل عند خروجه من المنزل إلى المدرسة. بذهاب الطفل إلى الحضانة ثم الصف الأول الإبتدائي، يدخل الطفل في مرحلة جديدة تسمى **المثابرة**.[٢] لأول مرة في حياته، يدخل الطفل في العالم التنافسي، ويصبح هناك أهمية كبيرة لما ينتجه أو يصدر منه. هنا يجب أن يكون الأبوان مصدر تشجيع للطفل، أن يقدّرا ما يفعل، ولكن يظل أساس هذا التقدير قبولهم للطفل كما هو.

بدخول الطفل في مرحلة المثابرة، من الأفضل أن تعلمه أن يتنافس **مع الناس** وليس **ضدهم**. للأسف النظام التعليمي يعلّم الأطفال أن يتنافسوا ضدّ بعضهم البعض. كثيرون من الأطفال يحصلون على "ممتاز"، وكثيرون يحصلون على "جيد"، وكثيرون يحصلون على "مقبول"، كما يرسب كثيرون أيضًا. وفي الرياضة، يتعلّم الطفل

في صغره أن الفوز هو كلّ شيء. لن نبالغ إذا قلنا أن الأطفال يتعلمون المنافسة **ضدّ الآخرين** كأسلوب حياة.

المشكلة في المنافسة ضدّ الآخرين هي أنها مسألة تتعلّق بالكسب أو الخسارة. وفي لعبة الكسب أو الخسارة لا بدّ لك أن تنتهي كخاسر في يوم من الأيام. لن تفوز دائمًا. بمعنى أنه في هذا العالم التنافسي، الناس كلّهم أعداؤك.

وعلى الجانب الآخر، **التنافس مع الآخرين** شيء مختلف تمامًا. خصمك ليس عدوك أكثر منه حليفك، لأنه يساعدك على الوصول لأقصى قدراتك. لا يهمّ من يعبر خط النهاية أولًا. التنافس للوصول إلى أقصى إمكانياتك هو أهم شيء.

إني أدرك أن فلسفة "المنافسة مع الآخرين" قد تبدو ساذجة، وقد تكون مثيرة للسخرية في هذا "الواقع" الشرس. ولكن مع ذلك، هناك أمثلة كثيرة على أشخاص استخدموا هذا المبدأ وأصبحوا فائزين.

لماذا فاز فيلم "عربات النار"

فيلم "عربات النار" الحائز على جائزة الأوسكار، يوضح التباين الشديد بين "التنافس ضد الآخرين" و"التنافس مع الآخرين" من خلال قصة عدّائين موهوبين: هارولد آبراهامز، ابن لرجل يهودي من ليتوانيا، وإريك ليدل، الذي كانت أسرته منخرطة بشكل قوي في الإرساليات المسيحية. فاز كلاهما بشرف تمثيل بريطانيا العظمى في الألعاب الأولمبية لعام ١٩٢٤ في باريس، ولكن طريقتيهما في التعامل مع الموقف إختلفتا بشكلٍ كبير.

كان هارولد آبراهامز يجتهد ليثبت نفسه من خلال المنافسة ضدّ أي شخص يقابله، مصارعًا ما ظنّ أنه معاداة للسامية من قِبل زملائه في جامعة كامبريدج. أصبح يفكر بطريقة "الفوز هو كلّ شيء" لدرجة أنه إستعان بمدرب خاص، وكان يتدرب معه وحده في عزلة إستعدادًا للألعاب الأولمبية.

في إحدى المرات، عبّر آبراهامز عن فلسفة "أنا ضد العالم" التي يتبناها قائلًا: "أنا لا أعدو لأُهزم؛ لن أجري لو لم يكن باستطاعتي أن أفوز، إني أعدو لأفوز."

كان إريك ليدل يستعد أيضًا للألعاب الأولمبية في خضم خيبة أمل أخته جيني، التي كانت تعتقد أن الجري سوف يبعده عن خدمة الرب. حاول ليدل أن يشرح لها أنه ينوي بالفعل الإنخراط في العمل التبشيري، ولكن لا بدّ له أن ينافس أولًا في الألعاب الأولمبية بباريس—ليس من أجل مجده هو ولكن لمجد الرب.

قال لجيني: "لقد خلقني الله سريعا. إني أشعر بحضور الرب عندما أعدو. فوزي سيكون لمجد الرب."

فاز آبراهامز بالميدالية الذهبية في سباق ١٠٠ متر عدو، بينما رفض ليدل أن يشارك في السباق لأن السباق المؤهل له كان في يوم الأحد. فلكي يشترك، كان على ليدل أن يتخلى عن إيمانه القوي بحفظ يوم الرب مقدسًا. أخذ أحد زملائه في الفريق مكانه في سباق ٤٠٠ متر حتى يشترك ليدل بالسباق. فاز ليدل بميدالية ذهبية في هذا السباق.

ولكن، بنهاية الألعاب الأولمبية لم يشعر آبراهامز بالفرح لتحقيق الفوز. ونفهم السبب من خلال تعليق قاله قبل بداية السباق. قال آبراهامز: "إني في سعي متواصل، ولم أعد أعرف ما الذي أسعى إليه." وقال في غرفة الملابس، قبل السباق مباشرةً: "لقد عرفت الخوف من الخسارة، ولكني الآن مرتعب من الفوز."

ولكن إريك ليدل، استمتع بالفوز، عندما سأله أحد زملاؤه بالفريق عن شعوره حيال الإنسحاب من سباق المائة متر حتى يحفظ يوم الرب مقدسًا كما يملي عليه إيمانه الراسخ، قال: "إني أندم ولكني لا أشك."

بعد ذلك عمل ليدل لفترة طويلة كمبشر في الصين، وكان كثيرًا ما يجري في الطرق الجانبية أو يركب دراجته لأميال، لإستمتاعه الشخصي. في عام ١٩٤٠، أصبح ليدل أسيرًا لدى قوات الإحتلال اليابانية، ومات في السجن قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية.

تبنى ليدل في حياته أسلوب "**المنافسة مع**" وليس "**المنافسة ضد**". قال عنه أحدهم في أيام أمجاده الأولمبية، جملة كانت تصلح للكتابة على شاهد قبره، قال: "كان يجري باسم الرب، وكان العالم يشاهد متعجبًا."

يحرّر الآباء أبناءهم من عقلية المكسب أو الخسارة عندما يعلمونهم أن الأهم هو أن يبذلوا أقصى ما عندهم. إنهم يساعدونهم على فهم الفرق الخفي ولكن الحقيقي بين **المنافسة مع، والمنافسة ضد**. وهذا هو سبب أهمية تقدير مجهود طفلك أكثر من تقديرك لسجله في الفوز أو الخسارة. عندما يتأكد أبناؤك أنهم أكثر أهمية من أية نتيجة، وأية لوحة أهداف، أو دفتر درجات، سوف يشعرون بالراحة والأمان وبالحرية لبذل أقصى مجهود، لمعرفتهم أن نجاحهم أو فشلهم لن يشكّل أي فرق في قبولك لهم.

"أبطال" الكرة الطائرة لم يفوزوا بأية مباراة

في العام الماضي شاركت مدرسة جوليان الثانوية للمرة الأولى، بقوة ٢٠٠ طالب، في مباريات للكرة الطائرة مع مدارس أخرى. لم تكن البدايات مبشرة، بسبب المدربين غير المحترفين، وجدول المباريات السيء، لم يسمح لهم سوى بمباراة واحدة على ملعب المدرسة، والباقي على ملاعب الفرق المنافسة التي كانت لمدارس أكبر وفرق أكثر خبرة.

كان ابنانا جوناثان وتيمي في الفريق، وشارلوت وأنا كنا نحضر جميع المباريات مع عدد من الآباء. كنا نسافر حول الجبل نشجع الفريق بكل قوانا، ونشاهد فريق على مستوى A-١ يخسر مباراة تلو الأخرى أمام لاعبين أكثر قوة ولكن على مستوى A-٣.

وعند نهاية الموسم لم يكن الفريق قد حقّق فوزًا واحدًا، لقد فازوا ببعض المباريات، ولكن الفوز في الكرة الطائرة كان يحسب بـ ٣ من ٥ مباريات، وهم لم يتمكّنوا من تحقيق ذلك.

ولكننا لم نهتم. كنا نشجع جوناثان وتيمي كما لو كانا لاعبين عالميين، لأنهما كانا كذلك بالنسبة لنا. لم نهتم بسجل المباريات. كانا يلعبان بأقصى قدرتهما. لم يشتكيا قط أو يشتما أحدًا ولم يشعرا بالخزي أبدًا. كنا نشجعهما كما لو كانا أبطالًا، كما كنا نفعل دومًا منذ نعومة أظفارهما.

كل شهادة، أو ميدالية أو جائزة إستلماها، كانت تُعلّق على الحائط في الردهة خارج غرفتيهما. لم نكن نهتم بسبب الجائزة—جائزة مواطنة، جائزة فنية، ميدالية في ألعاب القوى—أي جائزة حصل عليها جوناثان وتيمي. كنا دائمًا نؤكد على ما يفعلانه، ونحرص أيضًا أن نؤكد على من يكونان. كنا نقول لهما: "إننا فخوران بكما وبما تفعلان" من خلال ما عُلّق على حائط الردهة.

تذكرون أن جوناثان وتيمي هما "أسرتنا الثانية" لأنهما أتيا بعد أكثر من خمسة عشر عامًا من إخوتهم الأربعة. ولكننا كنا نحاول أن نفعل الأمر ذاته مع أبنائنا الأربعة الآخرين أيضًا. كان ديك، ديف، وجيف عدّائين ممتازين في المسافات الطويلة في المرحلة الثانوية والجامعة، فكان مكتبي كغرفة للجوائز الرياضية، لأن جوائزهم كان موضوعة على رفوف مكتبي. أي شخص يدخل إلى مكتبي يعرف على الفور أنني فخورٌ بإنجازات أبنائي. ولكن ما قد لا يفهمه الزائر العابر أني كنت أكثر فخرًا بأبنائي أنفسهم. لم يكونوا في حاجة للجري في دائرة الأداء؛ لم يحتاجوا إلى أن يكون أداؤهم جيدًا حتى أقبلهم. يمكنني أن أضيف أن كيمي، إبنتي الوحيدة، هي جائزة في حدّ ذاتها. إنها "أميرتي الصغيرة"، على الرغم من أنها "ابنة جميلة وناضجة للملك"، وأم لثلاثة أطفال (أمثال ٣١: ٢٩).

كما كنت أجتهد أيضًا لأعرّفهم الفرق بين التنافس الأخوي، والغيرة الأخوية. التنافس الأخوي شيء طبيعي. أعتقد أنه أساس المنافسة مع الآخرين، ولكن الغيرة الأخوية تؤدي إلى التنافس ضدّ بعضهم البعض. حيث يحاول أحدهم أن يقلّل من شأن إخوته ليبدو في صورة أفضل. قد يدخل الأطفال في لعبة "أنا جيد، ولكن أنت سيء" وهذه هي أسوأ صور المنافسة.

كنا قلقَيْن عندما تبنينا تيمي، كيف سيكون شعور جوناثان نحوه؟ كان جيف ثاني أصغر أبنائنا ويكبر جوناثان بستة عشرة عامًا. فكان جوناثان بمثابة الابن الوحيد لأن جميع أخوته كانوا قد كبروا وتركوا منزل الأسرة. كان "ولي العهد" وكنا نخشى أن يغار من أي شخص يحاول أن يغزو "مملكته" ولكن لم يكن لمخاوفنا أي أساس في الحقيقة.

نعم، هناك تنافس أخوي بين جوناثان وتيمي، ولكن بدون غيرة. نعتقد، شارلوت وأنا، أن هذا كان بفضل أخويهما ديف وجيف، اللذان كانا مثالًا أعلى لهما. لم أقابل

شابين يقبلان ويشجعان بعضهما البعض مثل هذين الشابين. على الرغم من تنافسهما في الرياضة، ولكنها كانا مثالًا حيًا على التنافس **مع** بدلًا من التنافس **ضد**.

كما كانا جوناثان وتيمي يواجهان "أسطورة" أخيهما الأكبر، ديك، الذي كان بالفعل يقيم ويعمل في أفريقيا. لقد استخدمه الرب في وضع برنامج كامل لإغاثة ضحايا المجاعة في مالي، أحد أفقر الدول في أفريقيا.

إني أشدّد دائمًا أن يسعى الأولاد للإمتياز وليس للكمال، في أي مجال أعطاهم اللّه فيه الموهبة. عندما تسعى للإمتياز—أن تبذل أقصى ما عندك لتصل إلى أقصى إمكانياتك—يمكنك أن تكون فائزًا حتى عندما "تخسر." إني أختلف مع فينس لومباردي، بل إني متأكد تمام التأكد أن "**الفوز ليس كلّ شيء!**"

حقق رقمًا قياسيًا ولكنه أتى في المركز الثاني

منذ بضع سنوات، نافس ستيف سكوت، أحد أفضل العدّائين الأمريكيين، في حدث رياضي محدود في سان دييجو. في تلك الليلة، كسر ستيف الرقم القياسي للميل الداخلي، ولكنه أتى في المركز الثاني لأن إمين كولان كان أسرع منه. بعد السباق كان ستيف يجري حديثًا صحفيًا، وسأله الصحفي السؤال المتوقَّع: "ما هو شعورك حيال تحقيق المركز الثاني على الرغم من أدائك الرائع؟"

لن أنسى إجابة ستيف ما حييت. كما أتذكر، قال ستيف: "لقد حقّقت الهدف الذي وضعته لنفسي، ولكن إمين كان أكثر طموحًا مني وهو قد حقّق هدفه أيضًا. ولكني راضٍ لأنني حققت ما كنت أصبو إليه."

لم يستمتع ستيف سكوت بالخسارة أمام إمين كولان، ولكنه كان راضيًا لأنه أدرك أنه وصل بقدراته إلى أقصى مدى. بالطبع كان سيفضل لو أنه فاز بالمركز الأول واحتفظ بالرقم القياسي، ولكنه لم يكن في حاجة للإعتذار لأنه بذل أقصى قدراته.

موقف ستيف سكوت هذا مثالًا آخر على المنافسة مع بدلًا من المنافسة ضد. كلما أمكن، قلّل الضغط على ولدك واجعله يفهم أنه ليس في حاجة للمنافسة ضد الآخرين. علّم طفلك أن يتنافس مع، أن يكون متعاونًا ورحيمًا. إني أؤمن أن أعظم إنجاز يمكنك تحقيقه في الحياة هو أن تبني شخصيتك، ومن أهم ما يمكنك تطويره

في شخصيتك هو أن تكون رحيما نحو الآخرين. مهما نجح المرء ومهما تألق، إذا لم نتعلم رحمة الآخرين تكون حياتنا فاشلة. تذكر:

لا يمكنك أن تكون رحيمًا وأنت تسدّد الضربة القاضية.

ومع كلّ ذلك، أريد أن يفهم أبنائي أنه لا بدّ لهم أن يكونوا رحيمين تجاه أنفسهم أيضًا. لا يستطيع الباحث عن الكمال أن يكون رحيمًا نحو نفسه، بل إنه يدفع نفسه نحو أهداف أعلى وأعلى، ولا يرضى أبدًا بإنجازاته لأنها ليست بكافية. لا يستطيع الباحث عن الكمال أن يقبل نفسه.

ولذلك يجب أن يكون تقديرك لطفلك فقط داخل إطار قبولك له. القبول وحده هو ما يجعل الطفل يشعر بالإستقلالية، ويمكنه أن يثق بالآخرين، ويحرره ليتخذ قراراته وليقبل التقدير أيضًا ويراه بمعناه الحقيقي—دليل على حبك ومساندتك له وليس كمقابل لإنجازاته.

عندما شعر تيمي أخيرًا بالقبول

في الفصل السادس من هذا الكتاب، قصصت عليكم كيف تبنينا تيمي، الطفل ذو الخمسة أعوام، من ملجأ كوري للأيتام. عندما وصل تيمي إلى الولايات المتحدة وأصبح جزءًا من أسرتنا، كان يحيا على "مستوى الأداء." كان يفعل كلّ ما بوسعه وأكثر ليرضينا. كان مطيعًا إلى أقصى حد. لم يكن تيمي يتحدث الإنجليزية، ولم نكن نحن نتحدث الكورية، ومع ذلك كان واضحًا أنه يريد أن يرضينا—أن يكون أداؤه جيد.

في البداية، عزوت سلوكه إلى اختلاف الثقافات، على الأخصّ أن طاعة الكبار شيء متأصل في ثقافة الشرق الأقصى. ولكن بعد بضعة أسابيع بدأت أفهم الدافع الحقيقي وراء تصرفات تيمي. كان مركز جوليان، الذي كنت مديره، سيستضيف مؤتمرًا دوليًا تحضره فتاة من كوريا.

"يا لها من فرصة رائعة،" قلت في نفسي **" يستطيع تيمي ان يتواصل معها. إنه هنا منذ أربعة أسابيع ولم يتواصل مع أي شخص بلغته منذ ذلك الحين."**

أخذت تيمي معي إلى مركز المؤتمرات وبحثنا عن الفتاة الكورية. كانت فتاة ودودة باسمة المُحيّا، ولكن عندما خاطبت تيمي بالكورية، إستدار وأمسكني من رجلي وهو يرتعش. فحملته واحتضنته، وهو أمسكني من لحيتي وظلّ يكرّر "بابا، بابا، بابا..."

اعتذرت للفتاة مؤكدًا لها أني لا أعلم ما الخطب، وأن المشكلة ليست فيها هي. بعد ذلك، فهمت المشكلة. عندما أخذت تيمي ليقابل فتاة كورية، تخاطبه باللغة الكورية، فكّر هو بمنطق طفل في الخامسة من عمره: "**إنهم يريدون أن يعيدوني إلى كوريا... سوف أعود مرة أخرى إلى كوريا.**"

عندما ذهبنا للحي الصيني بسان فرانسيسكو، لم يفتح تيمي فاه. ذهبنا للتسوق في بعض المحلات ثم ذهبنا إلى أحد المطاعم، ولكنه لم ينطق ببنت شفة. أخيرًا تركنا الحي الصيني وعدنا إلى الفندق. فجأة، وكما لو كان سحرًا، إبتهج تيمي، وأكمل يومه بسعادة.

عندما تحدثت مع شارلوت عن هذا الموقف، قررنا أن المشكلة لم تكمن في "إنهم يريدون أن يعيدوني إلى كوريا" ولكنه كان يتذكر آلام الماضي. كما أنه كان يرنو أن يرضينا وأن يكون جزءًا منا. استمر على هذا المنوال لعدة أسابيع، ثم أتى اليوم الذي أدعوه "نقطة التحول."

كنا نتناول طعام الإفطار وطلبت شيئًا من تيمي. لم أعد أتذكر ما الذي طلبته منه. قد يكون شيئًا بسيطًا مثل "أسرع يا تيمي بإنهاء إفطارك حتى تذهب إلى المدرسة."

ولكن تيمي تردّد، بدلًا من أن يقفز مطيعًا كعادته. لم يظهر على وجهه أي تمرّد، ولكن نظرته كانت تقول "دعني أفكر في الأمر قليلًا."

نظرت نحو شارلوت لأرى إن كانت قد فهمت معنى النظرة على وجه تيمي. ورأيت في عينيها أنها قد فعلت. لقد خطا تيمي خطوة كبيرة نحو تحوّله إلى شخص مستقلّ يتّخذ قراراته بنفسه. لقد قال لنا تيمي من خلال هذا "التحدي" الصغير إنه يشعر بالأمان في بيتنا حتى أنه يطيعنا ليس بسبب الخوف، ولكن لأنه يعرف أننا نحبه، وأنه يمكنه إتّخاذ القرار بالطاعة.

منذ ذلك اليوم تغيّرت هوية تيمي وأصبح جزءًا من أسرتنا. بل إنه أعطانا معنىً جديدًا للهوية. عندما درس تيمي الثورة الأمريكية في الصف الخامس الإبتدائي، رفع يده وقال للمعلم أن جدّ جدّ جدّ جده وقّع على وثيقة إعلان الإستقلال. يضحك كلّ من يسمع هذه القصة لأنه لم يوقّع أي أسيوي على إعلان الإستقلال. ولكن، تيمي كان قد فهم حقيقة لا يفهمها كثيرون من المسيحيين. كان تيمي يرى نفسه، كابن بالتبني، جزءا من عائلة بماضيها وحاضرها ومستقبلها. بالضبط كما أننا كأبناء الله بالتبني أصبحنا جزءًا من أسرة المسيح بماضيها وحاضرها ومستقبلها.

الفرد يأتي أولًا دائمًا

يعني قبول طفلك أولًا ثم تقديره ثانيًا أن هناك شيئاً أساسيّاً ثمّ شيئاً ثانويّاً. يأتي الفرد أولًا في الأساس، ثم يأتي أداؤه كشيء ثانوي. يجب أن تتعامل أولًا مع كينونة الطفل—القبول الذي يعطي الطفل الشعور بالأمان وبالقيمة الذاتيّة. ثم تتعامل بعد ذلك مع أفعال الطفل—التقدير الذي يعطي الطفل الشعور بالأهمية. أينما عبّرت عن تقديرك لما يفعله طفلك، يجب أن ينبع تقديرك من قبولك لكينونته.

الآن، بلغ تيمي ستة عشر عامًا، وقد تتساءل كيف أصبح. إنه ليس كاملًا. يواجه بعض المشكلات أحيانًا، ويحتاج للعقاب أحيانًا، مثل أي شاب في فترة المراهقة. ولكن يجب أن نقول إنه يساعدنا كثيرًا في المنزل. يحبّ أن يطهو وأن ينظف الأطباق. إنه يساعدنا في المنزل لأنه يريد ذلك، لا لأنه يجب أن يفعل ذلك. ويسعدني كثيرًا أن تيمي لا يشعر أن عليه أن يحسن الأداء حتى نقبله. إنه يعرف أنه مقبول، ويستجيب بحرية نابعة من هذا القبول، لأنه يعلم أن لديه الحرية للفشل، وأنه متأكد أننا نقدّره لشخصه، وليس لما يفعله.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. ما هو نوع توقعات أهلك منك في طفولتك؟ ما هي توقعاتك من أبنائك؟

٢. هل يمثّل البحث عن الكمال مشكلة لك أو لأيٍّ من أبنائك؟ راجع "علامات البحث عن الكمال" في صفحة ١٠١، هل ترى أيٌّ منها في حياتك أو في حياة أبنائك؟ على سبيل المثال، هل تستعمل كلمة "يجب" كثيراً؟ إذا أظهر أي فرد من أفراد أسرتك علامات البحث عن الكمال، حاول أن توضحها له وأن تشجعا بعضكما البعض على التغيير.

٣. ناقش الأمر مع شريك حياتك، إسألا أنفسكما "هل نتعامل مع أبنائنا على أساس الأداء؟" بمعنى، هل يشعر أبناؤكما أنه لا بدّ أن يؤدّوا بشكل جيد حتى ينالوا قبولكما؟ أم أنهم متأكدون أنكما تقبلانهم بغض النظر عن أدائهم؟ إذا لم تكن متأكدًا من الإجابة، ناقش الأمر مع أبنائك.

٤. هل يشعر أبناؤك بالحرية للفشل؟ ماذا سيقولون إذا تكلموا بصراحة؟

٥. لماذا تعتبر "المنافسة مع" أفضل من "المنافسة ضد"؟ هل ترى أن رأي ديك عن المنافسة رأيًا عمليًا؟ كيف يمكنك أن تعلّم طفلك أن يتنافس مع الآخرين واضعًا وصوله لأفضل إمكانياته هدفًا أساسيًا؟

٦. أيٌّ من هذه الإجابات تصف أسرتك؟ بالنسبة لنا، الفوز هو:

أ. كلّ شيء

ب. ليس مهما

ج. هدف مهم

٧. يؤكد هذا الفصل: "لا يمكنك أن تكون رحيمًا وأنت تسدّد الضربة القاضية." هل توافق أم لا؟ ناقش مع شريك حياتك كيف تكون شخصًا رحيمًا.

الجزء الرابع

الحنان: بدونه قد يهلك الأطفال

حتى يؤتي قبولك وتقديرك لطفلك بثماره يجب أن تحيطه بقدر كبير—وفائض—من الحنان والعاطفة. الحنان الأبوي للطفل مثل الماء للنباتات، الزيت للمحركات، والطعام للجياع. بدون الحنان قد يموت الرضيع. بدون كمٍّ مناسب من الحنان قد يتحول الطفل إلى مراهق يبحث عن الحبّ في العلاقات الجنسية. يوضح الفصلان القادمان أهمية الحنان من خلال:

- سبب احتياج ورغبة الأطفال في العناق.
- كيف يصبح الأطفال أكثر صحة من خلال العناق والقبلات.
- كيف يخطئ الآباء فيقللون من الحنان والعاطفة لأطفالهم كلما تقدموا في العمر، ولماذا يجب أن يحدث العكس.
- لماذا يحتاج المراهقون لعاطفة ذويهم الآن أكثر من أي وقتٍ مضى.
- الضغط الجنسي الرهيب على المراهقين من قِبل نظرائهم والإعلام.
- السبب الأساسي للنشاط الجنسي لدى المراهقين.
- لماذا يجب أن نتعلم كيف نحب.
- كيف يبني حبّ الأبوين لبعضهما شعور الطفل بالأمان.
- نصائح لكل زوج وأب كيف يقول لأبنائه: "إني أحب أمكم".
- لماذا نوافق على الجنس الرقيق للأبطال.
- نصائح من آباء آخرين عن كيفية إظهار الحنان لأولادك.

٩

القوة الخارقة للعناق

كنت في منتصف جولة مرهِقة من المحاضرات حين وجدت نفسي في مدينة فينيكس بولاية أريزونا؛ وهي المدينة التي أسميها أحيانًا "شاطئ كبير ولكن بدون بحر." كنا في نهاية فصل الربيع وكانت الحرارة قد تخطّت الاثنين والثلاثين درجة. كان هناك عدة مدارس ثانوية على جدولي في ذلك الأسبوع، وفي أحد الأيام كان يجب أن ألقي محاضرتي في الهواء الطلق على الحشائش في حديقة إحدى المدارس. كان هناك أكثر من ألف طالب في تلك المدرسة وبدا أنهم جميعًا أتوا ليجلسوا على الحشائش ويستمعوا لرجل يتكلم عن الجنس.

كنت أنا ذلك الرجل. كنت أقف على صخرة حتى يروني ويسمعوني بشكل أفضل. ثم بدأت أخاطبهم عمّا يدفع الكثير من الشباب لاستخدام الجنس بحثًا عن الحب والحميمية. كنت قد بدأت أتكلم في لب الموضوع عندما أتت مجموعة من الشباب المشاكسين وانضموا لجموع المستمعين.

كان شعرهم المصبوغ مصففًا في أشكال غريبة، وكانوا يلبسون قلادات ذهبية. لم يتسبّب وصولهم في إحداث الفوضى، ولكني كنت ألاحظهم في أثناء حديثي، لعدم تأكدي من سبب مجيئهم، أو نيتهم من الحضور. ولكنهم ظلوا واقفين في أماكنهم ينظرون إليّ كما لو كانوا يقولون لي:

"إننا نتحداك أن تقول أي شيء لا نودّ سماعه، يا ماكدويل."

بعد ذلك باثنين وعشرين دقيقة، كنت قد انتهيت من كلّ ما أردت قوله عن الفرق بين الحب والبديل الرخيص الذي يفكر الكثير من الشباب أن عليهم أن يقبلوا

به؛ ممارسة الجنس في المقعد الخلفي لسيارة. عندما نزلت من على الصخرة التي كنت واقفًا عليها، أتى قائد مجموعة المشاغبين يجري نحوي.

وأمام جميع طلاب المدرسة تقريبًا، حوالي ألف شابٍّ وشابة، وقف هذا الشاب الضخم على بعد بوصات من أنفي، بدرجة لم تسمح لأحد من الحاضرين أن يسمع أو يرى ما حدث بعد ذلك. لم يروا عينيه تدمعان، ولم يسمعوه يسألني هذا السؤال المؤثر:

"سيد ماكدويل، هل يمكنك أن تعانقني؟"

وقبل أن أرفع ذراعيّ لأعانقه، إرتمى هذا الشاب المشاكس بين ذراعي ووضع رأسه على كتفي وبدأ يبكي كالطفل. احتضنته لمدة تزيد عن الدقيقة. كيف سيبدو أي عناق مع شاب مشاكس ضخم الجسم، مع قلاداته الذهبية المغروسة في صدرك؟ كنت أرى صدق هذا الشاب. لم يكن يسخر مني أو من الحاضرين. كان بالفعل يريد أن يعانقه أحد!

أخيرًا، تركني هذا الشاب وخطا خطوة إلى الوراء ثم قال لي جملة سمعتها كثيرًا من العديد من المراهقين: "سيد ماكدويل، أبي لم يعانقني قط ولم يخبرني قط أنه يحبني."

بأسلوبه الدرامي الخاص، عبّر هذا الشاب ذو الملابس الغريبة، والشعر الأغرب والقلادات الذهبية الكثيرة، عن الاحتياج العالمي للحنان، بشكل أعتقد أن عددًا كبيرًا من الحاضرين لن ينسوه قط. كما أعتقد أيضًا أن كلمات هذا الشاب المؤثرة عن أبيه هي تذكير هامّ لكل الآباء بخصوص أهمية اللمس والملاطفة وعناق وتقبيل أبنائهم في كلّ فرصة ممكنة.

قد يموت الأطفال بدون الحنان

قد تكون الإحصائيات الخاصة باحتياج الأطفال للحنان مألوفة بالنسبة إليك. على سبيل المثال، تخبرنا إحدى الدراسات التي أجراها بعض الباحثين في بداية القرن العشرين أن عددًا من الأطفال الذين لم يختبروا العناق أو القبلات، قد ماتوا بسبب نقص الحنان. كما كان هناك العديد من التجارب والأبحاث الأخرى في السنوات

الأخيرة. وتقول هذه الدراسات إنه عندما تجد شخصًا يهتم بك ويدلّلك، ويعاملك بحنان، فإنك تصبح في صحة أفضل. ولكن الأطفال الذين لم يجدوا الحنان، لم ينموا بشكل طبيعي، على الرغم من تلبية احتياجاتهم الأخرى.

أحد أول الإحتياجات التي يعبّر عنها أي طفل رضيع في العالم أجمع هو الإحتياج للعناق والملاطفة. الحنان يُسعد الأطفال، والسبب الأكثر أهمية هو أن الحنان يلبّي احتياجًا أساسيًا، بدنيًا ونفسيًا عند الطفل، ولا يتغيّر ذلك عندما يكبر.

كما ذكرت في الفصل الثاني، كشفت إحدى الدراسات أن الآباء يعانقون ويقبّلون أبنائهم في صغرهم، ولكن يقلّ هذا التعبير عن الحبّ كلّما كبر الطفل. وبوصول أبنائهم إلى سِن المدرسة الثانوية، يتوقف الكثير من الآباء عن عناق وتقبيل أولادهم تمامًا. أحد الأسباب لذلك، هو أن المراهقين يبعدون آباءهم قائلين "لقد كبرنا الآن ولم نعد بحاجة لذلك." لا تصدقهم! إنهم يحتاجون للحنان، وإن لم يحصلوا عليه، سوف يبحثون عنه في المكان الخطأ.

سن البلوغ—النضوج الجنسي— في انخفاض مستمرّ كلّ عقد عن العقد الذي يسبقه. منذ مائة عام، كان متوسط سِن البلوغ ستة عشر عامًا. في خمسينيات القرن العشرين، أصبح متوسط سِن البلوغ أربعة عشر عامًا. وفي نهايات القرن العشرين قارب سِن البلوغ الثانية عشرة.

إني لا أعطي هذه الإحصائيات للتسلية، ولكن لأنها شيء يستحق أن نفكر فيه. البلوغ يعني أكثر من مجرد بدء الطمث والاحتلام. البلوغ معناه أن الطفل أصبح بالغًا، فيما يختص بالقدرة على "إنجاب الأطفال." للأسف، لأن الأطفال يبلغون في سِن صغيرة الآن، فإنهم أقل قدرة على التعامل مع التغيرات العاطفية التي تصاحب هذه التغيرات الجسمانية.

التكلفة الكبيرة "للأخلاقيات الجديدة"

لقد سمعنا جميعًا بمصطلح الأخلاقيات الجديدة، الذي ظهر مع الثورة الجنسية التي حدثت في العقود الأخيرة. ولكن الأخلاقيات الجديدة هي مجرد

تدمير للأخلاقيات القديمة. هناك كمٌ هائل من البرامج التلفزيونية، الأفلام، الكتب، والمجلات التي تحوي إيحاءات جنسية موجهة للمراهقين.

يتلقى الطفل في عمر العاشرة أو أكبر أكثر من تسعة آلاف مشهد يحتوي إشارة للعلاقة الجنسية، أو تعليقات أو تلميحات جنسية. سبعة آلاف مشهد من أصل التسعة آلاف— تشير حوالي ٨٠٪ منها إلى علاقات خارج إطار الزواج. بوصول المراهق (المراهقة) إلى سِنّ العشرين، يكون قد رأى وسمع أكثر من تسعين ألف تعليق جنسي وعمل جنسي على شاشة التلفاز.[١]

لا عجب أن المزيد والمزيد من المراهقين والمراهقات ينخرطون في علاقات جنسية خارج إطار الزواج. في أحد مدارس المرحلة الثانوية في فيرمونت، أقام أحد معلمي الصحة إستفتاء سرّيًا على تلاميذ الصف التاسع الذين يأتون لرؤيته. وأظهرت النتائج أن أكثر من ٥٠٪ منهم قد أقاموا علاقات جنسية بالفعل. كما كشف البحث أن أكثر من ٨٠٪ من هؤلاء أتت تجاربهم "دون تخطيط مسبق" منهم، وأن أكثر من ٩٠٪ منهم لم يستخدموا أيّة وسيلة من وسائل منع الحمل في المرة الأولى.[٢] وكان هذا في **فيرمونت**—ليست أكثر المدن انفتاحًا من الناحية الإجتماعية.

وفي استفتاء آخر قامت به إحدى شركات الأبحاث في نيويورك، على عيّنة مكوّنة من: ١٣٠٠ طالب في ١٦ مدرسة ثانوية في أمكان متفرقة من الولايات المتحدة، ١٦٠٠ طالب في ١٠ جامعات، وخمسمائة أب وأم لشباب في سِن المراهقة في ١٢ مدينة مختلفة. لم يتضمن البحث أي مدارس في مناطق فقيرة أو ريفية، لأن الغرض من البحث هو اكتشاف الآراء عن الجنس في المناطق التي تمثل الأغلبية. أظهر الإستفتاء:

- التلاميذ الذين فقدوا عذريتهم: المرحلة الثانوية ٥٧٪، الجامعة ٧٩٪
- متوسط السن الذي بدأوا فيه ممارسة الجنس: ١٦,٩
- المراهقون الذين يمارسون الجنس من مرّة في الشهر إلى مرّة في الأسبوع: المرحلة الثانوية ٣٣٪، الجامعة ٥٢٪
- المراهقون النشطون جنسيًا الذين يعرفون أن الأيدز قد ينتقل بين الأسوياء جنسيًا أيضًا: المرحلة الثانوية ٩٦٪، الجامعة ٩٩٪

- من يقولون أن فكرة الإيدز قد دفعتهم لتغيير سلوكياتهم الجنسية: المرحلة الثانوية ٣٦٪، الجامعة ١٥٪

مرحبًا بك في عالم الأيدز

لقد غيّر ظهور مرض الأيدز من سلوك الكثيرين بخصوص ممارسة الجنس خارج إطار الزواج. ولكن القصص الرهيبة لا تزال تظهر. لقد وصلني خطاب من صديق يقول:

> **أرجوك يا جوش، إستمر في تعليم هؤلاء الأطفال عن الواقع الذي يواجهونه. أنا وزوجتي لنا صديقة شابة في الجامعة، تعرضت مؤخرًا لموقف دمّر حياتها. لقد ذهبت في الخريف الماضي لتقضي ثلاثة أسابيع في فلوريدا. وهناك قابلت شابًا "رائعًا" كان يعاملها كملكة. تركت غرفتها في الفندق وقضت بقية إجازتها في منزله. لقد "وقعت في الحب."**
>
> **وفي نهاية الإجازة أوصلها إلى طائرتها وأعطاها علبة خاتم، وقال لها ألا تفتحها قبل وصولها لمنزلها. ومثل أي إمرأة شغوفة "واقعة في الحب" تمسك بين يديها علبة خاتم، فتحت العلبة لحظة إقلاع الطائرة. وجدت بداخل العلبة نعشًا صغيرًا وورقة كُتب عليها: "مرحبًا بكِ في عالم الأيدز." وبعد ذلك بثلاثة شهور، إكتشفت إصابتها بـHIV.**
>
> **جوش، بحسب معلوماتي، هناك أمر باعتقال هذا الرجل، لأنه قد فعل الأمر نفسه مع سبع شابات أخريات على الأقل.**
>
> **إن ما فعله عمل إجراميّ... ولكن عدم إخبار الشباب عن هذا الواقع هو أيضا عمل إجرامي أيضًا.**

المراهقون نشطون جنسيًا بطبيعتهم

يمكنني أن أقصّ عليكم المزيد من الروايات الرهيبة والإحصائيات المخيفة التي وجدتها أثناء القيام بالأبحاث الخاصة بكتاب "لماذا ننتظر؟" والتي أجريناها

على طلبة الجامعة والمرحلة الثانوية في أواخر الثمانينيات. بعد مقابلة الآلاف من الشباب، إقتنعت أنا وديك أن العديد من الشباب والمراهقين نشطون جنسيًا ليس لأنهم يريدون ذلك، ولكن لأنه ليس لديهم سبب شخصي قوي يدفعهم للإنتظار حتى ليلة الزفاف.

ولكن لدى المراهقين على الأقل سببين قويين لممارسة الجنس قبل الزواج. عندما أتكلم في المدارس الإعدادية، الثانوية، أو في أي جامعة، أستهل محاضرتي قائلًا: "كلكم تقريبًا لديكم نوعان من الخوف. أحدهما أنك لن تجد من يحبك، والآخر أنك لن تقدر أن تحبّ أحدًا."

وفي كلّ مرة تقريبًا يقابلني الصمت التام. إني أحرص في كلّ محاضراتي للشباب ألا أعطي معلومات خاطئة حتى بنسبة ٥٪. لأني إذا فعلت ذلك سوف يواجهونني، ولكن لم يواجهني أحد من قبل بخصوص هذين النوعين من الخوف. لأنهم يعلمون أني على حق. يعلمون أن هذين النوعين من الخوف يدفعانهم للبحث عن الحميمية من خلال العلاقات الجنسية.

كان الجزء الأول في كتاب "لماذا ننتظر؟" الذي قمت بكتابته مع ديك، يتعلق بسبب إتجاه الشباب للعلاقات الجنسية.[٢] وضعنا جميع البيانات التي حصلنا عليها من خلال الإستفتاء على الحاسب الآلي وعندما خرج بالإجابة، أتى مديري وقال: "لن تصدقا ذلك. لقد أتى الحاسب الآلي بسبعة وثلاثين سببًا لانخراط الشباب في علاقات جنسية."

قلت له: "يا له من شيء محزن. أكره أن أكتب ذلك. كما أني لست واثقًا أن أحدًا سيصدقني. ربما يمكننا أن نشطب عددًا منهم."

أخذت القائمة وقرأتها مرة بعد أخرى، محاولا أن أشطب عشرة أو إثني عشر سببًا. فجمعت مجموعة من الشباب في المرحلة الثانوية وقلت لهم: "أحتاج مساعدتكم. هذه قائمة بسبعة وثلاثين سببًا لدخول الشباب في علاقات جنسية. هل هي أسباب حقيقية بالفعل، أم هل يمكننا إستبعاد بعضها؟"

أخذ هؤلاء الشباب القائمة وقرأوها، ثم درسوها لوقتٍ طويل ولم يتمكنوا من إستبعاد أي سبب أيضًا! بالطبع، تكشف بعض هذه الأسباب عن السطحية في

التفكير، ولكنها ما زالت آراء واقعية من المراهقين أنفسهم عن أسباب إتجاههم لممارسة الجنس قبل الزواج.

تنوعت هذه الأسباب السبعة والثلاثون بين الأسباب الجسدية ("إنه شيء طبيعي"، "شيء مثير ويخفّف من الشعور بالضغط")، النفسية ("حتى نكون محبوبين في المدرسة"، "كنت مدينة له"، "كان عندي فضول")، كما كان هناك أيضًا ما أسميناه بالأسباب "البيئية" (قلة المعلومات المتوفرة عن الجنس، أسرة مفككة، الكحوليات، والمخدرات).

وتحت الأسباب العاطفية كان هناك السبب الذي ذكرته من قبل "الحاجة للحب وللشعور به." سبب آخر مهم هو "كنت أشعر بالوحدة." يقول الباحث جون سي. وودوارد، الذي درس الأشخاص الذين يشعرون بالوحدة على مدار عشرين عامًا، الفتيات في مرحلة المراهقة هن أكثر الأشخاص شعورًا بالوحدة في الولايات المتحدة الأمريكية.[٤]

ستظل كلّ فتاة "أميرة أبيها"

إذا كانت الفتيات في المرحلة الثانوية من أكثر الأشخاص شعورًا بالوحدة في الولايات المتحدة، فلا عجب أن أحد الأسباب التي سمعتها مرات عدة من فتيات يمارسن الجنس قبل الزواج أنهن "كن يبحثن عن الحبّ الأبوي."

في كتابه الرائع "**أميرة أبيها للأبد**" يقول الكاتب والمشير إتش. نورمان لكل سيدة:

> **سواء كان قريبًا لكِ أو بعيدًا، موجودا أو غائبا، باردا أو دافئ القلب، مُحبا أو مؤذيا، فإنه كان لأبيكِ تأثيرٌ عليكِ.**
>
> **ومازال يؤثر على حياتك حتى الآن—قد يكون بشكل أكبر مما توقعتِ.**[٥]

تتجسد حقيقة ما يقوله نورمان رايت في أقوى الخطابات التي وصلتني، والذي أرسلته لي سيدة شابة تقول:

عندما كنت في الرابعة عشرة من العمر كنت أواعد شابًا في الثامنة عشرة من عمره. كان قد مرّ شهر على مواعدتنا عندما قال لي أنه يحبني وأنه يريدني. وقال لي إن كنت أحبه فسأمارس الجنس معه، وإذا رفضت لن يستطيع هو تحمل الابتعاد جنسيا عني وسيضطر أن يتركني.

كيف كنت أفكر في عمر الرابعة عشرة؟ كنت أعلم أن الجنس قبل الزواج خطأ، ولكني كنت أرغب بشدة في رجل يحبني. لم أكن متأكدة من حبّ أبي لي. كنت أشعر دائمًا أن عليّ أن أفوز بحبه، أنه كلما أديت الواجبات المنزلية بشكل أفضل أحبني أبي، كلما حصلت على درجات ممتازة في المدرسة، أحبني أبي.

كنت في حاجة إلى ذلك الحب. وإذا كان شرط الحصول عليه هو إقامة علاقة جنسية معه، فليس لي في الأمر خيار. لم أكن أريد أن أفقد عذريتي، ولكني أيضًا لم أكن أريد أن أفقد الرجل الذي أحبني، فاستسلمت في النهاية.

ثم استطردت الفتاة وشاركتني بشيء خاص جدًا. لقد تضمنت في خطابها ما كتبته في مذكراتها بتاريخ الحادي عشر من أغسطس:

إني أشعر بالوحدة الليلة وفكرت في المرات الأخرى التي شعرت فيها بالوحدة—وحدة شديدة كما لو كنت وحدي في هذا العالم. وأدركت أن ما أتوق إليه هو أب، أستطيع أن أهاتفه عندما أحزن، وأسمعه يقول إنه يفهمني، وإنه يستمع إلي. وأنني أستطيع أن أهاتفه بسبب العلاقة الخاصة بيننا التي بدأها معي في صغري. ولكن لم يكن الأمر هكذا مع أبي، لذلك أنا الآن وحيدة بدون أي صلة بالماضي.

ثم فكرت في الفتاة التي سوف تفقد عذريتها الليلة لأنها تبحث عن الحب، حب الأب. وأردت أن أمنعها بطريقةٍ ما وأقول لها لأنها لن تجد أبدًا هذا الحب مع رجل آخر. كم أتألم عندما أفكر في هذه الفتاة، عندما أفكر في نفسي منذ أعوامٍ مضت. كانت حياتي بحثًا طويلًا عن حب أبي.

في عمر الرابعة عشرة، سمحت هذه الفتاة لصديقها البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا أن يمارس الجنس معها. لقد انفصلت عن هذا الشاب بعد ذلك بسنتين، ولكنها سرعان ما وجدت شابا آخر وحدث معه ما حدث مع الشاب الأول. ثم آخر فآخر فآخر. لقد اعترفت في خطابها أنها لم تجد الأمان في أي من هذه العلاقات. لكن على العكس، لقد كانت مثل الدمية في أيدي هؤلاء الرجال لأنها كانت في حاجة شديدة لأن تجد رجلًا يحبّها حبًا غير مشروط.

وأخيرًا وجدت هذا الحبّ غير المشروط في سنّ الواحدة والعشرين عندما عرفت يسوع المسيح. لقد اكتشفت أن يسوع أحبها وهي خاطئة، وأنه مات على الصليب من أجل خطاياها حتى تصبح ابنةً له، ويكون أبًا لها. في سِن الواحدة والعشرين بعد سنوات من الأخطاء ومن الحزن والألم، وجدت الأب الذي يحبها.

قصة هذه الفتاة هي واحدة من قصص عديدة. أتت إليّ إحد الأمهات في مؤتمر للآباء، وأرتني صورة إبنتها الجميلة ذات الخمسة عشر عامًا ثم رَوَت لي قصتها:

هذه السنة فقط، مارست إبنتي الجنس مع سبعة عشر رجلًا. لقد أجهضت منذ شهر وحاولت الإنتحار منذ أسبوعين. هذا الصباح كانت ذاهبة إلى المدرسة فاستوقفتها وسألتها: "حبيبتي، لماذا تفعلين ذلك؟ لماذا تفعلين ذلك بنفسك؟ هل تراودك رغبات جنسية لا تستطيعين السيطرة عليها؟ ما السبب؟"

أجابت إبنتي: "أمي، أنا لا أعتقد أن عندي أي رغبات جنسية. إني لا أستمتع بالجنس."

"فلماذا إذًا تتصرفين هكذا؟"

"على الأقل، عندما يضاجعني رجل، فإنه يقول لي إنه يحبني."

أتت إليّ مؤخرًا فتاة في الرابعة عشرة من عمرها وقالت إنها في الأسبوع الفائت مارست الجنس مع ثلاثة رجال. لست متأكدًا كيف كانت تعتقد كيف ستكون ردّة فعلي. ربما أرادت أن تصدمني فقط، ولكني قلت لها: "لماذا فعلتِ ذلك؟"

فأجابت هي: "لأني على الأقل أشعر للحظات أنني محبوبة."

المراهقون يصارعون لإيجاد هويتهم

قد يكون من السهل أن نعاتب المراهقين ونتحسر على "قصورهم الأخلاقي." ولكن لن يساعد ذلك أحدًا. لا بدّ أن نتعمق أكثر للوصول إلى السبب الحقيقي للمشكلة. السبب الذي من أجله شاركتكم بكل هذه القصص والخطابات هو أنني أريد أن أشدّد على مسؤولية كلّ أب وأم في إظهار الحنان لأطفالهم بشكل كاف لبناء شعور الطفل بالأمان وبالأهمية. عندما يكون الآباء دافئين ومحبين مع أبنائهم، يشعر أبناؤهم بالقبول والتقدير. وعندما تشعر بهذا الحنان في طفولتك من الصعب أن تبيع كلّ شيء في فترة مراهقتك لأنك تريد من "يحبك."

يبدأ الأطفال بوصولهم إلى سِن المراهقة في التعامل مع مرحلة جديدة من مراحل نموهم، التي يسميها عالم النفس إريك إريكسون مرحلة **الهوية**.[٦] بمعنى آخر، يحاولون تجميع كلّ ما حدث في حياتهم قبل ذلك. إنهم يتساءلون "من أنا حقًا؟ أمي تريدني أن أكون تلميذًا، أبي يريدني أن أكون رياضيًا. ولكن ماذا أود أنا أن أكون. وهل يهتم أحد؟"

في سنّ المراهقة تبدأ مشكلات التقدير الذاتيّ والصورة الذاتيّة في الظهور بقوة. المراهق الذي يبحث عن هويته كثيرًا ما يحاول أن يشبع إحتياجاته من خلال حواسه. يقول أحد علماء النفس أن أهم تجربة في حياة الإنسان هي الجنس، أما التجربة الثانية في الأهمية فهي تتضمن الموسيقى. وأين نحن الآن فيما يختص بالجنس والموسيقى في عالم المراهقين؟ مما رأيته وسمعته في رحلاتي، أعتقد أننا في ضواحي سدوم وعمورة!

بافتقاد المراهقين أرضا صلبة في مرحلة **الهوية**، لا عجب أنهم يرتكبون جميع أنواع الأخطاء الجنسية. طبقًا لمراحل النموّ حسب إريك إريكسون، **هويتك** هي أساس قدرتك على **الحميمية**.[٧] الحميمية هي القدرة على إدخال شخص أو أشخاص داخل ذاتك، أن تكشف نفسك تمامًا بكل ضعفاتك، مخاوفك، وشكوكك. ولكن إذا لم تكن تعلم من أنت (الهوية)، فمن المستحيل أن تصل لحميمية حقيقية مع أي شخص.

كشف الجسم أسهل من كشف الروح

ولكن المجتمع المدني العلماني—مصدر الأخلاقيات الجديدة—لديه الحل. تقليد رخيص "للحميمية" في صورة العلاقة الجنسية، والعديد من المراهقين (والبالغين

أيضًا) يصدقون هذا. لأنك إذا لم تؤسس هويتك الحقيقية سيكون من الأسهل عليك أن تكشف جسدك في الفراش عن أن تكشف روحك أمام إنسان آخر وتأخذه إلى قلب حياتك. كما يقول شريكي ديك داي:

"تتحقق الحميمية عندما يجتمع إثنان معًا، حيث يكون لكل منهما القدرة على قيادة الآخر إلى داخل حياته بالتمام، بدون تحفظات، بدون تصنع، وبدون أقنعة."

للأسف لا يستطيع البعض الوصول للحميمية الحقيقية لأن بافتقارهم للقبول من أناس مهمين في حياتهم مثل ذويهم، لم يتعلموا أن يقبلوا أنفسهم. فليس هناك سبب منطقي يجعلهم يصدقون أن أحدًا قد يقبلهم، لذلك فإنهم يختبئون؛ يلبسون قناعًا ولا يسمحون لأحد أن يرى ما يخفيه.

يفتتح ديك كلّ محاضراته عن الحميمية في مركز جوليان بارتدائه قناعا أبيض اللون خالٍ من أي ملامح، ويفهم الجميع قصده على الفور. عندما تلبس قناعًا، لا يعلم أحد شخصيتك الحقيقية. وطالما أنك لست مستعدًا لكشف شخصيتك الحقيقية لن تتمكن من الوصول إلى الحميمية الحقيقية مع أي شخص.

أفضل سبب من أجله ينتظر المراهقون

لقد ذكرت قبلًا أن أبحاث كتاب **"لماذا تنتظر؟"** كشفت سبعة وثلاثين سببًا لممارسة المراهقين الجنس بدون زواج. في هذا الكتاب نفسه، ناقشنا إثنين وعشرين سببًا للإنتظار. ناقشنا بالطبع الأسباب الجسدية مثل: الخوف من الأمراض المنتقلة جنسيًا، وعلى الأخص الإيدز؛ الخوف من الحمل؛ إغراء الإجهاض.

كما تحدثنا أيضًا عن الأسباب العاطفية، على سبيل المثال: الشعور بالذنب؛ التدمير المحتمل للتقدير الذاتيّ؛ خطر الحياة على مستوى الأداء. تقول ديبورا فيليبس مؤلفة كتاب **"الثقة الجنسية"**، ومديرة مركز برينستون للعلاج السلوكي في نيوجرسي:

بسبب الممارسة السريعة للجنس التي أتت بسبب الثورة الجنسية، أصبح الناس يؤدّون فقط العملية الجنسية بدلًا من ممارسة الحب. لا

يصل الكثير من النساء إلى الحميمية الحقيقية، لأن قلقهن على كيفية أدائهم يُفسد فرصتهم في الشعور بالرغبة الجنسية الحقيقية. وبدون تورط شخصي لن تكون أمامهم فرصة للحصول على الرومانسية والحب. سينتهي بهم الأمر بالشعور بالإنهاك والخداع.[٨]

بالطبع، السبب الأكثر قوة لتجنب المراهقين الجنس قبل الزواج، هو أن الله يقول لنا إنه خطأ، خطير، ويصل إلى حدّ مميت. يخبرنا الكتاب المقدس أن جسدنا هيكل للروح القدس وأننا بإستغلاله بشكل غير أخلاقي نُخطئ في حقّ أنفسنا (١كورنثوس ٦: ١٩).

كما يخبرنا الكتاب المقدس أيضًا أن الله يريدنا أن نكون مقدسين، أن نتجنب الجنس غير الأخلاقي وأن نتعلم كيف نتحكم في جسدنا بكرامة. يجب ألا نطمع في أي أخ (أو أخت) لإشباع الشهوات الجنسية (١ تسالونيكي ٤: ٣-٦).

يخطئ الكثير من الآباء فيؤكدون على هذه القواعد الكتابية الخاصة بالجنس. نعم، إن القواعد موجودة، وهي عقلانية جدًا، ولكن حتى تنقل القواعد لا بدّ أن تبني العلاقات أولًا. العلاقات التي تبنيها مع أطفالك في صغرهم لها تأثير عميق على العلاقات التي يبنونها هم مع آخرين فيما بعد.

إذا أظهرت لأبنائك كمّا كافيا من الحنان والقبول والتأكيد، سوف يفهمون كيف أن الله وضع الجنس ليكون متعة للرجل والمرأة في إطار الزواج.

أعتقد أنه من خلال مثلك الأعلى وتعليمك الإيجابي لهم، يمكنك أن توضح لأبنائك الجمال في الحميمية الحقيقية التي يستمتع بها الزوجان معًا، ليس لأنهما يستغلان بعضهما البعض ولكن لأنهما يحبان بعضهما. إن لم يتعلم الأبناء المعنى الحقيقي للحنان والحبّ والحميمية في المنزل من ذويهم، فأين سيتعلمون كلّ ذلك؟

هل الحبّ مسموع في بيتك؟

يمكننا أن نرى أعمق تعليمين من تعاليم السيد المسيح عن المحبة في إنجيل يوحنا، وكلاهما ينطبق بشكل خاص جدًا على الأسرة.

في مثل الكرمة وأغصانها، يقول يسوع: "كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. أثبتوا في محبتي" (يوحنا ١٥: ٩). هناك مكان ما نثبت جميعًا فيه، وهو بيتنا حيث نعيش مع أسرتنا. وهل هناك مكان أفضل من ذلك "لنثبت في محبته"؟ هل هناك محيط آخر بخلاف أسرتنا حيث يكون من الضروري أن نثبت في محبته؟

في الليلة التي سبقت صلبه، صلى يسوع في صلاته الكهنوتية أن يصبح تلاميذه واحدًا كما أنه هو والآب واحد. قال: "ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني" (يوحنا ١٧: ٢٣).

يتعرّض كلّ بيت مسيحي لتحدٍّ وأيضًا لفرصة إبراز الوحدة التي نعرفها من خلال محبة المسيح لنا. إننا نحب بعضنا البعض بسبب حبّه العظيم لنا. ليس هناك حقيقة أهمّ من تلك لتعلمها لأبنائك كلّ يوم.

هذا الفصل له رسالة واحدة فقط: أحرص أن تعطي أبناءك جرعات هائلة من حنانك كلّ يوم، لأنه يتوقف على ذلك قَدَرهم وقدرتهم على أداء وظائفهم كأزواج وزوجات فعالين.

قد تكون قد رأيت ملصقا على السيارات مكتوب عليه: "هل عانقت أطفالك اليوم؟" لقد إشتهرت هذه الجملة كثيرًا حتى ظهرت منها عدة نسخ، مثل "هل عانقت كلبك... حصانك... فأرك؟" ولكني أعتقد أن السؤال الأكثر أهمية هو:

"كم مرة عانقت أبناءك اليوم؟"

لا يوجد ما يسمى بالعناق أكثر مما ينبغي. ولا يهمّ طول أو سنّ أبنائك. لا يكبر أحد على الإحتياج للحنان. هناك قوة كبيرة في الأشياء البسيطة مثل العناق، والغمز، وأن تقول بشفتيك فقط كلمة "أحبك!" حتى تكون بطلًا، عانق أبناءك، عانقهم كثيرًا!

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. وفقًا لما قرأت في هذا الفصل، ماذا قد يحدث للرضيع إذا لم يحصل على الحنان الكافي؟ ما الذي قد يحدث للطفل الذي ينشأ على القليل من الحنان، على الأخص الفتيات اللواتي ينشأن بدون الحنان الأبوي الكافي؟

٢. وفقًا لما قرأت في هذا الفصل، ما هما السببان الأبرز لانخراط الشباب والشابات في سِن المراهقة في علاقات جنسية بدون زواج؟ ما الذي يبحثون عنه من خلال هذه العلاقات؟

٣. ما هو السرّ الذي سيدفع أبناءك لإطاعة "القواعد الكتابية" الخاصة بالعلاقة الجنسية؟

٤. أكتب تكملة هذه الجملة في فقرة من ٢٥ إلى ٣٠ كلمة: "هناك قوة خارقة لمعانقتي لأطفالي لأن..."

٥. إطبع هذا الملصق الخاص وضعه في مكانٍ ما بحيث تتمكن من رؤيته كلّ صباح وكل مساء:

"كم مرة عانقت أبناءك اليوم"

يقول الرب في إرميا ٣١: ٣ "ومحبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة." إن كان اللّه قد جذبنا إليه، نحن أبناؤه، بهذه الطريقة، هل ترى أهمية استخدامنا الطريقة نفسها مع أبنائنا كآباء أرضيّين؟

١٠

أعظم ما يمكن أن تفعله لطفلك

منذ عدة سنوات، في حلقة عيد الحبّ من برنامج "صباح الخير يا أمريكا"، كان ديفيد هارتمان يجري مقابلة مع المستشار الأسري د. بنجامين سوك. لأن الحبّ كان موضوع اليوم، بدأ هارتمان اللقاء بسؤاله "هل يولد كلّ إنسان وفي داخله القدرة على الحبّ؟"

"نعم" أجاب د. سوك.

"فلماذا إذاً لا يوجد المزيد من الحبّ في العالم؟" سأل هارتمان.

أجاب د. سوك: "ديفيد، لقد ولدنا وفي داخلنا القدرة على الحبّ ولكننا نحتاج أن نتعلم **كيف** نحب."

ثم إستدار د. سوك ليواجه الكاميرا، ونظر في عيني ملايين من المشاهدين وقال: "كآباء وأمهات، أفضل ما يمكن أن تفعلوه لأبنائكم هو أن تحبّوا بعضكم بعضا."

إننا نتّفق معه! لقد اختصر د. سوك المشكلة وحلّها في شكل بسيط. يولد كلّ شخص وفي داخله القدرة على الحبّ، ولكن، في معظم الحالات، لا يعرف أحدٌ كيف يحبّ من دون أن يرى المثال على ذلك في أهمّ شخصين في حياته—الأبوين.

ليس هناك شكّ أن أفضل ما يبني شعور الطفل بالأمان هو المحبة التي يكنّها له والديه. ولكني أعتقد أن محبة الوالدين لبعضهما البعض على القدر نفسه من الأهمية. في الجيل السابق، أو الذي سبقه، كان الطفل متأكداً من محبة والديه لبعضهما البعض، ولكن الأمر يختلف اليوم.

للأسف، ما يراه معظم الأطفال في عائلاتهم وعائلات أصدقائهم، هو عكس ذلك تماماً. إن الزوج والزوجة لا يُظهران الحبّ لبعضهما البعض. في ثقافتنا العصرية، أصبح الطلاق حلا سهلا لمشاكل الكثيرين. وحتى إذا قرر الزوجان البقاء معاً، لن تجد أي حميمية أو أي تعبير عن الحبّ بينهما.

من خلال حديثي مع الكثير من الأطفال، وجدت أن أكثر ما يخافونه هو أن والدهم سيترك أمّهم أو العكس. في نهاية كلّ جولة من المحاضرات أعود إلى منزلي مقتنعاً أن أفضل ما يمكنني أن أترك لأبنائي هو حبّي لأمّهم.

كيف تحصل على أسرة سعيدة

يبدأ بولس الإصحاح السادس من رسالته إلى أهل أفسس بحثّ الأطفال على طاعة وإكرام والديهم. ثم يضيف مخاطباً الآباء تحديداً "لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره" (عدد ٤).

في أفسس ٦: ١-٤ نقرأ باختصار كيف نصبح أسرة سعيدة. الطاعة هي واجبة على الأبناء، بينما على الأهل—الآباء بصفة خاصة—أن يربّوا أبناءهم بحكمة، وعدل ومحبة. ولكن أنظر للحظة إلى الإصحاح الخامس من الرسالة إلى أفسس. ما هو السياق الذي فيه يطيع الأبناء والديهم ويربي الآباء أبناءهم بالحكمة والمحبة؟

أن يحبّ الأزواج زوجاتهم كما أحب المسيح الكنيسة (عدد ٢٥). أن يحبوا زوجاتهم كأجسادهم. "من يحبّ امرأته يحبّ نفسه" (عدد ٢٨). كما تحترم الزوجة زوجها وتخضع أيضاً لقيادته المُحِبّة (أعداد ٢٢-٢٤، ٣٣). لقد بنى بولس نصيحته للأبناء بطاعة والديهم على فكرة حبّ الأب والأم لبعضهما بعضًا.

عندما كانت كيلي صغيرة، كنت أقول لها "كيلي، هل تعرفين أني أحب والدتك؟" كانت تبتسم وتقول "نعم أعرف."

"كيف تعرفين ذلك؟"

"لأنك تخبرها بذلك طوال الوقت."

"ماذا لو فقدت قدرتي على الكلام ولم أستطع أن أخبرها؟ كيف ستعرفين إذاً؟"

"لأنك تقبّلها طوال الوقت."

"ماذا لو تشقّقت شفتاي ولم أستطع أن أقبّلها؟ كيف ستعرفين إذاً؟"

عندئذ، كانت تعطيني كيلي الإجابة التي أبحث عنها "من طريقة معاملتك لها."

وهذا هو الإختبار الحاسم. كيف أعامل زوجتي؟ يمكنني أن أقول إني أحبها. يمكنني أن أقبّل وجنتيها على عجل قبل ذهابي إلى العمل؛ ولكن معاملتي لها كلّ لحظة، تحت نظر أبنائي، هي التي تُثبت حبّي لها.

بالنسبة لأبنائي، يعلو الفعل على القول عندما يختصّ الأمر بإظهار حبي لوالدتهم. يشعر أبنائي بالتطابق بين ما أقول وما أفعل. تذكّر، يمكنك أن تخدع مخادعًا، يمكنك أن تتحامق على الأحمق، ولكن لا يمكنك أن تغشّ طفلًا.

كيف يمكنني أن أقول للأم "أحبك"؟

هناك شيء بدأت أقوم به منذ بضعة سنوات، وهو أن أشرك أبنائي في خططي لإهداء زوجتي هدايا خاصة جدًا—في أعياد زواجنا مثلًا (عندما أتذكر!). أجمع أبنائي معًا وأقول لهم "إنني محظوظ جدًا بزواجي من أمكم، إني أشكر الرب أنه قادني إليها. أشعر أحيانًا أني في حلم وأخشى أن أستيقظ منه في يوم من الأيام وأكتشف أنه ليس حقيقة. لقد اقترب عيد زواجنا وأنا بحاجة إلى مساعدتكم. ماذا أفعل لأقول لأمكم "إني أحبك، أشكرك لأنكِ زوجتي."

إقترحت كيلي: "إنها تحب الذهاب إلى الشاطئ يمكنك أن تأخذها إلى هناك."

أجبتها: "حسنًا، سوف آخذها إلى فندقنا المفضل في لاجونا بيتش."

أضافت كاتي: "يمكنك أن تخرج معها لتناول سمك أبو سيف، إنها تحبه."

أجبتها قائلًا: "فكرة ممتازة!" ثم أمسكت الهاتف. أمام أعين أبنائي، هاتفت مطعمنا المفضل في لاجونا بيتش وقلت لهم: "هل يمكنكم إعداد عشاء خاص من سمك أبو سيف على مائدة لطيفة في أحد الأركان، وهل يمكنكم أيضًا إعداد طبق 'إني أحبك' لزوجتي؟"

كلّ هذا يحدث وأبنائي يرون ويسمعون كلّ شيء، ويتأكدون أني أحب أمهم جداً.

حتى لا تتفوّق عليه الفتيات بأفكار العشاء، أضاف شون: "وفي وجبة أخرى يمكنك أن تأخذها لتناول الإسباجيتي، إنها تحبها أيضاً."

"فكرة جيدة أيضاً!" قلت لشون. وعلى الفور هاتفت مطعم سالرنو في لاجونا بيتش وحجزت مائدة في الليلة التي تليها.

قد تظهر نقاط الحبّ في أي مكان

كما كنت أشرك أبنائي أيضاً في التخطيط لهدايا دوتي في أعياد ميلادها وعيد الميلاد أيضاً، ولكن بخلاف هذه المناسبات الكبيرة، كنت دائم البحث أيضاً عن طرق أخبر بها دوتي أني أحبها في الأيام العادية.

سألت أبناءنا: "ماذا يمكنني أن أفعل؟ هل سمعتموها تقول أي شيء يمكنني إستغلاله لأخبرها أني أحبها؟"

أبنائي يسعدون جداً بمثل هذه الأسئلة. لقد أعطوني فكرة في عيد الحبّ منذ بضعة أعوام، وهي أن أذهب إلى محلات هولمارك وأطلب بعض ملصقات وكوبونات الحب. ومنذ هذا اليوم، ظللت أطلب هذه الملصقات كلّ عام وأضعها في درج خزانتي. كنت كلّ فترة خلال العام، بدون أي مناسبة، أُخرِج بعضا من هذه الملصقات وأتركها في أماكن متفرقة في المنزل بحيث تجدها دوتي. قد تجد أحدها على زجاجة العطر الخاصة بها، وأخرى على رداء الإستحمام، أو على وسادتها. كان كلّ ملصق (يمكنني تسميتها "نقاط الحب") يحمل رسالة قصيرة، مثل: "هذا الملصق يساوي زيارة للأوبرا" أو "يصلح هذا الملصق لعشاء واحد في الخارج في مطعم من اختيارك."

أبنائي يحبون هذا—على الأخصّ عندما أذهب إلى البراد، وأضع أحد الملصقات على علبة اللبن، أو الزبد. ثم يقولون عندما تأتي أمهم: "أمي، لماذا لا تنظري في الثلاجة؟"

تبتسم دوتي عندما تسمع هذا، لأنها قد سمعت عبارات مشابهة من قبل، وتستطيع أن تخمن لماذا يريدونها أن تنظر في الثلاجة لشيء ليس له علاقة بالطعام.

ثم تُخرج رسالة تخبرها أني أحبها. ولكن هناك رسالة للأطفال أيضًا. إنهم يسمعون والدهم يقول لأمّهم "**إني أحبكِ. إني أحبكِ. إني مخلصٌ لكِ.**" لا شيء—لا شي على الإطلاق—يبني شعور الطفل بالأمان أكثر من ذلك.

إني ألمسهم—كثيراً

إني أسافر كثيراً، فدائماً ما تكون فاتورة هاتفي كبيرة. إني أهاتف أسرتي كلّ ليلة تقريباً، وبالطبع أريد أن أحادثهم جميعاً. ما يحدث في المعتاد هو أن يجيب أحدهم، وبعد أن أنتهي من التحدث لكاثي مثلاً، أقول لها: "حبيبتي، لقد أحببت التحدث إليكِ، ولكن، هل الأم الرائعة التي أنجبتكِ موجودة؟ هل السيدة الجميلة التي تزوجتها بالمنزل؟ هل يمكنكِ أن تخبريها أن زوجها الحبيب يريد أن يحادثها؟"

سواء كنت في إنجلترا على بعد خمسة آلاف ميل، أو كنت عالقاً في مطار في ولاية تكساس، ألمس أسرتي بمساعدة شبكة AT&T، وأقول لأطفالي: "إني مخلص لأمكم." إني في كلّ مرة أهاتف أسرتي أدعم بكل وعي هذا المبدأ:

يأتي شعور أبنائي بالأمان بشكل أساسي
من معرفتهم أني أحب أمّهم.

وبعد أن أطلب محادثة دوتي، تصيح كاثي: "أمي، إنه أبي الرائع!"

لقد اعتاد أبنائي على كلّ ذلك، حتى أصبحوا لا يحتاجون إشارة مني. لقد اتصلت هاتفياً بمنزلي في أحد المرّات وحادثت ابني شون لبعض الوقت. كان سعيداً جداً لأنه كان قد ساهم في فوز فريقه لكرة السلة بمبارة الليلة الفائتة. ثم فجأة، وبدون أي مقدمات قال: "أبي، هل تريد التحدث لأمي الرائعة؟"

لقد أبهجني ما قاله شون، لأنه يعني أنهم يفهمون. لقد فهموا أنني مؤمن بالفعل أني قد تزوجت أروع امرأة على وجه الأرض.

كما أني أرسل بعض الهدايا لزوجتي أحياناً أيضاً في أثناء سفري، ولكني أرسلها باسم أحد أبنائي مع رسالة تقول: "من فضلك فاجئ والدتك بهذه الهدية الخاصة."

في الأسبوع الماضي كنت أزور سان فرانسيسكو مع ابنتي كاتي ذات الأحد عشر ربيعاً. ذهبنا إلى أحد محلات تذكارات البيسبول واشتريت جميع أنواع التذكارات الخاصة بفريق ريد سوكس. إن زوجتي مشجّعة متحمسة، بل شديدة الحماس لهذا الفريق. وأريت تلك الهدايا لكاتي قبل تغليفها. وببهجة طفل صغير، قلت لها كم أحب والدتها ولماذا اشتريت هذه الهدايا من أجلها. ثم طلبت من كاتي أن تأخذ الهدايا إلى المنزل وتعطيها لدوتي قائلة: "هذه الهدايا من أبي. إنه يحبك."

لماذا أهتم بكل هذا؟ لأني أريد أن أشرك أبنائي في الأشياء الخاصّة التي أفعلها لأظهر حبّي لزوجتي. حتى لا يضطرون للتخمين؛ إنهم يعرفون أني أحب أمهم، لأنهم كانوا طرفاً في الكثير من الأشياء التي أفعلها لإظهار حبي لها.

لا تتحدّث إلى زوجتي بهذه الطريقة

إني أظهر حبّي لزوجتي حتى في طريقتي لتأديب أبنائي. منذ عدة سنوات، قبل أن تدخل ابنتنا الكبرى في مرحلة المراهقة، كانت هناك فترة من التوتر المتعلق بفكرة "شخصيّة أمي/شخصيتي" بينها وبين دوتي. كانتا تنزعجان من بعضهما البعض كثيراً. علاقتهما الآن على العكس من ذلك تماماً، ولكن عندما كانت كاتي في عمر الحادية عشرة لم تكن تتعامل مع أمها بأدب كبير.

بعد أن لاحظت هذا بضع مرات، قرّرت أن أتدخل. أمسكت كيلي من كتفيها ولففتها نحوي ونظرت في عينيها وقلت لها "يا آنسة، يمكنك أن تكلمي والدتك بهذه الطريقة ولكني لن أسمح لكِ أن تكلّمي زوجتي بهذه الطريقة! إني أحبّ هذه السيدة، ولن أحميها فقط من الناس خارج هذه الأسرة، ولكن سأحميها منكم أنتم أيضاً. لا تخاطبي زوجتي بهذه الطريقة مرّة أخرى!"

رمشت كيلي بعينيها، وغمغمت شيئاً، ثم استدارت ورحلت. ولكن نتائج هذه الخطبة الصغيرة عن كيفية التعامل مع زوجتي كانت لا تُصدّق. لقد ساعدت في قطع كيلي لعادتها في مخاطبة زوجتي بوقاحة. كانت على وشك أن تبدأ في ذلك بضع مرات، ولكنها كانت تشعر بنفسها ثم تنظر إليّ وتقول: "لا يمكنني أن أتحدث إلى زوجتك بهذه الطريقة، أليس كذلك؟"

"لا يا كيلي، لا يمكنك ذلك." كنت أجيب بفرح. حتى في تأديب أبنائك يمكنك أن تؤكّد على فكرة: "إني مخلص لشريك حياتي."

هناك أمر آخر كنت أفعله مع أبنائي، وهو قراءة أمثال ٣١: ٢٨-٣١، الذي يتحدث عن مدح الزوج لزوجته والأبناء لأمهم. لقد فعلت ذلك في حضور دوتي، ثم فكرنا جميعاً كأسرة في الأشياء التي يمكننا تقديم الشكر والمديح لدوتي من أجلها. لهذا التدريب البسيط فائدتان. أولاً، يفكر الأطفال، وأنا أيضاً، في شيء إيجابيّ محدّد عن أمهم، بدلاً من أن تصبح شيئاً مسلّماً بوجوده. وثانياً، يسمعني الأطفال أمدح أمهم ممّا يذكّرهم مرّة أخرى أني مخلصٌ لها—لزوجتي.

لا بأس بالجنس بالنسبة للأبطال أيضاً

أعتقد أنا وديك، أن أحد أفضل الطرق لبناء شعور طفلك بالأمان هو إظهار عاطفتك نحو زوجتك أمام أبنائك، ولكن بذوق. إننا نعتقد أنه من الجيد أن يُظهر الأب والأم عاطفتهم نحو بعضهما البعض بشكل حسن، حتى يعرف الأبناء أن الجنس في الزواج شيء حسن.

الكثير من الآباء مُتحفّظون جداً لدرجة يعتقد أبناؤهم أن الجنس شيء ملوّث—أو على الأقل أنه: "شيء لا نتحدث عنه كثيراً في هذا المنزل." ولكن هناك عدة طرق لتعلم أبناءك أن الجنس هو جزء من حبّ الرجل والمرأة لبعضهما البعض في إطار الزواج. عندما يشعر الأطفال بالأمان من خلال علاقتك مع زوجتك، تجدهم يأتون بملاحظات شيّقة.

عندما كانت زوجة ديك تُلقي بعض المحاضرات في مؤتمر للسيدات بجامعة ويتن بالغرب الأوسط، كانت شارلوت ستصل في السادسة صباحاً إلى مطار سان دييجو، بعد غياب ستة أيام عن المنزل. عندما كان يستعد للقيادة إلى سان دييجو—حوالي ستون ميلاً—قال ديك لتيمي وجوناثان، اللذان كانا حينها في بداية مرحلة المراهقة: "هل يمكنكما قضاء الليلة وحدكما؟ أخوكما الكبير يقطن في الشارع نفسه ويمكنكما الاتصال به إذا حدثت أي مشكلة. إني أريد فقط أن أستقبل أمكما في المطار وسوف نقضي الليلة في أحد فنادق سان فرانسيسكو."

نظر تيمي إلى أبيه ثم ابتسم ابتسامة عريضة. ثم التفت إلى ديك وقال له: "افعلها يا أبي! افعلها!"

كان واضحاً لديك أن تيمي كان على دراية بما سيفعله أبواه في الفندق تلك الليلة. ولكن تيمي لم يتكلم بخبث أو عدم احترام. كان فقط يعكس ما تعلمه من أبويه عن الجنس.* نعم، كان لما قال دلالة جنسية، ولكنه كان تعليقاً ينمّ عن فهم صحّي لأن ديك قد علّم أبناءه أن الجنس شيء جميل—شيء يتطلّع إليه الرجل والمرأة في إطار الزواج.

يجب على كلّ أب وأمّ أن يقررا كيف يريدان أن يتعاملا مع موضوع الجنس. يجب أن يقرر كلّ زوج وزوجة ما يصلح وما لا يصلح. ولكن يجب على كلّ زوجين أن يجتهدا لتعليم أبنائهما أن الجنس هو تعبير جميل عن الحبّ بين الزوج والزوجة. كما تظهران عاطفتكما نحو أطفالكما، أظهرا أيضاً عاطفتكما نحو بعضكما البعض أمام أطفالكما. سينمو شعورهم بالأمان بشكل كبير جداً.

كيف تحبّ أبناءك؟

إظهار عاطفتكما لبعضكما البعض يخلق جوًّا يشعر فيه الأطفال بالأمان. ثم يجب أن تتبع بالأحتضان والتقبيل التي تجعلهم يشعرون أنهم محبوبون.

عندما كنا، أنا وديك، نعمل على سلسة الشرائط: " كيف تكون بطلاً في نظر أبنائك،" أجرينا عددا من اللقاءات المسجّلة مع العديد من الآباء حتى نتعرف إلى طرقهم المختلفة لإظهار العاطفة لأبنائهم. قالت إحدى السيدات: "إني أحاول أن أظهر حبي لبناتي يومياً. إني أعانقهم كلّ يوم. تحب واحدة منهنّ معانقتي جداً، وكثيراً ما تأتي إليّ في سريري لتعانقني."

كانت هذه الفتاة التي تتحدّث عنها في عمر الحادية عشرة، ولكنها ما زالت تحبّ معانقة أمها. أحياناً تقول لأمها "حسناً، يكفي يا أمي..." عندما تعانقها ولا

* للتعرف على بعض الأفكار إقرا الفصل السادس بعنوان كيف تساعد طفلك أن يقول "لا" في وجه الضغوط الجنسية (Word Books 1987)، "كيف تُوضح الجنس في سياق معين"، والفصل العاشر من "كيف تُعلم الجنس"

تتركها، ولكن أمها تظل تعانقها أكثر وهي تحبّ ذلك. إنها أيضاً تقول لأمّها: "أمي أنت صديقتي الأقرب."

وفي هذه اللقاءات المسجلة نفسها، تحدثنا مع أحد الآباء الذي قال: "أعتقد أن أفضل شيء يمكنني عمله هو أن أكون على المستوى نفسه معهم، حتى أتمكّن من النظر في أعينهم مباشرةً. من المهم بالنسبة إليّ أن أجلس على الأرض لأشاركهم اللعب، وأن أنخرط فيما يفعلون—ألعابهم، فكرتهم عن المرح، مصارعتهم. ويجب أيضاً أن أجلسهم في حضني وأقرأ لهم لوقتٍ أطول. إني أعانقهم، أصرخ معهم، وأعتذر لهم أيضاً عندما أكون قاسياً أو قليل الصبر معهم."

وأضافت زوجته أنه يظهر عاطفته نحوها أيضاً أمام الأطفال، وأنّ ابنتها كانت قد قالت لها منذ وقتٍ قصير "هل تعلمين يا أمي، عندما أتزوج وأحبَل، سوف يقبّلني زوجي أنا أيضاً."

قابلنا أيضاً زوجين آخرين لهم أربع بنات، ساعدانا على التركيز في أهميّة معانقة وتقبيل الأب لبناته في صغرهم. سأل ديك الأم كاري عن إظهار أبيها لحبه لها في صغرها، وأجابت أنه لم يكن يفعل ذلك. لحسن حظّها، كانت والدتها سيدة حنونة كما كان لها أقارب آخرون كانوا يعوضون احتياجها للعناق واللمس، لكنها كانت ما تزال تفتقد ذلك من أبيها.

بعد أن أصبحت كاري أمّاً لأربعة بنات، أصبحت تشعر بمشاعر مختلطة عندما ترى زوجها، طبيب الأطفال، يعانق ويقبّل بناتهما. إنها تشعر بفرح من ناحية لأن زوجها يلبي احتياجاً هاماً في حياة أطفالهما سوياً، ولكنها أيضاً تشعر بحزن لأنها تتذكر العاطفة التي حُرمت منها في صغرها.

وقال ريك عندما سألته عن شعوره عندما يحتضن ويقبّل بناته الأربع ويخبرهن أنه يحبهن: "إنه أفضل شعور مررت به في حياتي."

"هل تشعر بتحقيق مهمتك كأب؟"

قال ريك: "نعم، بالفعل. عند ولادة ابنتي الكبرى كنت متردّداً في إظهار محبتي لها، ولكني تغلبت على هذا التردّد بتشجيع من كاري، وكان ذلك أعظم شعور مررت به."

هناك طريقة أخرى لتعلم أبناءك عن الحبّ الأسري—والإلهي—وهي الطريقة التي يطلق عليها رالف جاربورج اسم: "بركة الأسرة"[١] في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه حيث يُظهر الكاتبُ كيف يمكن لكلّ أسرة أن تكوّن روابط قوية من خلال تعليم الآباء لأبنائهم عن الله، وتشكيلهم لشخصيات أبنائهم، وتزكية الشعور بالأمان وبالثقة بالنفس من خلال إعطاء البركة للأبناء (مثلا عدد ٦: ٢٤-٢٦). يمكنك إظهار حبّك لأبنائك بطريقة "روحية" من خلال تخصيص وقت يوميّ للبركة الأسرية.

إننا جميعاً في احتياج لجرعة يوميّة من الملاطفة

يشير إليها ديك داي بقوله "قوة اللمس على المستوى العاطفي." هل تتذكر الدراسات التي ذكرتها قبلاً عن وفيات الأطفال والرضع الذين لا يعانقهم أو يضمّهم أحد؟ إننا نموت بشكلٍ أو بآخر عندما لا نحصل على القبلات، والعناق والكلمات الطيبة—هذا ما يسمّيه الأطباء النفسيون بـ"الملاطفة".

لقد صمّمنا الله بهذه الطريقة، وتبدأ ببحث الطفل الرضيع عن ثدي أمه. قد تستطيع الأم إرضاعه من زجاجة بدلاً من ثديها، ولكن بهذا يحدث انقطاع في التواصل. لا بدّ أن نشدّد مرّة أخرى على أن **الاحتياج للعاطفة يستمر مدى الحياة**.

إننا نأمل أن يتكرّر نموذج كاري وريك آلاف المرات. الأسرة المُحبّة التي يُظهر أعضاؤها محبتهم لبعضهم البعض، تساعد أبناءها على رفض المخدّرات أكثر من جميع البرامج المضادّة للإدمان، على الرغم من فاعليتها.

لم يأت أيّ واحد منا من أسرة تُظهر المحبة بشكل حسيّ، ولكننا نحرص على أن نُظهر الكثير من الحبّ والعاطفة لأبنائنا. أحد أفضل الأنشطة الأسرية في أسرة شارلوت وديك—حتى بعد أن كبر معظم أبنائهم—هى التقوقع في أحد الأسرّة ومعانقة بعضهم البعض في أثناء مشاهدة التلفاز وتناول القُشار—أو أي شيء آخر. يقول ديك إنه يتوقّع أن يتهاوى السرير في أي لحظة! ولكنه لن يمانع إذا حدث ذلك. لأن النفع الذي يعود على الأسرة من هذه العاطفة أكثر بكثير من ثمن سرير جديد.

قد لا يناسبك التقوقع في السرير مع الأسرة، ولكنك إن فعلت ذلك ستكون في وسط صحبة طيبة. منذ فترة طويلة أطلق ديفيد فالديز، المصور الرسمي للبيت

الأبيض، صورة للرئيس الأمريكي بوش وزوجته باربرا جالسين في سريرهما محاطين بأحفادهما.

يفكّر بعض الآباء كثيراً في كمّ العاطفة التي يجب أن يظهرونها لأبنائهم، وعلى الأخص الفتيات، في طور البلوغ. من حقهم أن يشعروا بهذا القلق، ولكن ذلك لا يعني ألا تحاول أن تعبر لابنتك عن محبّتك لها بطريقة مناسبة لكما أنتما الإثنين. إختر الطريقة المناسبة لأظهار الحبّ لأبنائك واستخدمها كلّ يوم—بل عدة مرات في اليوم الواحد.

أنت! أنظر هنا! إني أحبك!

إني أعلم أن إظهار محبتك لأبنائك بشكل مفتوح يعطيك الشعور بالإمتلاء كأب وكرجل. أحد الأشياء التي أحبّ أن أفعلها مع أبنائي هي الإمساك بهم وهم منشغلين في الإستذكار مثلاً، ثم أهمس بصوتٍ عالٍ: "أنت!" لقد تعودوا على ذلك الآن فلا يجيبون من المرة الأولى، لأنهم يعرفون ماذا سأقول لهم.

أستمر أنادي "أنت" عدة مرات، ثم يبدأون هم في الابتسام أو الضحك. وعندما يتوقفون عن الضحك ينظرون إليّ ويقولون: "نعم يا أبي، ماذا تريد الآن؟"

أغمز لهم بطرف عيني، وبدون أن أنطق الكلمات، أغمغم بشفتي فقط "إني أحبك!"

لا يفشل الأمر أبداً. قد يكونون متضايقين أو ربما مرّوا بيوم عصيب، ولكنهم يبتسمون في كلّ مرة. ثم يغمغمون نفس الكلمات لي: "وأنا أيضاً أحبك!"

ثم أستكمل ما كنت أفعله—مشاهدة التلفاز، قراءة الجريدة، إستكمال محادثة هاتفية. ويعودون هم إلى الإستذكار ايضاً. لا تحتاج للكثير من الوقت للتعبير عن الحبّ، ولكن العائد كبير جداً. لأنهم بذلك يعرفون أني أقبلهم وأقدّرهم، مما يجعلهم يشعرون بالأمان وبالقيمة الذاتيّة.

مهما فعلت، لا تعتقد أنه لا بدّ لإظهار الحبّ أن يكون بشكل "مبجل" و"مهذب". في خلال الثمانية عشر شهراً الماضية، اعتدت على القيام بطقس مع ابنتي

هيذر ذات الأربعة أعوام كلما أهاتف المنزل في أثناء سفري. ويبدأ الطقس بغنائنا سوياً على الهاتف:

أحبك مكيالاً ومكيالين،

مكيالاً ومكيالين،

أحبك كثيراً...

وتصيح هيذر من الناحية الأخرى من الهاتف بأعلى صوتها: "جداً!"

ثم أنهي الطقس بأصوات سخيفة لا أستطيع أن أكتبها على الورق، ولكن هيذر تحبها كثيراً. وإذا نسيت ذلك تقول لي: "قلها يا أبي."

"أقل ماذا؟"

"أنت تعلم—**الأصوات**."

لا يحتاج الطفل لاختراع أشياء جديدة أو فنية؛ يكفي أن تسمعه "أصوات الحب" الجنونية.

ندخل أيضاً أنا وهيذر في مجادلات عَمّن يحبّ الآخر أكثر من غيره.

"إني أحبك أكثر مما تحبينني."

فتجيبني هيذر: "ولكني أحبك أكثر من العالم أجمع".

قد يبدو الآن أن هيذر قد فازت ولكني أذكّرها بدروس الفلك وأقول لها: "وأنا أحبك اكثر من الكون كله."

حتى حين كانت هيذر في سن الرابعة، كانت تعرف أن الكون أكبر من العالم، فتستسلم قائلة: "آه، يا أبي، ليس هناك حبّ أكبر من هذا!"

إني أدرك بالطبع أنها ليست محادثة عميقة، ولكنها كذلك بالنسبة إليّ. في كلّ مرّة تتذكّر هذه الطفلة الصغيرة أنه لا يوجد أيّ حبّ أكبر من حبّ أبيها لها. وهذا يساوي الكون كله—وأكثر أيضاً!

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصية

يقول جوش في هذا الفصل إن أحد أكبر المؤثرات على شعور الطفل بالأمان هو حبّ ذويه لبعضهما البعض (إقرأ أفسس ٥: ٢٥-٢٨). ناقش مع شريك حياتك كيف تظهران حبكما لبعضكما البعض أمام أبنائكما. هل يعرفون أنكما تحبّان بعضكما وأن الأسرة في أمان؟ كيف يمكنك وزوجتك أن تنقلا لهم هذا الشعور بشكل أفضل؟

للأزواج فقط: هل فكّرت في إشراك أبنائك في خطة تقول لأمهم إنك تحبها؟ هل وجدت أية طريقة من التي ذكرها جوش في هذا الفصل مناسبة لأسرتك؟ إذا كان ذلك صحيحاً، جرّب أحدها.

كيف تتعامل مع موضوع الجنس في أسرتك؟ هل تفعل أنت وزوجتك أي شيء لتخبرا أبناءكما أن الجنس هو التعبير الأقوى عن الحب؟

كيف تقيّم نفسك على مقياس من ١ إلى ١٠، إذا كان الرقم ١٠ يعني أنك في قمة الحنان مع أطفالك، وتعبر عن حبّك لهم بالعناق والقبلات طوال الوقت؟ كيف تقيّم شريك حياتك؟ هل شريك حياتك قليل الحنان مع الأطفال، ناقشا ما يمكنكما عمله لإظهار المزيد من الحنان لأبنائكما.

المزيد للأزواج فقط: هل أنت متحفّظ في إظهار الحنان لأبنائك، وخاصة إبنتك، لأنها قد نضجت وتخشى أن لمسك لها قد يكون غير مناسب أو حتى أنه يدخل في خانة زنا المحارم؟ إذا كان هذا صحيحاً، ناقش الأمر مع زوجتك، وحاول الوصول إلى طرق يمكنك بها أن تعبّر عن حبّك لابنتك بطريقة مناسبة للجميع.

الجزء الخامس

التوفّر: جِد وقتا لكي تكونَ بطلا

في هذه الأيام التي يكثر فيها انشغالنا والتزاماتنا، من الشائع أن يشعر الإنسان بالذنب لأنه لا يقضي وقتا كافيا مع عائلته. نتمنى أن يساعدكما الفصلان التاليان أن تتخطّا مشاعر "الذنب" هذه لكي تكتشفا طرقا عمليّة وتفهما بعمق الأمور الحقيقية المتعلّقة في إتاحة الوقت لأولادكما:

- لماذا حاجات ولد في الثانية من عمره أهمّ من موعدك النهائي؟
- كيف قرّر أحد الآباء تغيير طرقه وما عنى ذلك للعائلة.
- ما الرسالة التي تصل لأولادك حين تكون متاحا لهم - حتى حين لا يكون الأمر مناسبا لك- بالنسبة إلى شعورهم بالأهمية.
- لماذا التوفّر هو مفتاح التربية الإيجابية.
- لماذا يقضي الآباء في هذه الأيام وقتا أقلّ مع أولادهم والخيارات التي عليهم أن يقوموا بها.
- لماذا لا يوجد طرقا مختصرة لقضاء "وقت نوعيّ" مع أولادك.
- لماذا الأوقات الصغيرة الدائمة التي تقضيها مع أولادك أهم من "الأوقات الكبيرة".
- كيف تُدخل في جدول أوقات ابنك المراهق.
- كيف تَدخل في يوميات ابنك الصغير.
- كيف تتجنّب الكلمات الحزينة التي يقولها الآباء لأولادهم.
- "النوم باكرا، والقيام باكرا" تجعل من الأب أن يكون بطلا حقيقيا.
- طرق كثيرة ومتنوعة لقضاء الوقت مع أولادك.
- فن طرح الأسئلة - المفتاح للتواصل مع أولادك.
- لماذا من المهم أن تكون بطلا لأصدقاء أولادك.
- حافظ على سِجلّ حياتهم - للمحافظة على تلك الذكريات التي لا تقدّر بثمن.

١١

المحبة هي الوقت

منذ أكثر من ثلاثة عشر سنة، تعلّمت شيئًا عن إدارة الوقت من ابني البالغ من العمر سنتين، شون، ومن زوجتي دوتي. الدرس الذي علّماني محفور بشكل دائم في عقلي، وحدث هذا بينما كنت أدرّس ومنشغلا في عدة مشاريع كنت أقوم بها في آن واحد. كنت في منتصف أحد فصول كتاب جديد أكتبه حين أتى شون وسألني:

"هل تريد أن تلعب معي يا أبي؟"

كأب "متمرّس (كنا قد مررنا بمرحلة عمر السنتين مع كالي) كان يُفترض بي أن أدرك أن شون كان يحتاج إلى عناق وتربيت ودقيقة أو دقيقتين لكي يُريني كرته الجديدة التي كانت معه. لكني كنت أكتب فصلا هاما من كتابي وشعرت أني لا أستطيع أن أقدّم له في ذلك الوقت دقيقتين من وقتي.

"شون، ما رأيك أن نلعب لاحقا؟ أنا في منتصف فصل من كتابي."

لم يكن يعلم شون ماذا تعني كلمة "فصل"، لكنه فهم قصدي. كنت مشغولا وكان عليه أن يذهب. ابتعد وهو يقفز من دون أي تذمّر وعدت إلى الكتابة. لكن فترة راحتي لم تستمرّ طويلا.

بعد دقيقة أو دقيقتين، دخلت دوتي وجلست لكي تتكلم معي قليلا. لا تحاول زوجتي أبدا أن تزجرني – لديها طرق أكثر فعالية.

"حبيبي، قال لي شون للتوّ إنك منشغل جدا ولا تقدر أن تلعب معه. أنا أعلم أن الكتاب الذي تعمل عليه هامّ جدًا، لكني أودّ أن أوضّح لك أمرا ما."

سألتها باستعجال: "ما هو هذا الأمر؟" لأن زوجتي الآن تؤخّرني عن اتمام مشروعي الهام.

"حبيبي، أعتقد أنه عليك أن تدرك أن مشاريعك لن تنتهي وكذلك مواعيدك النهائية. ستقضي حياتك وأنت تكتب كتبا ومشاريع أخرى، لكن لن يكون لك دائما ابن بعمر السنتين يريد أن يجلس في حضنك ويطرح عليك أسئلة ويُريك كرته الجديدة."

"حبيبتي، أعتقد أني أفهم ما تقولينه وأنت دائما منطقية في كلامك. لكن حاليا، عليّ أن أنهي هذا الفصل."

"حسنا يا جوش، لكن أرجوك فكّر بما قلته لك. إن قضيت وقتا مع أولادك الآن، سيقضون وقتا معك لاحقا."

الولد يمرّ مرّة واحدة بعمر السنتين

فكّرت فعلا بما قالته. وكلّما فكّرت أكثر كانت كلمات دوتي كسيف يخترق قلبي. كانت محقّة. مواعيدي النهائية لن تنتهي بالفعل، وكذلك مشاريعي، وسأجيب دائما على الهاتف، وسألتقي دائما بالناس، وسأسافر دائما. لكن ابني سيكون مرّة واحدة بعمر السنتين، وستنتهي هذه السنة قريبا وسيُصبح في الثالثة من عمره، ثم أربعة ثم خمسة – هل سيكون عندي وقت له آنذاك؟

كنت أعرف الإجابة إن لم أغيّر طرقي. وبكل هدوء، من دون طنين وضجيج، أخذت قرارا. منذ ذلك الوقت وأنا أحاول أن أضع أولادي قبل أعمالي ومواعيدي النهائية، وصخب عالم يريدني أن أعود إليه بأسرع وقت ممكن. منذ ذلك الحين أصبح بيني وبين الناشرين تفاهما بأن عائلتي وأولادي يأتون في المرتبة الأولى. إن لم أفعل هذا سأستمرّ أقول لابني: "الكتاب أهمّ منك."

تعلّمت من ابني البالغ من العمر سنتين أني لا أستطيع أن أعطيه موعدا كما أحدّد موعدا لاجتماع اللجنة أو موعدا عند الطبيب. إن فترة انتباه الولد الصغير صغيرة، صغيرة جدا. وحين تكون مستعدا لكي تكون متاحا له بحسب جدوله، فإنك بذلك تسمح للولد أن ينتبه إليك لفترة قصيرة.

غالبا ما يريد الولد أن تلعب أو أن تفعل أمرا آخر معه، لكن بعد دقائق معدودة ستلاحظ أنه يريد أن يفعل أمرا آخر. قد يذهب ويلعب بألعابه الخاصة أو قد يذهب لمشاهدة برنامج كرتوني.

أتكلّم أحيانا مع آباء يُحبطون لأن أولادهم الصغار لا يريدون إنهاء "ما ابتدأوا به." أحاول مساعدتهم أن يفهموا بأنه لا بأس بأن تترك لعبة غير منتهية. اللعب ليس شيئا تنتهي منه، إنه أمر تستمتع به مع أولادك.

نعم، كلّ هذا يتطلّب صبرا. يحاول ديك داي في المؤتمرات التي نعقدها أن يُشير إلى أننا نحن الآباء لا نستطيع ان ننتظر أولادنا وهم يقومون بأمر ما لأننا نفقد صبرنا. نتدخّل مثلا ونُنهي صلاتهم التي بدأوا بها، أو نأخذ المنشار أو المطرق قائلين لهم: "أنا سأساعدك."

الطريقة الأساسية للدخول إلى جدول الولد هو الصبر. يجب أن نكون قادرين على انتظارهم، والاصغاء إليهم، وأن ندعهم يحاولون بأنفسهم، وإن لم ينجحوا من المرّة الأولى، أو إن لم يُنهوا ما بدأوا به، لا يجب أن نقلق على ذلك.

أعتقد أن جون ويسلي هو من قال: "إن كنت لا تعلم كيف تعلّم الأولاد، أحضر منشورات كتبها الأطفال واقرأها إلى أن تعرف كيف تعلّم الأولاد."

كل ما كان يقوله جون ويسلي هو إن كنت تريد أن تتعامل مع الأولاد، عليك أن تعرف كيف يفكّرون وأن تكون قادرا على مجاراة تفكيره. عندها، تستطيع أن ترى الحياة من خلال عينيه وبحسب جدول أعماله. عندئذ تستطيع أن تبدأ بالتواصل معه.

الأحداث بحاجة إلى وقت خارج جدول الأعمال أيضا

لحسن الحظ بقي الدرس الذي تعلّمته حين كان شون في الثانية من عمره عالقا فيّ لسنوات طويلة. مؤخرا، كنت أكتب كتابا للأطفال خلال عطلتنا المفضلة في المكسيك، على شاطئ باجا. ذات صباح، بينما كانت الأفكار تتسارع إلى رأسي، تقدّمت مني كالي التي كانت في السادسة عشر من عمرها وقالت لي: "يا أبي، هل تستطيع أن تأخذني لتقليم أظافري؟"

الفكرة الأولى التي مرّت براسي: "**آه، هذا آخر أمر كنت أودّ القيام به الآن.**"

أما فكرتي الثانية فكانت: "**يا جوش، مارس ما تعلّمه عن موضوع الإتاحة والتوفّر لأولادك.**"

أما فكرتي الثالثة فكانت: "**يا رب، أعطني روح الفرح.**"

كما ترى، كان بإمكاني العبوس وأن أقول بعصبية: "حسنا، سأذهب معك." لكن هذا لا يختلف عن إعطائي إياها المال لكي تذهب وحدها بسيارة أجرة.

لكني قلت لها: "حبيبتي، يُسعدني أن أفعل هذا. سأكون معك بعد لحظات."

أغلقت كتابي على أمل العودة والمتابعة في فيض تلك الأفكار، ثم أخذت ابنتي بكلّ فرح لكي تقلّم أظافرها. لم أكن مجرّد سائق تاكسي ينقلها إلى مكان ما. ما أرادته فعلا هو قضاء الوقت معي، وجرى بيننا حوار رائع في ذهابنا وإيابنا.

شكرتني كالي على الأقل ثلاث أو أربع مرّات بعد ذلك اليوم. لماذا؟ لأن الرسالة التي كانت وراء ما فعلته معها: "حبيبتي، أنا أقدّرك جدا لدرجة أني مستعدّ أن أوقف ما أفعل، مهما كانت أهميّته بالنسبة إليّ، لكي أقضي الوقت معك."

هذا هو القبول والتقدير على حقيقته. ليسا مجرّد كلمتين رنّانتين ننطق بهما حين نريد أن نبدو أننا آباء صالحون. القبول والتقدير يقدّمان رسالة للولد بأن قيمته عالية جدا. يمكنني أن أعبّر عن قبولي وتقديري من خلال عاطفتي أو محبتي لهم – **وأيضا حين أكون متاحا لهم.**

عندما تكون متاحا لهم، فهذا يعني "أنت هام حقًّا".

حين نكون متاحين لأولادنا فإننا نقول لهم: "أنت هامّ." وحين لا نكون متاحين لهم فإننا نقول لهم: "آه، أنا أحبّك، لكن هناك أمور أخرى أهمّ منك. أنت **لست بتلك الأهميّة.**"

لكي أساعد الآباء على استيعاب هذا المفهوم، غالبا ما أدعو رجلا من المؤتمرين وأعرض عليه هذه الحالة:

لنفترض أنك الصديق الحميم لصاحب الشركة التي تعمل فيها. إنه يوم الجمعة وأنت بحاجة أن تراه من دون موعد. تذهب إلى مكتبه وتسأل مساعدته إن كان بإمكانك التكلّم معه لدقائق قليلة. لكن مساعدته تقول لك: "متأسفة، إنه محجوز بالكامل حتى يوم الثلاثاء القادم وعليك أن تعود لاحقا لمقابلته."

لأنك تحتاج أن ترى مديرك فورا، تقول للمساعدة: "اسمعيني، لن آخذ الكثير من وقته. أرجوك قولي له فقط إني بحاجة ماسّة أن أراه. لن أحتاج سوى دقيقة واحدة."

ثم لنفترض أن المساعدة اتّصلت بالمدير لتخبره أنك موجود. تذكر له اسمك، لكنها تسمعه يقول لها: "أنا متأسّف. لا أقدر أن أراه الآن. عليه أن يعود يوم الثلاثاء القادم."

عند هذه المرحلة، أسأل الرجل الذي أخذته من الجمهور سؤالا أساسيا: "إن حدث هذا معك، كيف ستشعر؟"

دائما يجيبني أي رجل بأنه سيشعر بأن أهميّته قليلة، أو أنه بدون أهميّة على الاطلاق. سيبدأ يفكّر: **"لو أنني نائب للمدير، أو أي شخص ذات أهميّة هنا..."** في النهاية سينطلق مفكّرا: **"لست مهما."**

ثمّ أشير إلى كلّ واحد في القاعة وأقول: "هكذا يشعر أولادكم تماما حين تقولون لهم شيئا كهذا: "أنا متأسّف، عد الثلاثاء القادم."

الأمر يحتاج إلى مجهود ووقت لكي تجعل الناس يشعرون بالأهمية. قد لا تكون مرتاحا حين تجعل نفسك مُتاحا في وسط عمل آخر تقوم به. هناك طبعا أوقات لن تستطيع فيها التوقّف عن عمل ما تقوم به. لن تقدر أن تتخلّى عن كلّ شيء لمجرّد الذهاب مع أولادك لكي تلعب معهم بالكرة. لكن النقطة الأساسية هي: **"مرّات كثيرة تستطيع أن تتوقّف فيها عن أي عمل تقوم به إن أردت ذلك.** التوقّف في تلك المناسبات سيُساعد أولادك أن يدركوا أنّك تعتبرهم أشخاصا مهمّين، وحين يأتي وقت لا تستطيع فيه التوقّف عن عمل ما تقوم به، لن يكون له وقع سلبي كما لو أنك دائما تقول للولد: "أنا مشغول جدّا، لا أستطيع أن أكلّمك الآن أو أن ألعب معك."

إن لم يكن لي وقت لهم، فأنا أطنّ كالنحاس

سبب رئيسي من أجله يجب أن يكون لك وقت تقضيه مع أولادك هو: إن شعروا أنك تعتبرهم مهمّين بالنسبة إليك، عندها سيشعرون أن الآب السماوي أيضا يعتبرهم مهمّين. درسا آخر تعلّمته في حياتي - ربّما تعلّمته من ديك داي - كلّ واحد منا نحن الأباء الأرضيين يمثّل الله الآب لأولادنا. الله يحبّ أولادك من خلالك، لكن إن كنت غير متاح لهم، كيف سيحبّهم؟

عنوان هذا الفصل من الكتاب هو، **المحبة هي الوقت**. القبول والتقدير هما أيضا محبة. إن قلت للولد أنا أقبل بك وأحبّك من دون أي شروط، إن قلت للولد أنا أقدّرك وأريدك أن تشعر بأهميّتك لكنني لن أقضي الوقت معك، سأكون "كالنحاس الذي يطنّ" والذي ذكره بولس في ١كورنثوس ١٣: ١. بكلمات أخرى، أنا لست صادقا فيما أقول.

لسوء الحظ، يقع كثيرون من الآباء في هذا الفخّ، وهذا يحدث معهم في أغلب الأحيان وأصبح عادة عندهم. ينتهي المطاف بالآباء وهم غير متوفّرين لأولادهم لأنهم منشغلون جدا. الكلّ يطلق النكات حول الحياة السريعة التي نحياها، لكن هذا الأمر غير مضحك البتة. الآباء يتذمّرون من "الأعمال الكثيرة التي يقومون بها،" ثم يخبرونني عن جدول أعمالهم، ونشاطاتهم في الكنيسة، ونشاطاتهم الاجتماعية. بالنسبة إلى كثيرين، جدول تنقلاتهم كثيف لدرجة لا يمكن تصديقها، فهم يقضون ساعات طويلة خلال النهار على الطرقات العامة للذهاب والرجوع من أعمالهم.

بينما ينشغل الآباء في الحياة، ينشغلون جدا إذ لا يقضون وقتا مع أولادهم، يراقبهم الأولاد ويسجّلون ملاحظات في أذهانهم. بالنهاية، يريدون أن يُصبحوا كآبائهم وأمهاتهم. وبينما تمرّ السنون، تتحقّق أغنية هاري تشابين: "The Cat in the Cradle". "يكبرون ويصبحون مثلنا تماما."

وحين يتزوّج أولادنا وينشئون عائلات خاصّة بهم، وينجرفون في نمط الحياة عينه، سيفشلون في قضاء الوقت مع أولادهم الذين سيُصبحون أحفادنا. غالبا ما أتكلّم مع الأجداد الذين اكتشفوا خطأهم وهم يقضون الآن وقتا أطول مع أحفادهم مما قضوه مع أولادهم. أعتقد أن القوّة الأعظم لبناء علاقات أفضل بين العائلات في

بلادنا اليوم هي قوّة الأجداد. حين أتكلّم مع الطلاب وأسالهم: "مع من تقدرون أن تتكلّموا؟ هل تعلمون ماذا يجيبون؟ كثيرون منهم لا يذكرون آباءهم ولا أمهاتهم. يقولون: "مع أجدادنا – مع جدّتي وجدّي."

أنا متأكّد أنه يوجد أسباب مختلفة لهذا في مختلف العائلات، لكن أحد الأسباب الرئيسة لتحدّث الأحفاد مع الأجداد أكثر مما يتحدّثون مع آبائهم هو أن الجدّ والجدّة يقضيان وقتا أطول معهم. هم متاحون لهم أكثر من آبائهم.

هل آباء أولاد ما بعد الحرب العالمية الثانية أفضل؟

بحسب إحدى الدراسات التي رأيتها، كان يقضي الأولاد منذ خمسين عاما ثلاث أو أربع ساعات يتفاعلون فيها مع آبائهم أو أقاربهم. لكن هذا كان يحدث حين كان أغلب الناس يعيشون في المزارع وكانت العائلة تعمل معا. في تلك الأيام كان الأقارب يسكنون في الشارع أو الحيّ المقابل.

أما اليوم، وفي "عصرنا المتحرّك،" فقد انتقل الناس من المزارع إلى المدن، أو على الأصحّ، لقد انتقلوا إلى الضواحي. العائلة النموذجية اليوم هي العائلة التي يخرج فيها الأب والأم صباحا مُسرعَين من الباب إلى العمل، ثم يعودان مُتعبَين إلى البيت لكي يستعدا للذهاب إلى العمل صباح اليوم التالي. النتيجة هي أن الأولاد يقضون حوالي ١٥ دقيقة فقط في التفاعل معهما كلّ يوم. وبحسب بعض الخبراء، يسمع الأولاد خلال اثنتي عشر دقيقة منها الانتقاد والتعليم والنقد. الوقت المتبقّي للمرح والضحك معا والتمتّع بلحظات نوعيّة هو ثلاث دقائق، وفي هذه اللحظات فقط يبدأ التواصل الحقيقيّ.[١]

يحبّ جيل آباء أطفال اليوم التكلّم عن قضاء "وقت نوعيّ" مع أولادهم. إن مفهوم الوقت النوعيّ يرتكز على فكرة أنه على الرغم من جدول الأعمال المزدحم، يستطيع الآباء أن لا يضيعوا لحظة واحدة للتركيز على أولادهم والتواصل والارتباط معهم.

بحسب تقرير نشرته USA Today، يعتقد جيل أطفال ما بعد الحرب العالمية الثانية (أي الأطفال الذين وُلدوا بين عامي ١٩٤٦ و١٩٦٤) أنهم أفضل من آبائهم

في تربية أولادهم.[٢] ومع هذا، تُشير الدراسات أن هؤلاء الآباء يقضون وقتا أقلّ مع أولادهم من الوقت الذي كان آباؤهم يقضونه معهم.

كشفت دراسة أجريت على ثلاثمائة ولد في صفي السابع والثامن أن الأولاد يقضون ٧ دقائق ونصف في الأسبوع وهم في "حوار مركّز" مع آبائهم. المقصود بالحوار المركّز هو حين ينظر الشخصان في عيني بعضهما ويتكلّمان ويُصغيان إلى بعضهما ويتبادلان فعلا الأفكار. هذا يعني أنهم بالكاد يقضون **دقيقة واحدة** في اليوم في حوار حقيقي مع آبائهم. وتكاد تكون النسبة مماثلة مع الأمّهات.

منذ عدة سنوات، تكلّمت في مؤتمر حضره ٦٠٠ مراهق من الصفوف الثانوية في أحد أكبر الكنائس في الولايات المتحدة. السؤال الذي احتلّ المرتبة الأولى في ذلك الأسبوع هو : "يا جوش، ماذا يمكنني أن أفعل لأبي؟"

كنت أسأل: "ماذا تقصد بذلك؟"

"حسنا، إنّه لا يتكلّم معي أبدا، ولا يصطحبني إلى أي مكان. إنه لا يفعل شيئا معي أبدا."

تكلمت ١٦ مرة من الاثنين ظهرا حتى يوم الجمعة ظهرا في ذلك الأسبوع، أقمت ٤٢ جلسة استشارة، دامت كلّ واحدة منها نصف ساعة. لو كان الوقت يسمح لي لأقمت ٣٠٠ جلسة، لكني ساعدت قدر الامكان. كنت أطرح السؤال نفسه في كلّ جلسة من تلك الجلسات: "هل تستطيع أن تتكلّم مع والدك؟"

طالب واحد أجابني بنعم، أما الباقون فأجابوا بلا.

لكي تقضي وقتا نوعيا يجب أن يكون لديك كمية كافية من الوقت

أنا مقتنع أن إحدى أكبر الخرافات الرائجة اليوم هي خرافة "الوقت النوعيّ." طبعا، كلنا نريد قضاء وقت نوعيّ مع أولادنا، لكن لا يمكن أن تحصل عليها بموعد معهم، أو في جدول مزدحم من الأعمال. تحصل على الوقت النوعيّ حين تصرف وقتا طويلا مع أولادك. من الكمّية تخرج النوعية.

من مميزات الوقت الكميّ مع الأولاد هو أنك ستكون قادرا أن تكون قدوة لهم. في كلّ مرّة أذهب إلى المدينة، وفي كلّ مرّة أذهب لشراء بعض الحاجيات، أحاول أن أصطحب أحد أولادي معي. إن لم افعل هذا، أفقد فرصة بان أكون قدوة لهم. حين يكونون معي يستطيعون أن يروا كيف أتجاوب مع العالم من حولي: كيف أتصرّف حين يمرّ من أمامي سائق آخر، أو حين يُغضبني شخص ما لسبب أو لآخر.

كيف أتصرّف حين أُخدع، وحين يؤخّرني أحدهم أو حين أحبط؟ كيف أتصرّف مثلا حين أضع مالا في علبة الجرائد ولا أستطيع أن أفتحها لأسحب جريدة من داخلها؟ هل أضرب بيديّ على العلبة وألعنها أو أشتمها؟ أم أكون صبورا حين أتعرّض للسرقة؟

لن يعرف أولادي أبدا ردّة فعلي ما لم يكونوا معي يراقبونني، ويختبرون معي تلك الأوقات العصيبة. سجّل التالي واختمه في عقلك:

لكي تكون بطلا لأولادك —لكي تكون قدوة لهم— عليك أن تقضي معهم وقتا كمّيا. من ذلك الوقت الكمّي ستحصل على الوقت النوعيّ لكي تخبر أولادك عن قبولك وتقديرك لهم

اختبارات عالم ديزني لن تفي بالغرض

نقع ضحيّة خرافة أخرى وهي الخرافة التي تقول: "اللحظات الكبيرة هي اللحظات الهامّة." أطلق عليها اسم اختبارات عالم ديزني - تلك الرحلات الكبيرة حيث تقضي يوما كاملا وتصرف أموالا طائلة. كنت أعتقد أن اللحظات الكبيرة هي اللحظات الهامة وكنت أسرع في أخذ عائلتي إلى عالم ديزني أو إلى أي مكان آخر "تُثار فيها الحماسة." أخيرا كلمتني دوتي بطريقة هادئة وهادفة كأشعة اللايزر: "يا حبيبي، لن يتذكّروا الأوقات الكبيرة، بل سيتذكّرون تلك الأوقات الصغيرة الثابتة التي كنت تقضيها معهم، إذ هي التي ستُشكّلهم."

كما لاحظتم، عندي عادة بأن أتأمّل بأفكار دوتي. "أدقّق بها" في عقلي، وعادة أقرّر بأنّها محقّة. لم تقترح دوتي أن نبتعد عن الأوقات أو الأحداث الكبيرة. ما زالت الرحلة إلى عالم ديزني على جدولنا، لكن هذه الرحلة ليست هامّة كما كانت سابقا.

اللحظات الكبيرة هامّة، لكن لا يمكن أن تحلّ مكان اللحظات الصغيرة الثابتة، لأنه خلال تلك اللحظات يُصنع الأبطال ويشعر الأولاد أنهم مقبولون ومقدّرون.

ما علّمني إياه جيم دوبسون عن المراهقين

بالنسبة إلى آباء المراهقين، أريد أن أذكر لهم خرافة أخرى: "سنوات التعليم قد ولّت." من الغريب كيف أن شعار الكنيسة الكاثوليكية: "أعطنا الطفل حتى سِن السابعة" مسيطر على تفكير المجتمع. يوجد سبب وجيه وراء ذلك، لأنه صحيح أن السنوات السبع الأولى من الحياة (في الواقع هي السنوات الثلاث الأولى) هي سنوات تثقيفية بامتياز. لهذا السبب، أشدّد أنا وديك على الحاجة إلى قبول الولد وبناء الثقة والاستقلالية في الولد حين يكون صغيرا.

لكن الأبحاث الحديثة أثبتت أنه يوجد مجموعة سنوات تثقيفية أخرى يمرّ بها الولد وهي عمر المراهقة التي تبدأ في سنّ الحادية عشرة أو الاثني عشرة. بينما يدخل الولد في سنّ المراهقة، تقول الخرافة إنه لا يحتاج إلى أهله كما كان يحتاج إليهم في الماضي، لأنّه بدأ مرحلة الاستقلالية. يوجد حقيقة وراء هذا لكنها ليس كاملة بأي شكل من الأشكال.

أتذكّر حديثا أجريته مع الدكتور جايمس دوبسون بعد أن أصدر كتابه الرائع Preparing for Adolescence. لقد ذكرت سابقا أني التقيت بآباء كانوا يعتقدون أنه من الجيد أن تقضي وقتا مع الأولاد وهم صغار في السنّ، لكن هذا غير ضروري حين يدخلون سنّ المراهقة. كانت إجابة الدكتور دوبسون: "لا، هذا غير صحيح. بحسب أبحاثي، حين يصل الأولاد إلى سنّ البلوغ، هم بحاجة إلى أهلهم، خاصّة إلى آبائهم، بقدر حاجتهم لهم وهم صغار إن لم يكن أكثر."

لقد أعطاني ذلك الحديث المقتضب مع جيم دوبسون تحفيزا جديدا لكي أقضي أكبر وقت ممكن مع أولادي المراهقين، وأن أشجّع الآباء الآخرين أن يفعلوا الأمر نفسه. نعم، أنا مُدرك أن هذا الأمر ليس سهلا. في الواقع، يبدو هذا الأمر مستحيلا في كثير من الحالات. حين أقول إن المراهقين يحتاجون إلى قضاء الوقت مع أهلهم، ينظر إليّ الآباء والأمّهات ويهزّون أكتافهم معترضين.

يريدون أن يعرفوا: "كيف يمكننا أن نقضي وقتا مع أولادنا المراهقين؟ لديهم جدول خاصّ بهم، وأصدقاء وحياة خاصّة. إنهم منشغلون جدا ولا يقدرون أن يتكلّموا معنا."

أنا أفهم شعورهم وهذا أحد الأسباب الذي من أجله أحثّ الأهل أن لا ينشغلوا عن أولادهم وهم في سنّ صغير. إن خصّصت وقتا لأطفالك وهم صغار، ستُعطى فرصا كثيرة - سيطلبون منك - لكي تقضي وقتا معهم وهم في عمر المراهقة. ذكرتُ كالي في بداية هذا الفصل. لقد قاطعتني بينما كنت أكتب فصلا من كتاب وطلبت مني أن أذهب معها لتقليم أظافرها. كثيرون من الآباء لا يقدّرون طلبا كهذا ويعتبرونه ثانويا. ألا يعرف المراهقون أن لدينا أعمال أفضل نقوم بها بدلا من الهيمان معهم؟

الإجابة على هذا السؤال هي: "نعم ولا." من الواضح أنه لا يمكن للأهل أن يجلسوا كلّ الوقت لكي يكونوا متاحين لأولادهم كلّ اليوم. عليهم أن ينجزوا أعمالهم. عليهم أن يحافظوا على جدول أعمال معيّن وإلا تفكّكت العائلة وأصبحت فوضوية. لكن في الوقت نفسه، هناك وقت كاف لكي نكون متاحين ونسمح لأنفسنا أن "يأتوا إلينا بطلباتهم" إن كنا فعلا مهتمين في قضاء وقت أطول مع أولادنا. السؤال الذي يجب أن يطرحه الآباء على أنفسهم هو التالي: "**هل تربية أولادي هي من أولوياتي؟**"

أنا لا أتكلّم عن تربية للأولاد تشبه الحكم المؤبّد في السجن—واجبات يوميّة على الأب والأم أن يقوما بها. أنا أتكلّم عن كيف تكون بطلا لأولادك—عن شخص يريد أن يقبل ويقدّر ويغذّي أولاده في كلّ فرصة ممكنة. من الضروري جدا أن تقضي وقتا مع أولادك إن أردت أن تكون بطلا يصدّقونه ويثقون به، وبطلا يبني شعور أولاده بالأمان وبالمعنى الذاتيّ.

كما قلت في الفصل الثاني، أهم الأمور هي أن تكون متاحا للأولاد في تربيتك الإيجابية لهم. **كيف يمكنك حقا أن تقبل أو تقدّر أولادك إن لم تكن متاحا لهم؟ كيف يمكنك أن تظهر العاطفة لأولادك إن لم تكن موجودا؟**

قد يبدو التالي تطرّفا، لكني أخشى أنه حقيقي وصحيح:

إن لم تكن مستعدا أن تجد وقتا لأولادك، فكلّ ما كتبناه في هذا الكتاب لا معنى له.

كسب مقاما وخسر أولادا

بعض العبارات الحزينة التي يمكن للأهل أن ينطقوا بها هي: "لو أني فقط قضيت وقتا أطول معهم.... لو أني سمعت أكثر لأولادي... لو أني..."

سمعتني زوجة نائب رئيس أحد شركات البناء الكبيرة أتكلّم في كنيسة محلية عن أن يكون الأهل متاحين لأولادهم. التقيت لاحقا بتلك المرأة في مطعم. ذكرت لي أنها سمعتني أتكلّم وبدأت تبكي.

قالت متردّدة: "يجب أن أشاركك بأمر ما. لقد توفي زوجي حديثا. كان ينتج مليون دولارا في السنة. سافر حول العالم بني الأبنية. لكنه لم يقضِ وقتا مع أولاده حتى حين كان موجودا في البيت. لقد انقلب كلّ أولاده ضده، وحين كبروا، لم يريدوا أن يتعاملوا معه. لقد اعترف لي وهو على فراش الموت أنه سيكون أتعس إنسان يموت على وجه الأرض. قال لي: "كسبت مقاما، لكني خسرت عائلتي. ليتني قضيت وقتا أكثر مع أولادي."

تذكّرني كلمات هذه الأرملة بما قاله يسوع: "ماذا سينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه" (متى ١٦: ٢٦).

لن تخلص إن قضيت وقتا مع أولادك، لكنه إشارة إلى أنك تأخذ تعليم الكتاب المقدس على محمل الجدّ كونك أبا محبا وأمينا وراعيا. مات هذا الرجل الإداري حزينا لأنه ربح العالم كلّه وخسر محبة أولاده. جمع مالا كثيرا، لكنه لم يكن متوفّرا لأهمّ الأشخاص في حياته. اشترى لهم أمورا كثيرة. قدّم لهم بطاقات في أعياد ميلادهم كُتب عليها: "أنا أحبك." لكن هذا الكلام لم يخدعهم. كان يُفترض به أن يعرف: "يمكنك أن تخدع مخادعا، ويمكنك أن تتحامق على الأحمق، لكن لا يمكنك أن تغشّ طفلا."

بينما كنت خارجا من ذلك المطعم، تذكّرت حين أبعدت ابني البالغ سنتين من عمره لأني كنت منشغلا. وبينما كنت أفكّر بذلك الأب الذي توفي من دون محبة عائلته، أصبح لكلمات دوتي معنى أعمق:

إن أظهرنا اهتماما باولادنا الآن سيُظهرون اهتماما بنا لاحقا.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. هل يتضمّن نهارك وقتا للمرّات التي "يقاطعك" بها أولادك؟ هل تمرّ أيّام لا تنهي فيها قائمة أعمالك لأنك توقّفت لكي تفعل أمورا أخرى مع أولادك؟ هل تعتبر الوقت الذي تقضيه مع أولادك وقتا "مهدورا" أو وقتا مفيدا؟

٢. حين تقضي وقتا مع أولادك لتلعب معهم، هل أنت صبور معهم، أم تحاول أن تستعجل الأمور لكي تنتهي بسرعة؟

٣. حين تكلّم جوش عن طلب كالي لكي يأخذها لتقليم أظافرها بينما كان يعمل على إنهاء مشروع هام، يصف ثلاثة أفكار مرّت في عقله. ما هي الفكرة الأكثر إفادة ولماذا؟

٤. بالنسبة إلى ما ورد هذا الفصل، ما الرسالة التي تصل لأولادك حين لا تكون متاحا لهم؟

٥. كيف يقع الآباء في فخّ "لا أشعر أن هذا صحيح"؟ هل هذا يحدث معك؟ تكلّم مع شريك حياتك عن جدول أعمالكما. هل تخصّصان وقتا مناسبا لأولادكما؟ إن كنتما لا تخصّصان وقتا لهم، كيف ستفعلان ذلك؟

٦. بالنسبة إلى ما ورد في هذا الفصل، ما هي الطريقة الوحيدة لكي تقضي "وقتا نوعيّا" مع أولادك. ما نسبة الوقت النوعيّ الذي تقضيه مع أولادك كلّ يوم؟ كلّ أسبوع؟

٧. عند نهاية هذا الفصل، يقول جوش إنه إن لم يكن الآباء مستعدّين لتخصيص الوقت لأولادهم، فلا معنى لكلّ الأمور الأخرى التي تكلّم عنها في هذا الكتاب. هل توافق معه أم لا؟ لماذا؟

٨. اطلب من شريك حياتك أن يكتب مشاعره حول عبارة دوتي ماكدول: "إن أظهرنا اهتماما بأولادنا، سيُظهرون اهتماما بنا لاحقا." بعد أن يكتب كلّ واحد منكما مشاعره، تشاركا بما كتبتما وتناقشا فيها.

١٢

كيف تشذب أولادك

كانت إحدى الكاتبات في مجلة مسيحية تجري مقابلة مع عائلتنا لتغطية قصّة في المجلة حين سألت ابننا شون: "ما هو الأمر الواحد الذي لا تحبّه في والدك؟"

كان شون في السادسة أو السابعة من عمره في ذلك الوقت ونظر إلى تلك المرأة نظرة متحيّرة وقال: "لا شيء."

أجابته السيدة: "لا بدّ أن يكون هناك أمرٌ ما لا يعجبك. أخبرني ما هو؟"

أجابها شون ببطء: "حسنا... يبتعد عن البيت كثيرا..."

جحظت عينا الكاتبة قليلا ودوّنت بتردّد بعض الملاحظات لكنها لم تعلّق على إجابته. ثم تابعت مقابلتها مع بقيّة أفراد العائلة وكانت على وشك المغادرة حين استوقفتها.

"هل تمانعين أن تستدعي شون من جديد وتطرحي عليه سؤالا آخر؟"

"لا، لكن ماذا تريدني أن أسأله؟"

"اسأليه ما أكثر شيء يحبّه في أبيه؟"

أجابتني: "لا أرى داعيا أن أسأله..."

أجبتها مبتسما: "إسأليه هذا السؤال فقط، لنرَ ما الذي سيحدث."

دعت شون لكي يعود إلى الغرفة وطرحت عليه هذا السؤال: "شون، ما أكثر شيء تحبّه في أبيك؟"

أجابها شون من دون أيّ تردّد: "يقضي وقتا طويلا معي."

أضافت الكاتبة ملاحظة شون في مسودتها، لكني كنت متيقّنا أنها لم تفهم ما الذي كان يجري. لم أطلب منها أن تطرح هذا السؤال على أولادي الآخرين، وكانت تتساءل لماذا طلبت منها أن تفعل هذا مع شون.

قلت لها: "إن كنت تتساءلين لماذا طلبت منك أن تفعلي هذا، تذكّري حين سألته ما الأمر الواحد الذي لا يحبّه في أبيه؟ شعر أنه مُحرج من ذلك السؤال لكني أحببت إجابته حقا. أخبرك عن الأمر الواحد الذي لا يعجبه فيّ وهو أني أبتعد كثيرا عن البيت. إن لم يكن ابتعادي عن البيت أمرا يزعجه لكنت في ورطة."

نظرت إلي الكاتبة نظرة بدا عليها الحيرة فتابعت قائلا: "كما ترين، لو لم يكن شون منزعجا من ابتعادي عن البيت، فإن هذا يعني أنه حين أكون متواجدا في البيت لن نفعل شيئا معا، لكنه يريدني أن أكون موجودا في البيت لأنه يقضي معي وقتا كثيرا ونحن نستمتع بذلك."

شكرتني السيدة وغادرت. لاحقا، حين نشرت مقالتها، كتبت الأمر الذي لم يعجب شون فيّ وكذلك الأمر الذي يحبّه فيّ. وأعتقد أن هذه النقطة بالذات كانت أفضل شيء في المقال.

"الذهاب مبكّرا إلى الفراش" ليس مجرّد شعار

أنا متأكّد أن أولادنا الآخرين سيقولون الشيء نفسه مثل شون بالنسبة عن الأمر الذي لا يعجبهم بأبيهم. أنا أسافر كثيرا، ولكني عوّضت خلال السنين عن غيابي هذا بطريقتين على الأقل:

١. أحاول أن أسافر مع عائلتي بقدر المستطاع، خاصّة خلال الصيف. نتيجة لهذا، نجد أنفسنا مع بعضنا معظم الوقت على الرغم من جدول سفري الكثيف.

٢. حين كان شون وكالي صغيرين، كنت أتبع سياسة اعتبرها البعض غريبة. لا يهم من الشخص الذي يزورني أو يتّصل بي عبر الهاتف، ومهما كنت أفعل، كنت أعتذر وأذهب للنوم معهما.

إن كان في البيت ضيوف، كنا نخبرهم قبل أن يحضروا: "لن يكون جوش متاحا لكم بين السادسة والنصف والسابعة." كنا نقول للناس أيضا: "لا تتّصلوا بجوش بين السادسة والنصف والتاسعة مساء لأنه سيكون مع الأولاد."

حين أكون في المنزل، كنت أحاول أن أقضي ساعتين ونصف كلّ مساء مع كالي وشون. ربما تتساءلون أين دوتي من كلّ هذا. كانت أحيانا تأخذ فترة راحة تستحقّها بجدارة. زوجها يسافر كثيرا، وهي تستحقّ تلك الفترة من الراحة! (ما زالت حتى الآن تأخذ فترة من الراحة.)

ماذا كنت أفعل مع الأولاد كلّ ليلة؟ كنت أحيانا بكلّ بساطة أخرج وأتمشى معهم، أو نقرأ كتابا، أو نتصارع على الأرض.

كان أحد أفضل النشاطات الدخول الى الجاكوزي في غرفة نومنا. قدّم الجاكوزي أصدقاء لنا كهدية خاصّة.

كنت أدخل في أمسيات كثيرة مع الأولاد إلى الجاكوزي ثم تنضمّ إلينا دوتي لاحقا. في إحدى الليالي ملأنا طاسة كبيرة من الفوشار وجعلناها تطوف على الماء، وكان الجميع يأكل منها. تكلّم الأطفال عن هذا الأمر لأسابيع وسمعت الأساتذة وبعض الآباء يتكلّمون عن "الفوشار في الجاكوزي."

أحيانا كنا نشاهد التلفاز ونحن في الجاكوزي، وكان أحد برامجنا المفضّلة "Family Feud".

أنا أعترف بأن "ذهابي إلى الفراش" عند الساعة السادسة والنصف أو السابعة يبدو أمرا متطرّفا بعض الشيء، وهو كذلك. أخشى أني قد أزعجت البعض أو ربما تساءلوا إن كنت مجنونا. لكن وصلتني رسائل كُتب فيها التالي: "أكثر شيء تعلّمته من حياتك حين كنت أزورك في البيت هو ذهابك باكرا للنوم لكي تقضي وقتا مع أولادك." وقد كتب أحدهم—غالبا ما يكون طالبا جامعيا—قائلا: "لقد سمعتك تتكلّم كثيرا، لكن أكثر ما سمعته منك هو: رجاء اعذرني، أنا ذاهب للنوم مع أولادي."

"القيام باكرا" هو للأبطال أيضا

كان جدول أعمالي يتغيّر على مرّ السنين. مؤخرا، حين كنت أعمل على مشروع كبير في الكتابة، كنت أقوم من النوم عند الساعة الثانية صباحا، وكنت أجلس إلى طاولتي حتى الساعة السادسة صباحا. بعد ذلك كنت أقيم الأولاد من نومهم، وكانوا كلّهم يقفزون في الفراش ويتصارعون معي ونتحدّث ونتناقش الأمور التي سيقومون بها في ذلك اليوم. بعد ذلك، كنا نرتدي ثيابنا، ونتناول طعام الفطور، وكنت أقودهم بعد ذلك إلى المدرسة.

كنت أحاول على مرّ السنين المحافظة على طقس معيّن وهو أن أمرّ على المدرسة بعد أن أرجع من سفري لكي أخرج مع الأولاد. كنت أقلّهم الساعة الثانية والنصف، وكنا نخرج معا لمدة ساعة واحدة. وفي الأيام الأربعة التي تلي، كنت أخرج مع كلّ واحد منهم على حدة لمدة ساعة. كنا نتناول المثلجات، أو نشرب العصير، أو أي شيء آخر يختاره الولد. النقطة هي أننا كنا نخرج معا ونلعب مدة ساعة كاملة أو نفعل أي شيء يريده الولد. غالبا ما كانوا يُحضرون صديقا معهم لكي يلعبوا سوية.

ما وصفته للتو عن أمسياتنا وفترة الصباح وبعد الظهر التي كنت أقضيها مع أولادي قد يبدو أمرا صعبا لكثير من الآباء. قد يقولون: "كيف يجد وقتا ليفعل كلّ هذا؟"

تذكّروا أني لا أتبع نظاما محدّدا. لقد وصفت سابقا طرقا مختلفة كنت أتبعها لمدة محدّدة من الزمن على مرّ السنين. كان كلّ شيء يعتمد على جدول اعمالي، وكذلك على سنّ أولادي في ذلك الوقت. اليوم مثلا، كالي وشون في المدرسة الثانوية، وكاتي في المدرسة الاعدادية وهيذر في الحضانة، وعلي أن أفعل أمورا مختلفة لكي أسدّ حاجة كلّ واحد منهم.

النقطة هي، كلّ عائلة تختلف عن عائلة أخرى. لأن جدول أعمالي يُبقيني مسافرا معظم الوقت، فأنا أعمل جاهدا لكي أقضي وقتا كبيرا مع أولادي حين أكون في المنزل. ولكن هذا يسبّب لي مشاكل من نوع آخر. تشعر دوتي أحيانا أنّي لا أقضي وقتا كافيا معها لأن أقضي وقتا كثيرا مع الأولاد. لذا، أنا أيضا أحرص أن أصرف وقتا كافيا معها أيضا. هذا صراع مستمرّ، لكني أدركت أنه يمكنني إنجاح ذلك. أستطيع أن أكون بطلا

لزوجتي وأولادي. أستطيع أن أكون مُتاحا لعائلتي - إن أردت ذلك. لقد تعلّمت أيضا أن تربية الأولاد هي أعظم اختبار في الحياة يجعلني أشعر بالرضى العاطفي.

افعل ما يناسب نمط حياتك، لا حياتي أنا

لكي تكون بطلا مُتاحا لعائلتك، ليس من الضروري أن تصرف أموالا كثيرة أو أن تقوم بأمور معقّدة لا تناسب نمط حياتك، لكن عليك أن تقضي وقتا كافيا مع العائلة. أنا أذكر عدّة أمور أقوم بها مع الأولاد في هذا الفصل من الكتاب، ولا يمكنك أن تقوم بالأمور نفسها، لكن النقطة هي أنني أقضي وقتا مع الأولاد بطريقتي الخاصة. **تستطيع أن تفعل الأمر نفسه - بطريقتك الخاصة.**

السرّ هو أن تتأكّد بأنّك تقضي **وقتا** معهم. ليس من الضروري أن تفعل شيئا غير اعتياديّ - في الواقع، الأمور الاعتيادية هي كلّ ما يريدك الأولاد أن تقوم بها معهم. هدفك النهائي الطويل الأمد هو تطوير نمط حياة لا يتزحزح.

التزم بأن تفعل أمورا مع أولادك ولا تفشل في الوفاء بهذا الالتزام

غالبا ما أسأل الآباء في المؤتمرات الخاصّة بهم: "كم واحدًا منكم يمتلك أكياس نوم وينام في حديقة المنزل الخارجية مع أولاده؟" أنا فعلت هذا، وأعرف نوع الحوار الذي سيجري هناك تحت النجوم الساطعة. هناك يتكلّم الأولاد معك ويشاركونك بأمور كثيرة. هذا أحد النشاطات المفضّلة حين نكون قرب الشاطئ لأيام قليلة.

عند الإمكان، أحبّ أن أقضي وقتا مع كلّ ولد من أولادي، كلّ واحد على حدة. ذات صيف، بينما كنا في مزرعة في بلاد إيداهو (Idaho)، وقد قدّم لنا أحدهم هذه الرحلة هديّة لنا، سألت شون: "يا ابني، ما رأيك أن نخرج معا، أنا وأنت فقط، إلى مكان ما؟"

قَبِلَ شون العرض بفرح، فأخذنا بعض الطعام والشراب وذهبنا في نزهة استمرت خمس ساعات.

مشينا في وادٍ ضيّق، واكتشفنا شلالا من الماء وسبحنا في بركة ماء، وجلسنا نستدفئ على الصخور، ثم أكلنا معا، وقضينا وقتا معا. لقد أقنعنا أنفسنا أننا كنا أول من يصل من البشر إلى تلك البقعة من الأرض. (في طريق العودة، وجدنا آثار علب طعام وزجاجات فعرفنا أننا لسنا أوّل من اكتشف هذه البقعة.)

بشكل عام، كان الوقت ممتعا - قضيت خمس ساعات مع ابني وركّزت عليه، وكان في العاشرة من عمره. ما زلت اتذكّر ذلك الصيف، ولا يمكن لأي مكان آخر كديزني لاند أو غيره ان ينافس المرح الذي استمتعنا به هناك.

معركة بالون الماء باكرا صباح السبت

هدفي دائما أن أقوم بأمور مع أولادي لم يقم بها والدي لأنه لم يشأ ذلك. ربما أنا أحقّق أحلام طفولتي، لكني أعتقد إنها طريقة صحّية. مثلا، كنت دائما أريد أن أستخدم بالون ماء في معركة مع أبي وأمي، لكنهما لا يريدان أن يفعلا ذلك أبدا. منذ سنوات خلت، في عيد الفصح، قلت لأولادي: "يا أولاد، ما رأيكم أن نتعارك مستخدمين بوالين الماء؟" لم يصدّقوا أني كنت مستعدًا أن أفعل هذا معهم، لكن حين اشتريت مئة وعشرين بالونا وبدأت أملؤها بالماء، أدركوا أني كنت جدّيا.

بعد أن ملأتها بالماء، خرج ولدانا (كان لنا ولدان هما شون وكالي) مع صديقَين لهما إلى ساحة المنزل الخارجية. أخذت خرطوم المياه وجعلت منه دائرة كبيرة في الساحة. أعطيت كلّ ولد منهم ثلاثين بالونا مملوءً بالماء ووقفنا في الدائرة الكبيرة. وضعت قانونا واحدا: لا يقدر اثنان أن يرميا بالونا في آن واحد، وحين ينفجر البالون يستطيع الولد الثاني أن يرمي بالونا آخر. القانون الآخر هو أني سأعطي ربع دولار في كلّ مرة يصيبني أحد الأولاد ببالون ماء. لكن إن استطعت أن ألتقط البالون وأرميه عليهم، عليهم أن يدفعوا لي في المقابل سنتا واحدا. ما حدث بعد ذلك كان مرحا استمرّ مدة أربعين دقيقة. وما زلت أعتقد أن ما فعلناه كان أمرا كتابيا. نقرأ في سفر الجامعة أنه يوجد وقت للضحك والرقص (الجامعة ٣: ٤). كَتبَ النبي زكريا عن آباءٍ فرحت قلوبهم وأن أولادهم رأوا ذلك وفرحوا معا (زكريا ١٠: ٧).

النقطة هي أن لعبة كهذه خلال عطلة الفصح تترك في الأولاد ذكريات لا تُمحى. خلق هذا النوع من الذكريات يجعلك بطلا لأولادك.

حاول أن تتنزه مع الأولاد - مشيا إلى الخلف!

ما سأقترحه هنا قد لا يكون مناسبا لك، لكنها فكرة قد تستطيع أن تتبناها بطريقتك الخاصة. هل حاولت أن تسير **إلى الوراء** حول المنزل مع أولادك؟ إن كنت شخصا غريبا ومجنونا مثلي، قد ترغب في تجربة هذا النشاط لأنه بالفعل نشاط مختلف تماما عن أي نشاط آخر.

أنا أضمن لك أنه عندما يراك الجيران تمشي إلى الوراء، سيعتقدون أنك أصبت أخيرا بالجنون، لكن أولادك سيحبون ذلك. ستمشي أنت إلى الوراء وأولادك يمشون بطريقة طبيعية وهم ينظرون إليك. ستضحكون كثيرا في البداية، لكني أحاول بعد دقائق أن أعطيهم حقائق روحية. مثلا: "يسوع هو نور العالم وأينما سرنا، سيُرينا أين نذهب. هو يرينا ما هي الحياة."

إن كنت لا تحبّ أن تمشي إلى الوراء، تستطيع بكل بساطة ان تمشي بشكل عاديّ مع أولادك لكي تتكلّموا وتتشاركوا ببعض الأمور. تستطيع أن تمشي معهم إلى مكان لشراء المثلجات. إن لم يكن المتجر بعيدا، تستطيع أن تمشي معهم لشراء بعض الحاجات المنزلية الأخرى. النقطة المهمة في كلّ هذا:

خذ أولادك أينما ذهبت لكي تقضي وقتا معهم وتتواصل معهم.

كما ذكرت لكم في الفصل ١١، نادرا ما أذهب لأشتري شيئا بمفردي. أصطحب معي دائما واحدا من أولادي لكي نتكلّم وأسألهم عن حالهم وماذا يفكّرون عن أمور مختلفة، وعن أشخاص معيّنين، وعن بعض الأحداث التي نسمعها في الأخبار. أحيانا أذهب إلى مدينة رامونا، وهي تبعد حوالي خمسة وثلاثين دقيقة، في أسفل الجبل. أصطحب معي دائما ولدا منهم ونقضي جزءا من الرحلة على الأقل نتكلّم في موضوع يهمّنا.

من دون تخطيط لن يحدث شيء

قد تظنّ أن هذه الأمور كلها سهلة بالنسبة إلى جوش ماكدول- وأنه أب خارق يحب أن يقفز في الجاكوزي وأن يمشي إلى الخلف، ويخرج مع الأولاد مرة كلّ خمس دقائق لكي يتحدّث معهم ويقضي وقتا ممتعا معهم. **في الواقع، عليّ أن أعمل جاهدا كلّ الوقت** لكي تتحقّق هذه الأمور. أنا أفكّر مسبقا في المواضيع التي أريد أن أناقشها مع أولادي.

كما ترى، حين أقضي وقتا مع أولادي، لا أريد أن أعتمد على "الصدفة" لكي يدور حوار بيننا. قد لا يجد بعض الآباء مشكلة في هذا، لكن بالنسبة إليّ—عقلي يسير ميلا واحدا بالدقيقة الواحدة— عليّ أن أكون حذرا. إن لم أخطط مسبقا ما أريد أن أقوله، حتى إني أخطط وأفكّر بالأسئلة التي أريد أن أطرحها على أولادي، فلن يكون هناك حوار فيما بيننا.

مثلا، إن خرجت مع أحد الأولاد إلى أسفل الجبل إلى مدينة رامونا، سيكون من السهل أن أجلس في السيارة كلّ الوقت وأنا أفكّر في المشاريع التي أعمل عليها— كالكتب، والفيديو، وبرامج التلفزيون، والرسائل التي يجب أن أقدّمها في رحلتي القادمة. أستطيع أن أفكّر في كلّ هذه الأمور وينتهي بي الأمر من دون أتكلّم أبدا مع ابني أو ابنتي.

تعلّمت أمرا آخر وهو أنه إن كنت لا أخطّط أن أقضي وقتا مع أولادي فأعمالي الأخرى ستأخذ الحيز الأكبر من حياتي ولن أقضي وقتا معهم. حين أخطّط مسبقا الأمر الذي نفعله معا ومتى سنفعله، فإن هذا يساعدني أن أركّز عليهم وعلى الأمر الذي نريد تحقيقه. أنا أعرف أن بعض الآباء لا يواجهون مشكلة في التركيز، لكنني أعتقد أن كثيرين منهم، وخاصّة الرجال، من الصعب عليهم التركيز إن كانوا رجال أعمال منشغلين دائما بأعمالهم. يبدو أن التخطيط لما تريد أن تقوله لأولادك أمر مملّ وجاف. أنا أشعر أحيانا هكذا، لكنني أستمرّ في فعل هذا لأن هذا يساعدني أن أكون أمينا ومُتاحا لأولادي.

طوّر فن طرح الأسئلة

أحد الأمور التي أفعلها بشكل جديّ هو طرح أسئلة على أولادي تقودني للحوار معهم. أفعل هذا وأنا أقود السيارة وحين أمشي معهم، أو حين أجلس معهم إلى الطاولة لتناول الطعام. بعض الأسئلة التي طرحتها هي:

"لو كنت قادرا على تغيير عائلتك، كيف ستغيّرها؟" (عليك أن تكون مستعدا للإجابة.)

"إن كنت والد هذه العائلة، ما هو الأمر الذي ستقوم به بشكل مختلف؟" (عليك أن تكون مستعدا هنا أيضا.)

"ما هو الأمر الذي أحببت دائما أن تفعله ولم نفعله بعد كعائلة؟"

اقرأ أمثال ١٥: ١٣ و١٧: ٢٢ حيث نقرأ عن السعادة والحزن، ثم اطرح عليهم هذا السؤال: "ما هي اللحظة التي كنت فيها سعيدا أكثر من أي وقت آخر؟ ومتى كنت حزينا أكثر من أي وقت آخر؟ ما الذي يُفرحك؟ ما الذي يُحزنك؟"تستطيع هذه الأسئلة أن تقودك إلى حوارات رائعة معهم.

مرّة بعد أن زرنا حديقة الحيوانات، كان علينا أن نعود مسافة طويلة لكي نصل إلى البيت ولم أشأ أن يذهب ذلك الوقت سدى. حين انطلقنا من موقف السيارات، قلت لهم: "يا أولاد، دعونا نلعب لعبة صغيرة. ما هو الحيوان الذي رأيته اليوم ويَصِفك بشكل أفضل."

اكتشفت أنا ودوتي خلال الستين ميلا كيف يفكّر أولادنا عن أنفسهم. قالت كاتي الصغيرة—وقد كانت في الثالثة والنصف من عمرها—إنها كالدبّ.

سألتها: "لماذا؟" أردت أن أعرف السبب.

أجابتني كاتي: "لأني أحب المعانقة."

كانت كاتي في المقعد الخلفي، فأوقفت السيارة، وخرجت من السيارة، وفتحت الباب وعانقتها عناقا كبيرا قبل أن نتابع رحلتنا.*

---

* لمزيد من الافكار، أنظر الملحق في الصفحة ٢٢٣.

كن بطلا لأصدقائهم

حين أخرج مع أولادي، فإني لا أركّز عليهم فقط. حين أعود من رحلة ما لأقضي وقتا طويلا في المنزل، أسمح لهم بعد عدّة أيام أن يُحضروا على الأقل واحدا من أصدقائهم لأني أريدهم أن يروني كيف أتصرّف أمام أصدقائهم. أريد من أصدقائهم أن يعرفوا أنهم سيمرحون معي، وأن الوقت معي سيكون ممتعا ومميّزا. في الواقع، هذا الأمر يخرجني من قوقعتي بسرعة. مرّة، أتت صديقة كالي وبدأتا تضايقانني وتطلبان مني أن أسمح لهما أن "تتلاعبا بشعري."

اعترضت قائلا: "لا، لن أسمح لكما أن تتلاعبا بشعري."

أجابت كالي: "هيا يا أبي، دعنا نفعل هذا."

لاحظت صديقة كالي تتفرّس بي، وكانت تتساءل ماذا سأفعل. هل سأخاطر بهذا؟ قلت في نفسي إني دائما أريد ان أكون بطلا لأولادي، فلم لا أخاطر؟

قلت لهما: "حسنا، تستطيعان أن تتلاعبا بشعري بأي طريقة تشاءان، لكن لا أسمح لكما أن تقصاه أو أن تصبغاه بلون، وبالمقابل، عليكما أن تقبلا أن تخرجا معي إلى العشاء بعد أن ننتهي."

صرختا معا: "حسنا! سنفعل هذا." وبدأتا لمدة ساعة تتلاعبان بشعري وتضعان عليه موادا تجميلية واستخدمتا أدوات أخرى كمجفّف الشعر وأدوات أخرى لا أعرفها. حين انتهتا، كان شعري متّجها في كلّ الاتجاهات. بدوت كصحن فضائي طائر مستعدّ للانطلاق إلى كوكب بعيد. حين نظرت في المرآة بدأت أفكر في الشرط الثاني من الاتفاقية. هل سأخرج بهذا الشكل علنا لكي أتناول العشاء معهما. بدأت أتمنّى أن لا يتعرّف إليّ أحد.

حين خرجنا إلى مطعم بيتزا محلي، كنت أرتدي نظارات داكنة اللون، وبقيت الفتاتان تمشيان بعيدا عني لكي لا يعتقد أحد أني معهّن. تفرّس الناس بي، لكن لم يتّصل أي شخص بالشرطة واستمتعنا بوقتنا.

حين عدنا وعرف شون بما جرى، شعر أنه مُهمل. سألني: "هل أستطيع أنا وصديقي أن نتلاعب بشعرك أيضا؟" نظرت إلى شون وبدأت أفكر بما فعلته.

"يمكنكما أن تفعلا هذا غدا مساء، لكن عليكما أن تخرجا معي لتناول العشاء."

مساء اليوم التالي تناوب شون وصديقه في التلاعب بشعري مدة ساعة كاملة ونجحوا في تخريبه. فرحوا جدا بما صنعوه، ولكن، كما اتّفقنا، كان عليهما أن يخرجا معي لتناول العشاء، إلا أنني أخترت مطعما مختلفا، لأن مطعم البيتزا لن يتحمّلني مرّتين متتاليتين.

مصففو شعري المجانين جعلوا مني أسطورة في جوليان. استوقفني الأساتذة لعدة أسابيع بعد ذلك وأناس أخرون وأخبروني أنهم سمعوا "عن شعري." كنت أضحك لأني حقّقت هدفي. لقد استمتع أولادي معي وكذلك أصدقاؤهم. تكلمنا وضحكنا واستمتعنا بوقتنا. كنت أقول دائما إني أريد أن أكون أبا مستعدا أن يحاول أي شيء، وفي هذه المرة، طبّقت هذا على شعري.

ماذا يخطّطون هذه المرّة يا تُرى؟

إن أردت أن تدخل حقًا إلى عالم أولادك، عليك أن تبقى على اطّلاع بالأمور التي يفعلها أولادك حاليا. ما هي الأمور "المثيرة" التي يقوم بها أولادك حاليا؟ بينما كنت أكتب هذا الكتاب، كان الأمر الكبير في حياة ابنتي كاتي البالغة من العمر عشر سنوات "تناول الغذاء" مع أبيها خلال أيام المدرسة. في المرة الأخيرة التي كنت في البيت، كنت أخرج مع كاتي لتناول الغذاء مرتين كلّ خمسة أيام. غالبا ما كنت أحضر لها وردة واحدة رمزا لمحبتي لها. أتتْ إليّ مرة وسألتني: "هل أستطيع أن أركب عربة خيول معك؟ أريد أن أذهب بنزهة في عربة الخيول معك وحدك."

أخبرتها أني سأبحث في الأمر. استأجرت في اليوم التالي عربة خيول وسائقا وتوقّفنا أمام المدرسة في الوقت الذي يخرج التلاميذ. حين خرجت كاتي ورأت عربة الخيول، جحظت عيناها كمركبتي فضاء. تجمّع كلّ أصدقائها حولنا وركبت العربة وذهبنا في نزهة لتناول الغذاء. أنا متأكّد أن كاتي لن تنسَ هذه النزهة على العربة أبدا.

بالنسبة إلى شون الآن، الأمر الأكبر في حياته هو كرة السلة. أرسلت أنا ودوتي الصيف الماضي ابننا شون إلى مخيّم تدريب كرة السلة، وبينما كان هناك، طلبت من أحدهم أن يبني لي ملعبا صغيرا لكرة السلة. حين عاد شون من المخيم، لم يعرف ما

الأمر الذي أسعده أكثر من الآخر - هل كان الذهاب إلى المخيم أم الملعب الجديد حيث يمكنه أن يمارس كلّ الحركات التي تدرّب عليها في المخيم.

استمتعنا كثيرا وأردت أن أعرف كلّ ما جرى معه. من هم اللاعبون الذين كانوا معه؟ من كان أفضل لاعب بينهم؟ تبيّن لي أن شون كان أحد أفضل اللاعبين في المخيم مع أنه أقصر واحد بينهم.

هتف شون قائلا: "أبي، لا يمكنك أن تتخيّل حجم هؤلاء اللاعبين."

تكلمنا كثيرا عن كرة السلة. وفي هذه الحالة، كان من السهل أن أدخل إلى عالم ابني لأن كرة السلة كانت اللعبة المفضلة عندي في المدرسة الثانوية حين أصبحت في السنة الثانية. أتى إليّ شون منذ فترة ليست ببعيدة وقال لي: "أبي، لا أعتقد أنهم سيختارونني لكي ألعب أوّلا في مدرسة جوليان الثانوية..."

أجبته: "شون، أريدك أن تعلم أنه لن أتأثّر إن لعبت أولا، أو إن جلست على مقعد الاحتياط، أو إن لم تلعب أبدا، إو إن اخترت أن لا تلعب كرة السلة أبدا. كلّ ما أريده هو أن تشترك بشيء تحبّ أن تقوم به وتستمتع به. من الرائع أنك كنت أحد أفضل اللاعبين في المخيم، ومن الرائع أن تلعب مع فريق. لكن الأعظم من كلّ هذا أنك ابني وأنا أقدّرك أوّلا وأخيرا."

تسجيل ما يجري في حياتهم على الرزنامة

لقد شاركتكم بكثير من الأمور التي أفعلها مع أولادي لكي أكون متاحا لهم.* أستطيع أن أشارككم بأمور كثيرة أيضا كانت دوتي تقوم بها معهم، كان لديها مشروع مميّز جدا يحتاج أن أكتب عنه بشكل مفصّل. تدخل دوتي إلى عالم أولادها عبر كتاب سجلّ خاص بحياة كلّ واحد منها على رزنامة شهرية. أتكلم عن رزنامات فيها مساحة كافية كلّ يوم من الشهر، وكانت دوتي تكتب موجزا عن أهم الأحداث التي كانت تجري خلال ذلك اليوم، وكيف كان تأثيرها في حياة الولد أو حياة العائلة.

كانت دوتي تشتري أربع رزنامات كلّ سنة، واحدة لكل واحد من أولادنا. كانت تحاول أن تختار موضوع الصور على الرزنامة بما يتناسب مع كلّ وَلَدٍ. مثلا، حين كان

* لمزيد من الافكار، أنظر الملحق في الصفحة ٢٢٣.

شون في السنة الأولى من عمره، كان يحبّ الدراجة الهوائية، لذلك اشترت له رزنامة عليها صور لسباقات دراجات هوائية. اهتمام شون الأوّلي حاليا هو كرة السلة، ورزنامته لهذه السنة تحتوي صورا لكرة السلة.

كالي، أخت شون الكبرى، تهتم بأمور كثيرة، لذلك اشترت لها دوتي رزنامة تحتوي على صور تسوّق، وهي الرياضة المفضلة لدى كثيرين من المراهقات. كاتي، البالغة من العمر عشرة سنوات، تحب الأحصنة. تعرفون الآن الصور الموجودة على رزنامتها!

هيذر الصغيرة، عمرها أربع سنوات فقط، تحب القطط، ومن الطبيعي أن يكون في رزنامتها كلّ شهر صورا عن القطط.

مع مرور كلّ شهر، تحاول دوتي أن تملأ كلّ يوم بوصف مختصر عمّا فعله الولد وذكريات أخرى هامة. لا تنجح دائما بأن تكتب كلّ يوم، لكنها تغطي أياما كثيرة من كلّ شهر لكل واحد من أولادنا.

العبارات التي تكتبها بسيطة جدا - وأحيانا تبدو أنها عادية - لكنها تعني الكثير للأولاد ولنا نحن. مثلا، إليكم بعض العبارات التي كتبتها دوتي الخريف الماضي:

هيذر - لقد ذهبت اليوم إلى المدرسة. اصطحبك أبوك بعد المدرسة وذهبتما لتناول المثلجات.

كاتي - عائلتنا تبيع أشياء مستعملة خارج المنزل. أخذتك اليوم للمشاركة بمباراة كرة القدم في رامونا. كنت قريبة منك وكان الأمر ممتعا جدا - خسر فريقك ٢-١.

في اليوم التالي كتبت:

قمت بمساعدتي ومساعدة أبيك في بيع الحاجات المستعملة. ثم شاهدنا معا فريق بوستون يخسر في الشوط الثاني ضدّ فريق أوكلاند.

شون - لقد انتخبوك رئيسا على صفّك اليوم. أنا فخورة جـــــدًا بك! أتى لوك معك إلى البيت وأمضى الليلة كلها عندنا. قتل عقربا تلك الليلة.

كالي - قمت بشراء ثياب للمدرسة اليوم ووجدت ثيابا رائعة.

بالإضافة إلى كتابة تلك الملاحظات، كانت دوتي تلتقط صورا، وتعلّق شهادات لهم، وتقتطع مقالات من الصحف المحلية، وأموراً أخرى غيرها لكي تسجّل ما حدث مع الأولاد خلال هذا الشهر أو ذاك. كانت تُلصق كلّ هذه الأمور على صورة الرزنامة لذلك اليوم.

بينما تتوالى الأشهر، كانت صور القطط والأحصنة ولاعبي كرة السلة والمحلات التجارية تختفي بينما كانت دوتي تضيف عليها أحداثا جرت في حياة أولادها. كانت الرزنامة مثل دفتر يوميات، وكان تسجيل هذه الأمور مثيرا ورائعا. كانت تذكّرنا هذه الملصقات والعبارات أن نقدّر الوقت والزمن، وكيف أن أبسط الأمور تجعل من الحياة أمرا ممتعا.

كانت الصور والملصقات الأخرى، كالعبارات، أمورا صغيرة وبسيطة لكنها لا تُقدّر بثمن. مثلا:

> **هناك صورة لهيذر مع أصدقائها في حفلة عيد ميلاد، وهناك صورة لصديقة جديدة تعرّفت عليها في ذلك الشهر.**
>
> **هناك صورة لكاتي مع فريق كرة القدم، وتظهر في صورة مع فريق استعراضي، ونالت منهم وشاحا. الوشاح معلّق أيضا على الرزنامة لكي يذكّرها بالإنجاز الذي قامت به.**
>
> **هناك صورة لشون مع فريقين مختلفين لكرة السلة كان يلعب معهما. إلى جانب تلك الصورة رسومات رسمها خلال المعرض العلمي حيث ربح وشاح المركز الأول.**

وتجد على رزنامة كالي صورة لها مع "سيارتها الجديدة"—سيارة Chevy ١٩٧٥. إن كنت تحب السيارات فأنت تعلم أن سيارة Chevy ١٠٧٥ هي سيارة "كلاسيكية،" لكن الأهم من كلّ هذا أن هذه الصورة تسجّل وقتا كلاسيكيا في حياة كالي - لقد حصلت على رخصة للقيادة وسيارة خاصة بها وبدأت تستخدم حريّتها الجديدة وتتمتّع بمسؤوليات جديدة.

كات دوتي تعلّق خلف الرزنامة صورا وأمورا أخرى لم يتسنّى لها بعد أن تلصقها. لكنها تعمل في هذا المشروع كلّ يوم—على الأقل عشرة دقائق—لكي تكتب ملاحظاتها

وتلصق الصور والأمور الأخرى المتعلّقة بأحداث اليوم. لا تعتبر دوتي أن هذا العمل صعب جدا، غير أنها تستمتع جدا حين تقوم به. سألتها عن رأيها بالرزنامات لكي أسجله في هذا الكتاب، وعن قيمتها، فأجابتني:

إن الرزنامات هي من أعظم أولوياتي لأنها تقدّم لنا وللأولاد سجلا قيّما جدا. غالبا ما أفكر متى يحين الوقت لأقدّم هذه الرزنامات للأولاد. هل أقدّمها لهم حين يتزوّجون؟ لا، لا أعتقد إني سافعل هذا. أعتقد أني سأقدمها لهم حين ينجبون الأولاد. سينشغلون جدا حين يتزوجون في تحضير منازلهم وقد تضيع منهم، لكن حين يُنجبون الأولاد، سيُدركون قيمة هذه السجلات التي لا تقدّر بثمن.

لقد بدأت بهذا المشروع لأني حصلت على هديّة بعد ولادة هيذر. حصلت على رزنامة وعليها ملصق يقول: "المرة الأولى التي جلست فيها، "المرة الأولى التي ابتسمت فيها" وهكذا دواليك. كنت أفرح بالكتابة على تلك الملصقات عن هيذر، فقرّرت أن أخصّص رزنامة لكل واحد من أولادنا، وهذا ما أفعله منذ ذلك الحين.

أنا أعترف أن الرزنامات تحتاج لعمل طويل وشاق، لكن العمل فيها أمر ممتع جدا. بينما أجمع وأتأمل في السنين الماضية، أستطيع أن أرى شهرا بعد شهر كيف كان أولادنا ينمون، وبماذا كانوا منشغلين، وبماذا كانوا مهتمين، وما هي الأمور التي تخلّوا عنها، والأمور التي استمروا بالقيام بها. أشعر برضى داخلي كبير جرّاء هذا.

قد تكون المحافظة على رزنامة خاصّة لكلّ واحد من أولادك أمرا صعبا ولا يتوافق مع برنامج أعمالك حاليا. لذلك لا بأس لو حاولت البدء بها بطريقة بسيطة لترى كيف ستطوّر الأمور. ما اكتشفناه أن الأولاد يحبّون الرزنامات مثلنا. يحب شون أن يأتي بأصدقائه إلى البيت ويُخرج الرزنامات لكي يُريهم الأمور التي سجّلتها والدته. تستطيع أن ترى فخره في عينيه بينما يشارك سجلّ حياته مع أصدقائه.

لا يعرف شون كم أن الرزنامة ثمينة، لكنه يفهم أمرا واحدا: الرزنامات تمثّل اهتمام والدته الكبير بحياته وبحياة أخواته. تذكّره الرزنامات بالأمور التي أنجزها، والأمور التي قام بها مع عائلته. وما الذي يمكن أن يكون أهمّ من هذا؟

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

الأمر الذي لا يجب أن تفعله عند نهاية هذا الفصل هو التفكير والتكلّم عن الأفكار التي وردت فيه فحسب، بل أنصحك أن تختار عدّة أفكار تناسبك وحاول أن تطبّقها مع أولادك. إن لم تنجح فكرة ما فلا تفشل. عدّل في الفكرة أو قم بتغييرها بالكامل. الأمر المهم هو أن تقوم أنت وأولادك بأمور مشتركة وأن تجعل هذا الأمر **نمط حياة لك.**

الجزء السادس

المحاسبة والسلطة: كيف يمكن للحدود أن تطوّر التهذيب الذاتيّ والحسم الذاتيّ للأمور

وصفنا في الفصل الثاني إلى الخامس ما يجري في العلاقة المبنية على المحبة: **القبول والتقدير والعاطفة والتوفّر**. بينما تبني علاقة المحبة، عليك في الوقت نفسه أن تضع **حدودا**. صحيح أن رسم **الحدود** من دون **محبة** يؤدّي إلى التمرّد، وصحيح أيضا أن **المحبة** بدون رسم **حدود** يمكنها أن تسبّب بمشاكل كثيرة، وفي بعض الحالات تكون النتائج أسوأ من ذلك بكثير.

تضيف **الحدود** في مبادئ التربية الإيجابية أمرين. أولهما هو **المحاسبة** وهي تعني بكل بساطة "الاستعداد والقدرة أن تكون عرضة **للمحاسبة**، وأن تشرح ما تقوم به بطريقة مسؤولة." المحاسبة تساعد الولد أن يطوّر فيه الانضباط الذاتيّ.

الأمر الثاني هو **السلطة**، وهي الإطار الذي فيه يتعلّم الأولاد عن صفات الله الأخلاقية وعن مفهومي الصواب والخطأ. تساعد السلطة الولد أن يتعلّم اتّخاذ الخيارات ضمن حدود معيّنة. السلطة تساعد الأولاد أن يحسموا الأمور بأنفسهم.

كما سنرى، المحاسبة تتداخل مع السلطة بينما تبني وتتفاعل مع بعضها. المفاهيم والأفكار الأساسية تتضمَن التالي:

- لماذا المحاسبة هي أمر أساسيّ للعائلة السعيدة.
- كيف تتماشى المحاسبة مع الخضوع والطاعة.
- لماذا الأشخاص الذين يشعرون بالأمان مجهّزون بطريقة أفضل أن يخضعوا وأن يكونوا عرضة للمحاسبة.
- الطريقة الأفضل لكي تعلّم أولادك تحمّل المسؤولية.
- ما الذي يمكن أن يحدث حين تكون مستعدًا أن تكون عرضة للمحاسبة بواسطة شريك حياتك أو أولادك.
- كيف يمكن الذهاب إلى أبعد من "النوايا الجيدة."
- لماذا التعرّض للمحاسبة يُسهّل موضوع الانضباط في تلك "الحالات الشائكة."
- لماذا لا تتحمّل مسؤولية أولادك.

- لماذا لا يخاف الأهل الذين هم عرضة للمحاسبة من التحدّي.
- كيف يمكن للتربية المستبدة أن تسحق الروح.
- لماذا تقود التربية المتساهلة إلى الفوضى.
- كيف يمكن لمفهوم "أريد كلّ شيء" أن يقود إلى عدم المبالاة نحو الأولاد.
- لماذا التربية المعتمدة على بناء العلاقات بحزم هي أفضل طريقة للجميع.
- كيف يمكن لرسم الحدود أن يساعد الأولاد أن يقوموا باختيارات أفضل.
- مبادئ التصرّف كآباء يعتمدون على بناء العلاقات.
- سرّ نجاح طريقة عمل العواقب المنطقية.
- الكلمات الأصعب التي يمكن لأي أب أو أم أن ينطقوا بها.
- كيف تُجري "اختبار المغناطيس" على مشاعر الجميع.
- لماذا لا يمكن أن تتوقّف من أن تكون بطلا لأولادك.

١٢

الآباء المحاسَبون يُنشئون أولادا مستعدين أن يُحاسبوا

بينما أجوب البلاد أتكلّم إلى مجموعات من الآباء، غالبا ما أسمع تذمّرات عن أولاد "غير مسؤولين." تقدّم مني أحد الآباء الذي له ثلاثة أولاد في مدرسة ابتدائية وقال لي:

"يا جوش، أنا فعلا يعجبني ما تقوله عن القبول والمحبة وأن أكون متاحا لأولادي وكل الأمور الأخرى، لكن يجب أن نواجه بعض الأمور أحيانا. على الأولاد أن يتعلّموا حسّ **المسؤولية**. ما أودّ أن أعرفه هو كيف أعلّم أولادي أن يشعروا بالمسؤولية. إن كنت لا ألاحقهم لا ينظّفون غرفهم، ولا يخرجون أكياس القمامة إلى الخارج ولا يقومون بأي عمل بسيط يُطلب منهم."

أنا أتعاطف فعلا مع هذا الوالد لأنه كان يخبرني الأمور كما تجري معه فعلا. بينما تابعنا حديثنا، كان من الواضح لي أنه قام بعدّة أمور لكي يطوّر علاقته بأولاده. إن أردت أن أعطيه علامة من ١ إلى ١٠ بالنسبة إلى صورته كبطل لأولاده، سأعطيه علامة ٧,٥—وربما أكثر. لكن أولاده، الذين هم أيضا كائنات بشرية، لم يهتمّوا بأن يكونوا مسؤولين—أو بأن يكونوا عرضة للمحاسبة.

مفهوما المحاسبة والمسؤولية ليسا رائجين خاصّة بين الأولاد. فالتعرّض للمحاسبة قد يشلّ حركة الإنسان. من الأسهل أن تقوم بالأمور على طريقتك من دون أن يسائلك أي إنسان. لكن الحياة لا تجري هكذا. من دون المحاسبة، سيكون المجتمع عرضة للفوضى. من دون المحاسبة، تنحطّ العائلات إلى الفوضى—وعائلات كثيرة

تصل إلى هذه المرحلة لأن عضوا من أعضائها يرفض أن يتصرّف بمسؤولية تجاه باقي أعضاء العائلة.

المحاسبة تتضمّن الخضوع والطاعة

أنا أؤمن بأن المحاسبة ترتبط مباشرة بمفهومين كتابيين—الخضوع والطاعة. إن كنت مستعدا أن أكون عرضة للمحاسبة، فهذا يعني أني متواضع لدرجة الخضوع للآخرين وطاعتهم وإرضائهم وخدمتهم.

كثيرون من الناس يفكرون أن الخضوع يشبه ممسحة الأرجل. حين وضع بولس الرسول لائحة بطرق نستطيع من خلالها أن نحيا مملوئين من الروح القدس، قال: "خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله" (أفسس ٥: ٢١). تعجبني الطريقة التي يعرّف بها ديك الخضوع:

الخضوع: أن لا تطلب سدّ احتياجاتك على حساب حاجات الآخرين، بل أن تتعب جاهدا بأن تسدّ احتياجات الآخرين عبر خدمتهم بحسب المبادئ التي نتعلّمها في ١كورنثوس١٣

التعرّض للمُحاسبة والمسؤولية هو جزء أساسيّ من النموّ لكي يُصبح الإنسان كائنا ناضجا ومتّزنا. المحاسبة هي أن تخضع للآخرين وتسدّ احتياجاتهم بدلا أن تكون دائما قلقا على نفسك. تعلّم المحاسبة -وأن تكون مسؤولا- هي طريقة هامة من طرق ترك الأمور الطفولية لكي يُصبح الرجل أو المرأة شخصا مسؤولا وناضجا.

يحتاج الخضوع والمحاسبة شخصا يشعر بالأمان يعرف أنه مقبول، شخصا يشعر أنه هامّ بالنسبة للآخرين لأنه أظهر تقديرا حقيقيا لهم. إن قبلنا أولادنا وقدّرناهم سيتعلّمون المحاسبة. في الواقع، أنا أعتقد أنهم سيريدون أن يكونوا عرضة للمحاسبة!

أنا؟ أكون عرضة لمحاسبة أولادي لي؟

كلّما سألني أب أو أم كيف يمكنهما أن يعلّموا أولادهم المسؤولية تكون إجابتي هي نفسها: "هل حاولت أن تجعل أولادك يحاسبونك؟"

يتفاجأ ويتعجّب معظم الآباء في البداية، ويتساءلون ما الذي أعنيه بأن يكونوا عرضة لمحاسبة أولادهم. فالأولاد هم الذين بحاجة أن يتعلّموا أن يكونوا عرضة لمحاسبة آبائهم لهم. أليس هذا هو المقصود بالمسؤولية؟

أنا أوافق أن على الأولاد أن يتعلّموا المسؤولية، لكنني مقتنع أن أفضل طريقة لتدريب الأولاد أن يكونوا عرضة لمحاسبة أهلهم لهم هي عن طريق تقديم مثال لهم، أي أن يكون الآباء هم أنفسهم عرضة **لمحاسبة أولادهم لهم.**

أنا لا أقترح أن يُصبح الأولاد مسؤولين عن آبائهم—حاشا. ما أقترحه هو أن تكون متواضعا وخاضعا لدرجة أن تسمح لأولادك "بمساءلتك" حين تتصرّف بطريقة غير محبّة وغير مسؤولة.

صحيح أنهم لن يكونوا عادلين دائما في حكمهم على "طريقتك غير المحبة" وقد يرون الأمور من وجهة نظرهم الطفولية، لكن حين تسمح لنفسك بأن تكون عرضة لمحاسبتهم فإنك تبني جسرا قيّما من التواصل بينك وبينهم. في الوقت الذي يشاهدك أولادك تتحاسب على أفعالك، سيتعلّمون أن يسمحوا لك بأن تحاسبهم. لم أجد طريقة أفضل لكي أعلّم المحاسبة من طريقة أن أكون قدوة لأولادي.

كيف ساعدني أحد الخبراء

حين كانوا أولادي صغارا، أدركت أني بحاجة إلى المساعدة في أن أكون عرضة للمحاسبة، فذهبت إلى أكثر شخص ملمّ بهذا الموضوع - زوجتي. لا يوجد شخص آخر على الأرض يحبني كما تحبني دوتي. لا أحد يحترمني ويحبني أكثر من التي تشاركني حياتها ومحبتها - أمّ أولادي، حبيبتي، صديقتي المفضلة والهبة المميزة التي قدّمها الله لي.

قلت لها: "يا حبيبتي، أنا بحاجة إلى مساعدتك. هلا تحاسبينني كزوج وكأب؟ إن كنت بعيدا عن البيت كثيرا، قولي لي ذلك. إن كنت لا أسدّ احتياجاتك واحتياجات الأولاد، قولي لي ذلك. إن كنت لا أقضي الوقت الكافي مع الأولاد أو معك – أريد أن أعرف ذلك منك."

أجابتني دوتي بتردّد: "حسنا يا جوش، سأخبرك بذلك، لكنك ستتألم أحيانا."

"يا حبيبتي، أنا أعلم أني سأدافع عن نفسي أحيانا، لكن حين أفعل ذلك، لك الحقّ أن تقولي لي ذلك أيضا. أريد أن أسمع الحقيقة منك."

لم أنتهِ بعد. حين أصبحت كالي في السابعة من عمرها، كتبت ملاحظة خاصة في بطاقة عيد ميلادها:

> **عزيزتي كالي، أنا أحبك بالتأكيد. أنا سعيد جدا أن أكون والدك. لكني بحاجة إلى مساعدتك هذه السنة. لم أختبر من قبل كيف أكون والد ابنة في السابعة من عمرها. أريد أن أكون أفضل والد لك. وإن شعرت يوما بأني لا أحسن التصرّف أو بأني غير عادل معك أو محب أو متفهّم، أرجوك قولي لي ذلك.**

حين بلغ شون السابعة من عمره، فعلت الأمر نفسه معه. في الواقع، فعلت هذا مع كلّ أولادي. قلت لكاتي: "لم أختبر من قبل كيف أكون والد ابنة في السابعة من عمرها بعينين زرقاوين وشعر أشقر." وهيذر تتعلم من أخيها الأكبر منها قيمة المحاسبة بيننا جميعا كعائلة.

لا يخاف الأولاد محاسبتك

منذ الوقت الذي طلبت منهم مساعدتي بمحاسبتي، أصبحت زوجتي وأولادي أفضل المستشارين لي. كالي وشون مثلا، قبلا بكل حماس عرضي هذا. ذكرت لكم في الفصل الأول حادثة حيث قامت كالي بتصحيح خطأي. لقد ساعدني أولادي الآخرون أيضا في عدة مناسبات. مثلا، كنت أتمشى مع شون في شارع من المدينة ذات يوم حين أوقفنا رجلٌ أراد التكلم معي. قال شيئا ما أزعجني فأجبته باختصار. بينما كان الرجل ذاهبا، قال لي شون ملاحظا: "يا أبي، كنت مقتضبا جدا مع الرجل. لم تكلّمه باحترام."

شعرت أني أموت هناك في الشارع. ركضنا وراء الرجل الذي كان ما زال في مرأى من أعيننا، وحين وصلنا إليه استوقفته. كان ابني واقفا معي هناك حين اعتذرت منه بسبب تصرفي الفظ.

منذ بضعة أشهر، عدت من رحلة فتقدّمت مني ابنتي كاتي ذات الأعوام العشرة وقالت لي بحزم: "يا أبي، أنت لست عادلا معي."

"ماذا تقصدين بذلك يا حبيبتي؟"

"حين تعود إلى البيت من رحلاتك تأخذ كيلي وشون وهيذر خارجا، أما أنا فلا تأخذني."

"حقّا؟"

أجابتني ابنتي ذات الأعوام العشرة بدون تردّد: "نعم،" وأضافت: "هلا أخذتني لنتناول الغذاء معا اليوم؟"

كنت سعيدا لأن كاتي شعرت بحرية بأن تحاسبني وقالت لي إنها كانت تظن بأني لم أكن عادلا معها. كنت أعتقد أني أقضي وقتا كافيا معها. لكن يبدو أنها لم ترى الأمور كما أراها أنا، وكنت سعيدا جدا بأن ألبّي طلبها بالذهاب لتناول الغذاء معا. في الواقع، كما ذكرت في الفصل ١٢، أصبح الغذاء أمرا مهما بالنسبة إلى كاتي في هذه المرحلة من حياتها، وقد "تناولنا الغذاء" مرات عديدة في السنة الماضية.

لن تكون مرتاحا حين تكون عُرضة للمحاسبة

أرجو أن تفهموا أن محاسبة عائلتي لي لم تكن أمرا سهلا بالنسبة إليّ ولن تكون سهلة لأي من الآباء الآخرين. أنا لا أقول أنّ دوتي وأولادي استغلوا عرضي هذا لكي يصححوا أخطائي، لكنهم في الوقت نفسه لا يخجلون أن يقدّموا لي بعض "النصائح."

أحيانا تلسعني انتقاداتهم فأبدأ بالدفاع عن نفسي. في كلّ مرّة أدافع فيها عن نفسي، يزيدون من حدة نقدهم، وهذا هو مصدري الأعظم للنصح والمساعدة. لقد تعلّمت أنه أحيانا عليّ أن ابتلع كبريائي، وأنا أفعل هذا لأني أعلم أني لن أنجح من

دون مساعدة دوتي القيمة لي ومساعدة أولادي لي حين يحاسبونني. إن كنت قد تعلّمت شيئا كأب أو كزوج، فإنه هذا هو الأمر الذي تعلّمته.

النوايا الجيدة لا تصبح واقعا تلقائيا.

منذ فترة طويلة أدركت أني حين أنظر إلى حياتي، أحكم على نفسي استنادا على نواياي—لكن هذا لا يعني بالضرورة أن المهمة قد أنجزت. كما قال أحدهم، الطريق إلى المكان الحارّ جدا مرصوف بالنوايا الجيّدة. لكن لزوجتي وأولادي الحقّ أن يحكموا على أفعالي—**إن كانت تتماشى مع نواياي**. يبدو أنه مرّة واحدة على الأقل كلّ أسبوع يذكّرني أحدهم بعمل يجب أن أقوم به إن أردت من نواياي الجيّدة أن تصبح واقعا.

إضافة إلى كبريائك المجروح ومدافعتك عن نفسك بين الحين والآخر، هناك مخاطر أخرى تنتج عن المحاسبة. مثلا، يمكن أن ينتقدك أشخاص من خارج عائلتك. على الرجل المسيحي أن يكون "صورة للسلطة" في منزله. يُفترض أن يكون "قائدا قويا" يُرشد ويحمي عائلته في جميع الحالات. كيف يمكن إذا للزوج والأب أن يسمح لزوجته وأولاده أن يتحدّوه؟

أنا أقول بكل بساطة لكل من ينتقدني بأني قائد خادم قويّ كفاية لكي يقول لدوتي وللأولاد: "أريدكم أن تحاسبونني. إن لم أكن بحسب توقّعاتكم أرجو أن تقولوا لي ذلك."

أعتقد أن القائد القويّ هو الذي يقدر أن يقول: "ساعديني. **أنا بحاجة إلى مساعدتك**. أريد أن أكون كلّ ما يريدني الله أن أكون عليه كزوج لك، وكأب لك."

المحاسبة والقدوة أمران لا ينفصلان

ذكرت في الفصل ١٢ كيف أحاول أن أصطحب ولدا من أولادي حين أخرج للتسوّق، مهما كانت فترة التسوّق قصيرة. هدفي الأساسي هو التواصل مع أولادي، وأن أرتبط معهم – وأن أكون قدوة لهم عند المستطاع.

أتذكّر مرّة حين سألت شون إن أراد أن يذهب معي الى مركز للتسوّق لكي أشتري شريطا لاصقا. رفض في البداية، لكنه عاد فوافق أن يذهب معي لأنه كان يعرف أني سأشتري له المثلجات في طريق عودتنا.

دخلنا السيارة وانطلقنا. كانت المسافة إلى المتجر ثماني دقائق تقريبا. بينما كنا في السيارة وضعت يدي على كتف شون وقلت له: "أتعلم يا بني، أنت بالفعل ابن مميز لي. أنا من أكثر الرجال حظا في العالم. أنا أعرف صبيانا كثيرين في هذا العالم، لكني لا أفضل أن يكون أحدا منهم ابني إلا أنت."

نظر إليّ شون وقال: "**حقًا** يا أبي؟"

"حقًا." هذا كلّ ما قلته له وركنت سيارتي في موقف مركز التسوّق. كنت منشغلا في الكلام مع شون ولم أدرك أني أوقفت سيارتي في حيّز يتّسع لسيارتين. كنت قد خرجت من السيارة حين لاحظت هذا، وللحظة شعرت أني أُجَرّب بأن أترك السيارة كما هي لأننا كنا في عجلة من أمرنا. لكني قلت في نفسي، لا، **إن فعلت هذا لن يجد أحد الأشخاص موقفا قريبا من مركز التسوّق وسيضطر ان يركن سيارته بعيدا. ما نوع القدوة التي سيقتدي بها ابني؟**

طلبت من ابني أن يبقى واقفا في مكانه لحظة. ثم بينما كنت أركن السيارة بين الخطّين، أدركت أن الفرصة مناسبة جدا لكي أعلّمه شيئا، بالإضافة الى كوني قدوة له.

"يا ابني، هل تعلم لماذا أعيد ركن السيارة؟"

أراد أن يعرف لماذا، فسألني: "لماذا، يا أبي؟"

"كما ترى، لم أركن سيارتي بشكل جيد. لقد ركنتها في مكان يتّسع لسيّارتين. يتكلم بولس في ١كورنثوس ١٣ عن كيف أن المحبة تترفق بالناس. من الفظاظة أن أترك سيارتي مركونة بهذا الشكل. قد يأتي أحدهم ولا يجد مكانا يركن فيه سيارته وسيضطر أن يسير مسافة طويلة قبل أن يدخل المتجر. لهذا السبب أنا أركنها بشكل جيد قبل أن ندخل."

لم يقل شون شيئا، ولم أذكر الأمر بعد ذلك، إلا أنني حقّقت هدفي. كانت أمامي فرصة لأكون قدوة له ولكي أعلّمه وقد استغلّيتها.

المحاسبة تجعل الانضباط أسهل

عندما تكون عرضة لمحاسبة أولادك ستجد نفسك في مواقف محرجة، لكنه يمهّد الطريق أمام الانضباط. إن كنت عرضة لمحاسبة أولادك سيكون من الأسهل لك أن تحاسبهم حين يقعون في مواقف شائكة.

لا أدري ماذا يحدث في منزلك، لكن هذه المواقف الشائكة تظهر كثيرا في منزلنا. أقصد بالحالات الشائكة أمورا لا يبدو أنها حرجة جدا، لكن إن أهملتها ستخلق نموذجا يعلّم الأولاد أنه "لا بأس أن يكون الإنسان مستهترا أحيانا." لقد تعلّمت أنه لو أهملت أمورا قليلة كهذه، فإنها ستقوّض كلّ ما تحاول أن تعلّمه فيما يختصّ بالمسؤولية.

ذات صباح، دخلت المطبخ فوجدت أن شون غادر إلى المدرسة قبل أن يرمي النفايات خارجا. هو مسؤول يوميا عن رمي النفايات، وقد أوضحنا له أن ينبغي عليه أن يرميها كلّ يوم قبل أن يذهب إلى المدرسة.

قلت لدوتي: "عليّ أن أذهب وأعيده إلى البيت لكي يرمي النفايات."

أجابتني دوتي مرتعبة: "يا جوش، لا تقدر أن تفعل هذا، ستبدأ المدرسة بعد دقائق من الآن وسيُعاقب إن تأخر."

"يا حبيبتي، يجب أن أفعل هذا. لن يتعلمَ بطريقة أخرى. يجب أن أحاسبه على أمر كان قد وعد بأن يفعله."

ركبت السيارة وانطلقت إلى المدرسة وكانت تبعد ميلين عن بيتنا. لم يكن الجرس قد دُقّ بعد وكان شون ما يزال في ساحة المدرسة يلعب كرة السلة مع أصدقائه. ناديته قائلا: "يا ابني، اريدك أن تركب دراجتك الهوائية وتعود إلى البيت لكي ترمي النفايات خارج البيت."

لكن شون اعترض قائلا: "لكن الجرس سيُدقّ بعد خمس دقائق يا أبي. ألا يمكنني أن أرميها بعد المدرسة؟"

"لا يا ابني، كان يُفترض عليك أن ترميها قبل أن تذهب إلى المدرسة وأريدك أن تذهب فورا لكي ترميها من فضلك."

"يا أبي، ألا يمكنك أن ترميها أنت بالنيابة عني فقط هذه المرة؟"

"لا يا بني، هذه مسؤوليتك. من فضلك اركب دراجتك الهوائية وارجع عالج الموضوع."

رمى شون الطابة خلفه إلى أصدقائه ومشى نحو دراجته منحني الكتفين. كانت لحظات صعبة بينما كان يعود إلى البيت. سمعت صوتا خافتا يهمس في أذنيّ: "**أي نوع من الآباء أنت يا جوش ماكدويل؟ لن يصيبك شيء إن رميت النفايات مرة واحدة بالنيابة عن ابنك، أليس كذلك؟**

عليّ أن أقرّ بأن الصوت الخافت قد أثّر بي قليلا. طبعا، كنت قادرا أن أخرج النفايات بالنيابة عنه خلال دقائق، لكن هذا من مسؤوليته، وبالنسبة إليّ القيام بمسؤولياته لن يفيده بشيء. في الواقع، إن هذا سيضره على المدى البعيد لأنه سيتعلّم أن "قليلا من عدم المسؤولية لن يضرّ أبدا."

في الوقت الذي وصل فيه شون إلى البيت وأخرج النفايات وعاد إلى المدرسة، كان قد تأخر نصف ساعة. لقد رآه الناظر يخرج من ساحة المدرسة ولم يعرف لماذا خرج، وهذا يُعدّ مخالفة مباشرة لقوانين المدرسة، فأرسله مباشرة إلى مكتب مدير المدرسة.

سأله المدير: "لماذا يا شون تركت المدرسة ثم أتيت متأخرا نصف ساعة؟"

أخبر شون المدير ما حدث - أخبره كيف أنه كان مضطرا أن يعود إلى البيت لكي يُخرج النفايات، وكيف أن والده أتى من البيت لكي يُخبره أنه نسي أن يُخرجها. جلس المدير بهدوء على كرسيه - في الواقع كان مصدوما - وبعد أن أنهى شون كلامه قال له: "شكرا يا شون لأنك أخبرتني بهذا. يمكنك العودة إلى الصف الآن. سأتكلم مع أستاذك لاحقا في هذا الأمر."

بعد دقائق، اتّصل بي مدير المدرسة قائلا: "لا أصدّق ما أخبرني شون للتوّ. أريدك أن تعلم أنني أقدّر جدا ما حدث. في البداية كنت أظن أن شون كان يقوم بأعمال مشبوهة، لكن دُهشت حين أخبرني ما حدث. وفي هذه الحالة لديه عذر للغياب لأن والده سمح له أن يترك المدرسة لكي يذهب إلى البيت."

حين انتهت المكالمة الهاتفية شعرت براحة كبيرة. كنت أشعر أني وحش لأني أعدته بسبب كيس قمامة، لكن ما قاله المدير أكّد لي أن ما فعلته كان عين الصواب.

حدث هذا الخريف الماضي حين كان شون في الثالثة عشرة من عمره. أتمنى لو كنت قادرا أن أقول إنه لم ينسَ أبدا بعد ذلك أن يرمي النفايات خارجا، لكني أؤكّد لكم إنه لم ينسَ كثيرا!

قضيّة سارقة المتجر الكريمة

في مناسبة أخرى، أراد شون أن يذهب مع صديقيه إلى السوق في السيارة معي ومع أمه دوتي لكي يشتروا شيئا. أرادت كاتي، وقد كانت في سِن الخامسة في ذلك الوقت، أن تأتي هي الأخرى معنا. دخلت مع الصبيان إلى المتجر بينما كنت أنا ودوتي ننتظرهم في السيارة نناقش لائحة من الأمور التي علينا أن نقوم بها.

حين عاد الأولاد لاحظنا أن كاتي كانت تحمل عدة أشياء - دبابيس وأقلام ملوّنة. أعطت الدبابيس والأقلام إلى صديقَيْ شون وقالت لهما: "لقد اشتريتها لكما."

من دون أن نفكّر كثيرا في تلك اللحظة، وافقت أنا ودوتي على ذلك وقلنا لها إنه من الجيد أن نفكّر بالآخرين. لكن بينما كنا منطلقين بالسيارة بدأت دوتي تفكّر: **"من أين أتت كاتي بالمال لكي تشتري هذه الأشياء؟"**

طلبت مني دوتي أن أوقف السيارة، ثم طلبنا من كاتي أن تخرج من السيارة لكي نتمشّى قليلا. وبينما كان الأولاد ينتظروننا في السيارة، تحقّقنا منها واكتشفنا أنها سرقت تلك الأشياء من المتجر.

شرحت لها دوتي قائلة: "يا حبيبتي، لا يحقّ لك أن تأخذي شيئا من المتجر من دون أن تدفعي ثمنه. عليك أن تسترجعي تلك الأشياء من الصبيين وعلينا أن نعيدها إلى المتجر."

كان على كاتي أن تعود إلى السيارة وتطلب من الصبيين أن يُعيدا ما قدّمته لهما. كان اختبارا مذلا جدا لها، لكنها استرجعت كلّ الأغراض ثم انطلقنا راجعين إلى المتجر.

دخلت كاتي مع دوتي وتكلمت مع صاحبة المتجر وأخبرتها ما قد فعلته كاتي. وضعت كاتي كلّ الأغراض على طاولتها وطلبت من السيدة أن تسامحها.

كان كلّ ما جرى مذلا لكاتي. لكن لحسن الحظ، كانت صاحبة المتجر امرأة طيبة ومحبة وقضت بعض الوقت تتكلم مع كاتي تخبرها كم تقدّر صراحتها.

لاحقا، أخذت دوتي كاتي جانبا وأخبرتها قصة حين كانت هي نفسها في سِن السادسة وكيف انها ذهبت ذات يوم مع والدتها إلى المتجر. عند خروجها من المتجر أخذت علكة، وحين اكتشفت أمّها ذلك، طلبت من دوتي أن تعود إلى المتجر وتفعل ما طلبت من كاتي أن تفعله – أرجعت العلكة واعتذرت. كانت فرصة رائعة لكي تعلم كاتي أن أهلها أيضا بشر مثلها وكانا يعرفان شعورها.

أنت لست مسؤولا عن أولادك

في كلّ مرّة أحاسب فيها أولادي، أحاول أن أعلّمهم مبادئ القيادة الخادمة التي علمها يسوع لتلاميذه. يتكلّم بولس في فيلبي ٢: ٥-١٠ (مقطع الإخلاء Kenosis) كيف أن يسوع أخلى نفسه من صفاته اللاهوتية لكي يُصبح خادما ويصبح مشابها للبشر. على الرغم من كلّ السلطان الذي يتمتّع به، كان يسوع يعلّم ويخدم كقائد خادم ولم يتصرّف أبدا كديكتاتور مستبدّ.

مثلا، بينما كان يسوع ذاهبا إلى أورشليم مع الاثني عشر للمرة الأخيرة، اختلف الرسل فيما بينهم عن من هو الأعظم. مرّة أخرى، وبصبر لا متناه، علّمهم يسوع: "... من أراد أن يكون فيكم أوّلا فليكن لكم عبدا..." (متى ٢٠: ٢٦-٢٧).

لم يكن يسوع أبدا حاكما على أتباعه، ولم يكن أبدا مسؤولا عنهم. بدلا من ذلك، كان قائدا خادما مسؤولا أمامهم، ويعلّمهم بالكلام والعمل ما يحتاجون أن يتعلّموه.

حين نتحمّل المسؤولية عن الآخرين نضعهم على طريق الفشل ونفشل نحن أيضا. تذكّر دائما أنك لست مسؤولا عن أولادك. حين أقول هذا في مؤتمرات للأهالي يتذمّر بعضهم لأني هدّدت القصد من كونهم آباء وأمهات. لكني أتابع وأشرح لهم أنهم لا يستطيعون إيقاف أولادهم، حتى أولادهم الصغار، من أن يدخلوا في ثورة

غضب مثلا. يُمكنك أن تُسكت الولد، أو تقيّده بطريقة أو بأخرى، لكن غضبه لا يزال مشتعلا من الداخل.

حين يكبر الولد وتستمرّ بتعليمه المسؤولية، عليك أن تثق أنه سيتعلّم وسيتحمّل المسؤولية باختياره الحرّ الشخصيّ. القانون يقول إنك مسؤول عن أفعال أولادك، لكن في النهاية، على الولد أن يُصبح مسؤولا، وعرضة للمحاسبة كأي كائن بشريّ آخر.

ماذا يعني على وجه التحديد أن تكون مسؤولا أمام أولادك؟ أنا مسؤول أن أحبّهم وأحبّ والدتهم. أنا مسؤول أن أؤمّن طعامهم وملجأ ولباسا لهم.

أنا مسؤول عن تعليمهم، وأن أصطحبهم إلى الكنيسة وإلى المجموعات الكنسية الشبابية. أنا مسؤول ان أحتضنهم وان أقول لهم مرارا وتكرارا: "أنا أحبكم." أنا مسؤول أن أصغي إليهم وأن أكون متاحا لهم وأن نقضي الوقت معا.

لكني في الواقع لست مسؤولا عنهم. في النهاية، ما يفعلونه بحياتهم - الخيارات التي يتّخذونها - هي من مسؤوليتهم، وليست من مسؤوليتي.

الهروب العظيم من سجن الحضانة

علي أن أتدرّب بأن أكون مسؤولا أمام أولادي والمتابعة في محاسبتهم بمحبة وجزم لأن هذا يتطلّب فنًا. تتذكّر دوتي أن أمّها كانت تتمتّع بموهبة تقويم أولادها من دون التعدّي على كينونتهم - على فرادتهم. تحبّ هيذر البلاغة من العمر أربع سنوات، أن تسمع دوتي تروي لها كيف قادت كلّ صفّها في "الهروب من سجن الحضانة" في فترة القيلولة. كانت تحب صفّ الحضانة لكنها لم تحبّ فترة القيلولة لأنها كانت نشيطة جدا.

قرّرت دوتي ذات يوم أن تنشّط الأمور في صفّها. نظّمت صفّها المؤلف من ثلاثين ولدا، وفي الوقت الذي لم تكن المعلّمة تراقبهم، أعطت صفها إشارة للهروب. قفز الجميع من أمكنتهم وهربوا من الباب إلى الشارع ثم ذهبوا إلى بيت دوتي عبر الغابة.

ركضت المعلمة المسعورة وراءهم وهي ترغد وتزبد محاولة اللحاق بالأولاد، لكنهم وصلوا جميعا إلى ساحة بيت دوتي الخلفية وهم يضحكون ويصرخون. مجموعة أطفال من الحضانة متحمسون لأن فترة القيلولة تحوّلت إلى أفضل وقت استمتعوا فيه على الإطلاق!

سمعت أم دوتي الضجة وركضت نحو الساحة الخلفية. حين أخبرت المعلمة والدة دوتي ما جرى، أشفقت على المعلمة لأنها لاحظت كم كانت قلقة ومتعبة بعد أن لاحقت ثلاثين ولدا عبر الشارع. ساعدتها لكي تعيد دوتي وباقي الأولاد إلى الصف، وأكّدت للمعلمة أنها ستتكلم لاحقا مع دوتي لكي لا تعيد فعلتها هذه.

لاحقا، حين عادت دوتي من الحضانة، جلست مع والدتها وتكلما عمّا جرى. تتذكّر دوتي ذلك الاجتماع على الشكل التالي:

> **لم تضربني أمي ولم تحجزني في غرفتي لمدة ثلاثة أسابيع. لم تحرمني من مشاهدة التلفاز أو أي شيء آخر من هذا القبيل. وبدلا من توبيخي، أتذكّر أنها شجعتني على قدرتي القيادية وفهمت ما كنت أمرّ به، وساعدتني أن أعرف التصرّفات غير المقبولة.**
>
> **أوضحت لي أمي أن هناك بعض الأمور التي لا يجب أن أقوم بها، وأتذكّر بوضوح أني وعدتها بألا أفعل ذلك مجددًا، لكنها في الوقت نفسه أشارت إلى كثير من الأمور الإيجابية – قيادتي وإبداعي مثلا – ولم تحطّم مشاعر الإثارة التي انتابتني والمتعة التي نتجت عن تلك الحادثة.**
>
> **كانت أمي متوازنة في رسم الحدود بمحبة كبيرة. كانت قدوة رائعة لي في هذا المجال. بصراحة، لم يقم أي من أولادي بأي نشاط "خلاق" مثل هذا، ولكن إن فعلوا ذلك، لست متأكدة إن كنت قادرة أن أتعامل معهم بهذا الهدوء الذي تمتّعت به والدتي.**
>
> **أنا أشبه أبي كثيرا في شخصيّتي الأساسية، فهو كان يفقد أعصابه أحيانا معنا لكنه كان يعود دائما ليعتذر منّا.**

أنا أقدّر صراحة دوتي حين عبّرت عن ردّة فعلها مع هيذر فيما لو قادت ٢٩ ولدا لكي "يهربوا من سجن الحضانة." أنا أعرف أني لن أكون هادئا في ردّة فعلي. كما

شاركتكم في الفصل الثالث، عليّ دائما أن أحارب "شعوري الملحّ في التصرّف بشدّة" حين أؤدّب الأولاد.

أحيانا أعاقبهم لعدة أسابيع، وفي حالات نادرة، أعاقبهم لأشهر متتابعة. حين يحدث هذا، تتدخّل دوتي لتساعدني. كلّ ما تقوله لي هو: "يا حبيبي، أنا أعتقد أن عقابك كان قاسيا قليلا بالمقارنة مع ما فعلوه."

زوجتي لا تقول لي أبدا: "لا يمكنك أن تفعل هذا." لكنها تقول لي: "يا جوش، سأدع المسألة بين يديك، لكني أعتقد أن عقابك شديد جدا."

غالبا ما أجيبها على النحو التالي: "حسنا، ما العقاب الذي تقترحينه؟"

نناقش المسألة بعد ذلك ثمّ نتوصّل إلى عقاب معقول. بعد ذلك، أذهب إلى الأولاد وأعترف لهم أني كنت شديدا في عقابي، وإن تطلّب الأمر اعتذارا، أطلب منهم أن يسامحوني.

أحد الأسباب التي تدفعني أن أشارك هذه الأمور التي تحدث في عائلة ماكدويل هو لكي أوضّح أننا نحاول بشدّة أن لا نكون متساهلين في تربيتنا لأولادنا. نفعل المستحيل لكي نُري الأولاد محبتنا لهم بقبولنا وتقديرنا لهم، لكننا دائما نوازن المحبة مع رسم الحدود. في الواقع، الحدود التي نرسمها هي جزء من محبّتنا لهم وهم يعرفون ذلك.

ما نحاول أن نفعله بينما نعلّم أولادنا المحاسبة هو مساعدتهم في تطوير انضباطهم الذاتيّ لكي يعيشوا حياة فعّالة ونافعة وسعيدة. غالبا ما أقرأ قصصا عن رياضيين عظماء، أو عن أشخاص آخرين يتمتّعون بمواهب ومقدرات أخرى رائعة، لكنهم يفشلون لأنهم غير منضبطين. الطريقة الوحيدة التي يستطيع الولد من خلالها أن يتعلّم الانضباط الذاتيّ هو عبر تأديب أبويه له. وكما قال أحدهم:

إن كنت لا تتمتّع بإرادة قوية كافية لكي تخضع لشخص آخر، لن يكون عندك الإرادة القوية الكافي لكي تخضع لنفسك.

المُحاسبة تتطلّب التواضع والصبر

هدفي الأساسيّ في هذا الفصل هو أن أقترح عليك بعض الطرق التي يمكنك تجربتها لكي تحاول أن تكون عرضة لمُحاسبة أولادك لك. لكن دعني أحذّرك، هذا الأمر يتطلّب تواضعا– وصبرا. أحد خصائص سلسلة الأفلام التي أنتجناها بعنوان "كن بطلا" هو أن نبدأ كلّ تسجيل بمسرحية قصيرة يمثّل فيها ممثلون محترفون دور "عائلة برستون." التجارب والمحن التي يختبرها الأب برستون والأم برستون هي أمثلة رائعة لي وديك لكي نبدأ من خلالها حوارنا في كلّ برنامج حين نشرح كيف يمكن أن تكون بطلا.

الأب برستون بشكل خاصّ، يجد صعوبة في التواصل والارتباط مع ابنه ناثان البالغ من العمر خمسة عشر عاما. لكن في النهاية، يكتشف الأب والأم أنهما بحاجة أن يعملا على تحسين علاقتيهما بأولادهم والتخفيف من رسم الحدود وتطبيق القوانين. في المشهد الأخير، يدعو الأب إلى اجتماع عائلي ويسلّم كلّ واحد من أولاده رسالة مختومة. رسالة الأم الى ابنتها هيذر البالغة من العمر سبعة عشر عاما هي كالتالي:

> **أنا أحبك. أنا أحب حساسيتك، وصراحتك وروحك وقلبك الحنون. هذه الرسالة تخوّلك أن تذكّريني عندما لا أكون حسّاسة وصريحة وحنونة. أنا أعتذر عن كلّ المرّات التي غضِبتُ بها ولم أكن صبورا معك. أريد من كلّ جوارحي أن أكون والدة وصديقة أفضل لك. أمّكِ**

عبّر والد هيذر في رسالته لابنته هيذر عن محبته لها وفخره بها ويتابع في رسالته ويقول:

> **هذه الرسالة تخوّلك أن تذكّريني حين تظنّين أني أتّخذ قرارا عنك بدلا من أن أتّخذه معك. استخدميها كلّما احتجت إليها، وحين تبلى، أعدك أني سأكتب واحدة أخرى.**

قرأت الرسالة التالية ابنته الأصغر أشلي البالغة من العمر أحد عشر عاما. في رسالته لأشلي، يعترف والدها أنه كان منشغلا جدا عنها ويقول:

سامحيني لأني لم أعطِك وقتا كافيا. أنا حقًا أريد أن أحضر كلّ مباريات كرة القدم التي تشاركين فيها العام القادم. هذه الرسالة تخوّلك أن تذكّريني حين أكون منشغلا جدا بأمور أخرى. رجاء استخدميها.

كان ناثان آخر من يقرأ رسالته. كتبت والدته تقول له:

أنا أحبك يا ناثان آلن. أنت الرجل الثاني في حياتي. رجاء، أعطني هذه الرسالة حين أنسى أن أنظر إليك وأنت تُصبح الرجل الذي أنت عليه.

أخيرا، يقرأ ناثان رسالة أبيه له يطلب فيها أن يغفر له:

حبيبي نايت،
أرجوك سامحني لأني حاولت أن أحيا حياتي فيك، وأن تشارك في رياضات لم يتسنّى لي أن أشارك بها، وأن تحصل على علامات لم أحصل عليها أبدا، وأن تكون أفضل مما أنا كنت عليه. سامحني على كلماتي غير اللطيفة معك وروحي القاسية. هذه الرسالة تخوّلك أن تطلب مني التراجع وأن أعطيك مساحة كافية خاصّة بك. أريدك أن تساعدني أن أصبح أبا صبورا. أنا أصلي من أجلك كلّ يوم. أنا أحبّك فعلا ولا أقدر أن أعبّر لك عن مدى حبّي لك. والدك

أنا أذكر هذه الرسائل من تسجيلات الفيديو لكي أقترح عليكم أنه يوجد طرقا كثيرة لكي يعرف أولادكم أنكم مستعدّون أن تكون عرضة لمحاسبتهم. ربما تدين برسالة كهذه الرسائل لأولادك.

بدأ الأب في عائلة برستون بارتكاب خطأ نموذجي، وهو استخدام سلطته من دون أن يكون قادرا على دعم هذه السلطة من حياته الخاصّة. لحسن الحظ، لقد تعلّم قبل فوات الأوان أن عليه أن يستخدم السلطان بلُطف ومحبة بدلا من أن يستخدمه بقساوة ومن دون صبر.

هل فكّرت مرّة بنوع السلطة التي تمارسها مع أولادك؟ على ماذا ترتكز سلطتك وكيف تستخدمها؟ في الفصل التالي، سيتكلّم ديك داي أكثر عن مبدأ آخر من مبادئ التربية الإيجابية.

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. بحسب ما ذُكر في هذا الفصل، إن الطريقة الأفضل لتعليم أولادك المسؤولية والمحاسبة هي بأن تكون عرضة لمحاسبتهم. هل توافق أم لا؟ تكلّم مع شريك حياتك عن مدى محاسبة أولادك لك.

٢. هل جلست مرّة مع أولادك وقلت لهم إنك تريد أن تكون عرضة لمحاسبتهم؟ مثلا: "أريد أن أكون عرضة لمحاسبتكم. أنا كأب أو كأم، أريدكم أن تقولوا لي حين لا أعيش بحسب القوانين أو حين لا أكون عادلا معكم."

٣. أحد الأسباب التي تجعل جوش يريد ان يكون عرضة لمحاسبة زوجته وأولاده له هو إدراكه بأن "النوايا الجيدة لا تُصبح واقعا بشكل تلقائي." لماذا يبدو أن هذا الأمر ينطبق على كثير من الناس؟ لدينا كلّنا نوايا صادقة، لكن لماذا لا تتجسّد واقعا؟ هل سيساعدك أن تكون عرضة لمحاسبة الآخرين لك بأن تُصبح نواياك الصادقة واقعا في عائلتك؟ برّر إجابتك سواء كانت نعم أم لا.

٤. هل توافق مع الكاتب بأن القائد القويّ هو القائد المستعدّ أن يُنتقد ويُحاسب؟ ما هي خصائص قائد العائلة القوي؟ كيف تقيّم نفسك على مقياس ١ إلى ١٠ إن كنت "قويًا جدا"؟

٥. بحسب هذا الفصل، لماذا من المهمّ أن تكون مسؤولا أمام أولادك، وأن لا تكون مسؤولا عنهم؟ هل يمكنك أن تفكّر بطرق تستخدمها أنت وشريك حياتك تجلعكما تقعان في شرك أن تُصبحا مسؤولَيْن عن أولادكما؟ كيف يمكنكما تصحيح هذا الانجراف إن كان موجودا؟

٦. في نهاية هذا الفصل، يذكر جوش رسائل عديدة كتبها أب وأم يسمحان لأولادهما أن يحاسبوهما. هل يمكنك أن تتبنّى رسالة منها لكي تستخدمها مع أولادك؟

٧. أيها الآباء، اقرأوا مجدّدا متى ٢٠: ٢٦-٢٧، حيث يتكلّم يسوع عن خدمة الآخرين. هل يُرشدك هذا المقطع في أداء دورك كأب في بيتك؟

١٤

كيف لا تُفقد أولادك أعصابهم— أو أسوأ من ذلك (ديك داي)

كيف تربيت عند أهلك؟ أي ما هي الطريقة التي استخدمها أهلك في تربيتك؟ الإجابة على هذا السؤال ستعطيك فهما لطريقتك الخاصة التي تستخدمها في ممارسة سلطتك الأبوية - ستعرف ما هي هذه الطريقة وكيف يجب أن تستخدمها.

كما تُظهر البيانات الموجودة في الصفحة ٢٠٠، هناك أربعة نماذج للتربية يمكن أن نجدها في أغلب البيوت:

- النموذج الاستبدادي - "تفعل ما أريد وإلا!"
- النموذج المتساهل - "يمكنك أن تفعل ما يحلو لك."
- النموذج المهمل - "لا يهمني ماذا تفعل."
- النموذج المبني على العلاقة - "أنا أصغي إليك... أنا أهتم بك... أريد أن أفهمك... هذه المرة سنفعل هذا بهذه الطريقة لأن..."

يمارس المستبد القوة المطلقة

يكشف كلّ نموذج من هذه النماذج تصرفا معينا في استخدام الأهل للسلطة. الأب والأم المستبدان هما مثل "الحاكم المطلق" الذي يعرفه قاموس ويبستر في ثلاثة مستويات. أولا، الشخص الديكتاتوري الذي "يسيطر ويمارس سلطة مطلقة." المستوى الثاني الأقل شؤما هو المستبد الذي "يستثمر أو يتولى سلطة مطلقة ومستقلة على الآخرين." وفي المستوى الأخير المستبد هو أي شخص "يسيطر على الآخرين وينفذ إرادته فوق إرادة الآخرين."

كما يبين الرسم في الصفحة ٢٠٠، حين يمارس الأهل سلطة مطلقة على أولادهم يُصبحون مسيطرين وغير داعمين. **السيطرة** تتغلب على **المحبة** وتفوقها.

في بعض البيوت، يمكن لاستبداد الأهل أن يأخذ منعطفا خطيرا وينتج عنه أسوأ أنواع من الإساءة في معاملة الأولاد. نجد في الجرائد بين الحين والآخر قصة عن طفل ضُرب أو جُوّع أو حُبس - وأحيانا لسنوات طويلة.

قرأت مؤخّرا قصة عن رجال من الشرطة ذهبوا لمواجهة أب وأم بعد أن اتصل بهم أحد الأشخاص يشتكي عن سوء معاملتهم لأولادهم السبعة. اكتشف رجال الشرطة ابنتهما ذات الاثني عشر عاما وهي تعاني من سوء التغذية ومحبوسة في خزانة ضيقة. كانت فضلات بشرية ومغلفات لوجبات سريعة وصراصير تغطي أرض البيت. كانت هذه الفتاة تبدو كفتاة في السابعة من عمرها وهي ترتدي ثيابا رثة ومبتلة ببولها. كان يظهر على وجهها كدمات تثبت أنها كانت تتعرّض لضرب دائم.

أظهرت التحقيقات لاحقا أنها كانت محبوسة في الخزانة لمدة شهر واحد على الأقل وتحمّلت هذا النوع من المعاملة المتكررة في السنوات العشر الأخيرة. وكما يبدو، لم يتعرّض اخوتها وأخواتها للمعاملة السيئة نفسها، لكن قال أحد رجال الشرطة الذين وجدوا الفتاة أنه رأى مئات من حالات سوء معاملة الأولاد، لكنه لم يرى حالة مثل هذه.[1]

من الواضح أن هذا النوع من "السيطرة المطلقة" في تربية الأولاد هو غريب ولا يُصدّق. هذان الأبوان هما مثال عن التصرّف الاستبدادي المتطرّف، كما يوجد أشكال استبدادية أخرى أقل تطرفا تؤذي الأولاد بشدّة.

المستبدون يوفّرون بيوتا "جيدة"

يوفّر كثيرون من الأهل المستبدين "بيوتا جيدة" لأولادهم. يغذّونهم ويلبسونهم بشكل جيّد، ويسمحون لهم باللعب مع أولاد آخرين، وباختصار، يبدو أنهم يوفّرون كلّ ما يحتاج إليه الأولاد ليعيشوا حياة "عادية." يوفّرون لهم كلّ شيء ما عدا الدعم والمحبة.

هم لا يضربون أولادهم ولا يحبسونهم في الخزانة، لكن الأهل المستبدين يحكمون كحكام مستبدّين على عائلاتهم. يشدّدون كثيرا على القوانين، ولا يعطون أهمية لبناء العلاقات.

العيش تحت نظام استبدادي يجعل الأولاد يتصرّفون بطريقة من اثنين: الفراق أو العراك. حين يختار الأولاد الفراق، عادة ما يختارون الانسحاب ويتعلّمون الانصياع "والطاعة" - بالظاهر. لكنهم يغلون من الداخل. غالبا ما يخبر الدكتور هوارد هاندريكس، وهو بروفيسور في التعليم المسيحي في كلية دالاس اللاهوتية، قصة عن ولد طلب منه والده أن يجلس. لم يشأ الولد أن يجلس، فصرخ به والده قائلا "اجلس وإلا أجلستك بنفسي!"

جلس الولد لكنه كان يهمس في داخله، "يبدو له أني أجلس من الخارج، لكني واقف من الداخل!"

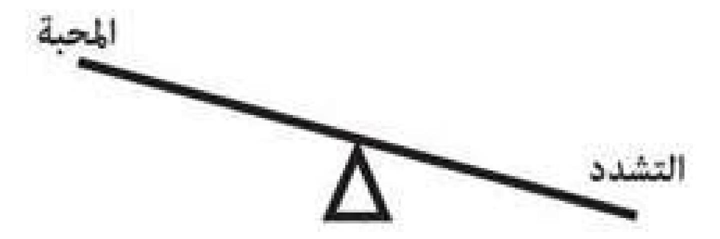
في حالات أخرى من الفراق، يمكن للولد أن ينهار ويلجأ إلى تدابير يائسة لأنه لا يستطيع أن يتحمّل أكثر من ذلك. في حالات كهذه، يهرب الولد من المنزل، وقد ينتحر في أسوأ الحالات.

حين يختار الطفل العراك، يظهر غضبه علنا. يبدأ بالتذمر ويجيب أهله بقلّة احترام، وحتى أنه يعنّفهم جسديا وبالكلام. باختصار، يتمرّد الولد لأن القوانين فُرضت عليه بدون بناء علاقة محبة بينه وبين أهله.

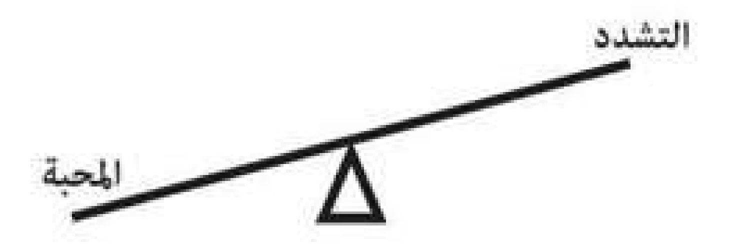
حين كنت أشارك في الإرشاد العائلي والزواج، غالبا ما كنت أتعامل مع آباء مستبدّين يأتون أخيرا إليّ بيأس ويقولون لي: "لا أعرف كيف أتصرف مع ولدي. هو

ما هي طريقتك في تربية الأولاد؟

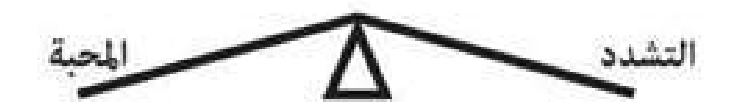
الطريقة الاستبدادية: السيطرة قوية والدعم قليل.



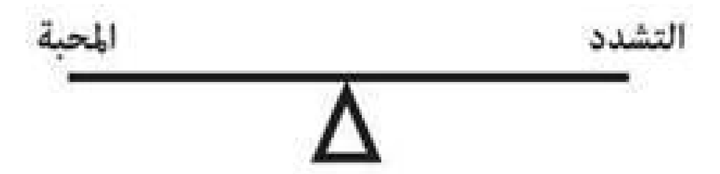
الطريقة المتساهلة: الدعم قوي والسيطرة قليلة.



طريقة اللامبالاة: سيطرة قليلة أو معدومة، دعم قليل أو معدوم، لا يشعر الطفل بأنه كينونة مستقلة.



الطريقة التي تعتمد على بناء العلاقة (الجزم): توازن سليم بين السيطرة والدعم.



لا يطيعنا، ولا يقوم بواجباته المدرسية، ولا يعود إلى البيت بالوقت المحدّد له. لقد يئستُ منه."

عند ذلك، أسأل الأهل: "ماذا تفعلان به؟"

"نحن نعاقبه طبعا. لا نسمح له بمشاهدة التلفزيون، ولا نعطيه مالا، ولا نعطيه مفاتيح السيارة. حين نقول له إنه معاقب فإننا نعني ما نقول!"

لقد وضعت قانونا على نفسي بألا أقول للأهل ما يجب أن يفعلوه مع أولادهم، لكن في حالة مثل هذه، كنت دائما أقترح عليهم التالي:

"هل أنت مستعد أن تتخلى عن قوانينك وعقاباتك وتحاول أن تطوّر علاقتك مع ابنك؟"

"أتخلى عن عقاباتي؟ أنت لا تعرف ابني. سيثور!"

وسؤالي التالي يكون دائما: "حسنا، هل خطتك هذه ناجحة؟"

يفهم أغلب الأهالي قصدي. من الواضح أن خطتهم غير ناجحة وإلا لما أتوا إلى مكتبي ليدفعوا لي مبلغا من المال ويخبروني مشاكلهم لكي أقدم لهم النصائح. بعضهم يأخذ بنصيحتي وأحيانا يغيّرون طريقتهم في تربية الأولاد. ولكن الكثيرين لا يتغيّرون. من الصعب على الشخص المستبد أن يتغير. "سلطانهم المطلق" هامّ جدا وهم غير مستعدين للتخلي عنه.

التطرّف الآخر هو التساهل

النوع الآخر من الأهل هم المتساهلون الذين يشدّدون على الدعم ويتساهلون في سيطرتهم على الأولاد. وكما يوضح الرسم، تتفوّق المحبة على الحدود، وهناك من جديد عدم توازن في البيئة العائلية. ربما سمعت أو رأيت أهلا متساهلين مع أولادهم. في الواقع، الأولاد هم النشيطون والأهل يقفون ويشاهدون أولادهم يدمّرون أثاث البيت والسلام العائلي بشكل عام.

غالبا ما يأخذ الأولاد الذين تساهل الأهل في تربيتهم أهلهم كرهينة. قد يرفضون أن يأخذوا قيلولة، وقد يكونون عصبيين، يصرخون حتى ترضخ الأم لهم وتعطيهم

ما يريدون لكي يهدأوا. ربما ابنهم الطاغية الصغير هذا يريد كأس ماء، فتهرول الأم سريعا لكي تحضر له كأس ماء. وحين تأتي به، يضرب الكأس بعنف لأنها لم تحضره بسرعة.

تقف الأم وهي تقدّم كأس الماء لولدها وتقول له: "سأعيد الكأس إن لم تشربه قبل أن أعدّ إلى الرقم خمسة."

من الطبيعي أن تعدّ الأم للرقم خمسة مرة ومرتين والولد لم يتناول الكأس بعد. وبينما تعود الأم بالكأس، يبدأ الولد بالصراخ لكي يشرب الماء. تستمر الحالة على هذا المنوال فيسيطر الولد لأن الأهل لم يرسموا حدودا له والأولاد يعرفون ذلك.

يحصل الأولاد الذين تربوا بطريقة التساهل على ما يريدون، لكنهم ليسوا سعيدين تماما مثل الأولاد الذين تربّوا في عائلة استبدادية لأن التوازن بين المحبة والحدود غير موجود. بصراحة، قلّة القوانين ستجعل الولد يفكر بالشكل التالي: "لو كانا مهتمين بي لاهتما أكثر فيما أفعل... سيرفضان أحيانا ما أفعل... أعتقد إنهما لا يحبانني."

الجيل المتساهل نتج عنه جيل لا مبالٍ

في العام ١٩٧٠ كتب عالم نفس شاب غير معروف كتابا بعنوان Dare to Discipline، هزّ به الأهل ودور النشر. كانت رسالة الدكتور جايمس دوبسون هي التالية: "لا بأس أن تؤدّب أولادك في إطار من المحبة والعاطفة. يحتاج الأولاد أن يتعلّموا الانضباط والتصرّف المسؤول ولا بأس أن تضع حدودا لهم."[٢]

كان هذا الكتاب بمثابة إجابة مباشرة لطريقة تربية الأولاد عن طريق التساهل، وهي طريقة انتشرت في أمتنا عبر الكتب كالكتاب الذي ألّفه الدكتور بانجامين سبوكس بعنوان Baby and Child Care. لم تبدأ التربية عن طريق التساهل نتيجة نصيحة كُتبت في كتابين أو ثلاثة. الأهل الذين كانوا متسامحين في الأربعينات والخمسينات والستينات أتوا من خلفية انتشر فيها الشعور بالاحباط. كانوا أيضا قد اختبروا الحرب العالمية الثانية وكانوا محرومين من عدة أمور مع أنّهم كانوا يمتلكون المال لشرائها.

حين تحسّنت الأحوال في الخمسينات، تعهّد أهل الأولاد أن يوفّروا لأولادهم كلّ الأشياء التي لم تتوفّر لهم. في الواقع، أنجبوا عددا كبيرا من الأولاد، ونتج عن ذلك حالة نسميها "انفجار الأطفال" بين عامي ١٩٤٦ و١٩٦٤. هؤلاء الآباء الذين أنجبوا هذا الجيل من الأطفال أصبحوا متساهلين في كثير من النواحي.

لا يجب أن نستغرب أنّ الطفل الذي تساهل أهله في تربيته سيُصبح هو الآخر متساهلا عندما يكبر. هؤلاء الأطفال الذين ولدوا في فترة "انفجار الأولاد" أصبحوا آباء وأمهات متساهلين في تربيتهم لأولادهم. هذا التساهل واضح في بعض المنازل بشكل صاعق، ولكن من الصعب اكتشافه في منازل أخرى.

نشرت وسائل الإعلام في الثمانينات والتسعينات مفهوم "الحصول على كلّ ما تريد" – احصل على الوظيفة والأولاد والمنزل الكبير وسيارة الـBMW. علق كثيرون من الآباء والأمهات في مفهوم النجاح هذا وحاولوا المحافظة عليه بوتيرة سريعة. نتيجة لذلك، تألّمت الحياة العائلية ومن غير أن يعلموا، لم يتسنَّ للأهل قضاء وقت طويل مع أولادهم، وقلّة اهتمامهم هذا يعني أنهم غير مبالين بأولادهم.

أنا لا أحاول أن أتهم كلّ أهالي تلك الفترة، فكثيرون منهم يتفاعلون مع أولادهم ويفعلون هذا بشكل رائع، ومع هذا، فإن هذه الحالة شائعة بين هذا الجيل من الأهالي. إن كنت من هذا الجيل من الأهالي وقد نشأت في محيط من الاهمال وعدم المبالاة، أنصحك بأن تقرأ الفصول التي تتحدث عن التوافر لأولادك والوقت الذي تحتاج أن تقضيه معهم ومع شريك حياتك.

اعلم أنه من الممكن تماما أن توفّر بيتا جميلا وأن تشتري للأولاد كلّ ما هو جميل، ومع هذا لن تكون متوفّرا جسديا وعاطفيا لهم. يمكن إيصال عدم المبالاة بطرق ماكرة. وحين يشعر الأولاد بعدم المبالاة في تربيتهم، سيتأذّون ويغضبون. حقا، قد يكون جيلنا القادم جيل "المتأذّين والغاضبين" وسينقلون هذا النموذج حين يكبرون ويتزوجون وينجبون الأولاد.

أعرف من خبرتي الشخصيّة كيف يمكن لهذا النموذج أن يحدث. لقد تربّيت في منزل تطلّق فيه والداي، لكنهما عادا وتزوجا مرة ثانية. وبسبب ضغط العمل على

والدي كنائب تنفيذي لإحدى الشركات، كان يدور مع أمي في حلقة اجتماعية حيث كان شرب الكحول أمرا متوقعا. وأخيرا، أصبحا مدمنَيْن على الكحول.

كنت أعلم أنهما يحبانني، لكنهما كانا عالقَين في حياتهما الخاصة ولم يهتمّا بي كثيرا. ولكي أتأقلم مع حياتي في المنزل انسحبت من حياتهما. كنت أقضي معظم وقتي في غرفتي أستمع الى الراديو، وابتعدت عن كلّ شيء وعن كلّ العالم وانغمست في الدراسة. لم تكن عائلتي تتفاعل معي، ففشلت على التوالي في فصلين في السنة الأولى من دراستي الجامعية. ومع هذا لم يبدِ الأساتذة أو أهلي أي اهتمام بي.

أخيرا، عند نهاية الفصل الثاني، توقّف أهلي بين حفلتي كوكتيل لفترة كانت كافية ليُدركا أنهما لم يلقيا نظرة على علاماتي كلّ السنة. وحين شاهدا كم كانت علامتي، حاولا أن يقوما بما يُسمّى بـ "عمل محبة"، ففي السنة التالية أبعدت إلى مدرسة إعدادية لكي أعيد تحضير دراستي للسنة الجامعية الأولى.

كنت في العشرينات من عمري. كنت متزوجا مع أربعة أولاد صغار حين تدخّل الله لكي ينقذني وينقذ عائلتي من الدائرة الحتمية من عدم التوافر والاهتمام بالأولاد. حين آمنت أنا وزوجتي شارلوت بالمسيح، تعهدنا بأن لا أعيد نموذج الاهمال الذي اختبرته كطفل- وبالفعل لم يتكرّر هذا النموذج.

الطريقة المتوازنة هي طريقة بناء العلاقات

للحصول على توازن سليم من المحبة والحدود (الدعم والسيطرة)، يحتاج الأهل إلى بناء العلاقات (الحزم). كما يُظهر الرسم البياني، ينتج عن العلاقة المتوازنة بين الأهل والأولاد نسبة متوازية من المحبة ووضع الحدود. يشعر الأولاد بالمحبة كما يشعرون بتحكّم الأهل، وهذا يزيد من شعورهم بالأمان.

لا ينبغي أن نتفاجأ إن كان ينتج عن هذه الطريقة المبنية على بناء العلاقة القبول والتقدير والعاطفة والتوفر. سأعيد صياغة مقطع مشهور من رسالة يعقوب. الأهل الذين يبنون علاقة مع أولادهم هم "مسرعون في الاستماع، مبطئون في الحكم والإدانة، وبطيئون أيضا في الغضب" (أنظر يعقوب ١: ٢١). في الوقت نفسه، الأهل الذين يبنون علاقة مع أولادهم هم أيضا متحكمون بزمام الأمور. هذا يعني أن

الأولاد هم عرضة للمحاسبة (وعليك أن تكون عرضة للمحاسبة من قبل أولادك) وعليك أن تستخدم سلطانك بمحبة وعدل.

لقد كرست الجزء الأكبر من هذا الكتاب لأشرح لكم لماذا يجب أن تكون علاقتك مع أولادك مبنية على المحبة، لكن مع أن تلك المحبة حقيقية ومغذّية لا يجب أن تنسى رسم الحدود. الحدود هي الإطار الذي يمكن للأولاد أن يتصرّفوا فيه بسلام وأمان. الحدود السليمة تسمح للأولاد أن يختبروا الأمور وينموا ويتطوروا. إن لم يكن هذا الإطار موجودًا ضمن السلطة الأهلية، لن يكون للولد أساس متين يمكّنه من اتخاذ القرارات. من دون هذه الحدود، لن يبقى سوى الفوضى والارتباك.

حين أتكلّم أنا وجوش عن السلطة، نقصد بذلك الإطار الذي وضعه الله في كلمته. لقد أعطى الله الناموس وأعطى كذلك محبة المسيح المحرِّرة. الحقّ—حقّ الله—يحيط المؤمن المسيحي وعائلته. حقّ الله لا يأسرنا، إنما يحرّرنا.

للحقّ بطبيعته حدود. الحقّ يتضمّن الحدود، أو أسوار إن شئت. من دون هذه الأسوار لن يكون لديك الحق. من دونها سيُصبح كلّ شيء مُباح.

المراعي المسيّجة صالحة للخراف - وللأولاد

ذات يوم، كنت أتمشى في ناحية من الجبل والتقيت برجل يجوب الولايات المتحدة بعربة تقودها البغال. توقّف لكي ترعى البغال في المرج قرب جوليان فتقدمت منه وبدأت أكلمه. تبيّن لي أنه خبير في تربية الحيوانات، فسألته: "ما هو المكان الأفضل لتربية المواشي هنا؟ المرج المباح، أم المرج المسيّج أم الزريبة؟"

أجابني من دون تردّد: "المرج المسيّج هو أفضل بكثير."

"لماذا؟"

"لأن الحيوانات تضيع حين تدخل في مرج لا سياج له. وغالبا ما تهجم عليها الحيوانات المفترسة. المروج غير المسيجة هي بكل بساطة غير آمنة. وإن وضعت الحيوانات في زريبة، عليك دائما أن تعتني بها. لا تستطيع أن تهيم وتبحث عن طعام

لها. لكن حين تضعها في مرج مسيج بشكل جيد، فستنال كلّ ما هي بحاجة إليه من دون أي عناية."

بعد أن رعت بغاله وارتحل، بدأت أفكر بالحوار الذي جرى بيني وبينه والمقطع الكتابي المناسب له. لقد أعطانا الله كلّ ما نحتاج إليه من مراعي خضراء ومياه ساكنة (أنظر المزمور ٢٣). كما وضع لنا سياجا – ناموس الحرية الكامل والحق الذي يحرّرنا في المسيح (أنظر يعقوب ١: ٢٥، يوحنا ٨: ٣٢). المراعي المسيّجة ليست صالحة فقط للمواشي، بل هي أيضا صالحة لنا نحن الآباء والأمهات في تربيتنا لأولادنا خاصة في مجتمع يركّز على التفكير النسبي وعلى فلسفة "كل شيء يجوز."

لهذا السبب علينا أن نضع حدودا- حدودا مطلقة تضمن الاستقرار والسلطة في حياة الأولاد. في الوقت نفسه علينا أن نكون متوازنين. لقد أجريت دراسة حول علاقة الأهل بأولادهم المراهقين وأظهرت أن الأولاد الذين تربّوا تحت سلطة استبدادية تظهر لديهم هذه الصفات: عداوة تجاه أهلهم، إيذاء المسنين، نشاطات مناوئة للمجتمع كالسرقة والكذب والعراك والتخريب، والشعور بالعزلة الاجتماعية، ورفض المبادئ الأخلاقية التقليدية، وعدم القدرة على الترابط مع الناس.

من ناحية أخرى، ننظر إلى الولد الذي تربى بتساهل وتسامح. ينتج عن هذه التربية مراهقين لا يتحملون مسؤولية تصرّفاتهم. قليلون منهم يساعدون الناس كمساعدة زملائهم في واجباتهم المدرسية، أو جزّ عشب حديقة شخص عجوز لا يقدر أن يجزّها بنفسه.

المراهقون الذين تربوا عن طريق التساهل والتسامح لا يحبون أن يعيشوا تحت نظام أهلهم الأخلاقي. من المحتمل جدا أن يشاركوا بسرقات وبالكذب وشرب الكحول والانغماس بالشهوات والجنس والمخدرات. يميلون لمشاهدة الافلام الإباحية والمثيرة جنسيا. باختصار، التربية المتسامحة تساهم في نشوء نمط حياة شهواني وعدائي للمجتمع.

إذا، وبكل وضوح، يحتاج الولد إلى حدود ثابتة، لكن على هذه الحدود أن تكون مبنية على المحبة—على القبول والتقدير اللذين تمّ شرحهما في الفصول السابقة.

كيف تميّز الأهل الذين يبنون علاقة مع أولادهم

لقد تأملنا في ثلاثة أنواع من التربية نريد تجنبها: التربية الاستبدادية، والتربية المتساهلة، والتربية غير المبالية. لكن ماذا عن الأهل الذين يبنون وبحزم علاقة مع أولادهم—المثل الأعلى الذي نأمل أن نصل إليه؟ كيف يبدو الأب والأم اللذان يبنيان علاقة مع أولادهم؟ والأهم من ذلك ماذا يفعلان في الوقت الذي يوفّران لأولادهما سلطة في إطار من المحبة؟

لقد كُتبت مجلّدات عن كيف تكون أبا وأما حازما ومحبا. يشدّد أحد الخبراء على أمر ما، ويشدّد آخر على أمر آخر يناقض الأول. لم أجد وصفا أفضل للأهل الذين يبنون علاقة مع أولادهم كذلك الوصف الموجود في آية من إحدى رسائل بولس يقول فيها: "وأنتم أيها الآباء لا تُغيظوا أولادكم، بل ربّوهم بتأديب الرب وإنذاره" (أفسس ٦: ٤).

ماذا عنى بولس حين قال "لا تغيظوا أولادكم"؟ يترجم ج. ب. فيليبس هذه الآية على الشكل التالي: "أيها الآباء، لا تُكثِروا من تصحيح أولادكم ولا تصعّبوا الأمور عليهم لكي يطيعوا الوصايا." وتقول ترجمة أخرى: "لا تؤنبوا أولادكم باستمرار فتغضبونهم."

في الوقت الذي نفكر بالأنماط السلبية لتربية الأولاد، يمكننا أن نعيد صياغة أفسس ٦: ٤ على الشكل التالي: "أيها الآباء، لا تُغضبوا أولادكم بتربيتكم المستبدة والمتساهلة وغير المبالية، بل على عكس ذلك، ابنوا علاقة من المحبة والحزم مبنية على الإطار الموجود في كلمة الله."

كما يمكننا أن نعيد صياغة الآية بشكل أبسط بمراجعتنا لما ذُكر سابقا في الفصل الثالث.

القوانين من دون بناء علاقة تقود إلى التمرّد

حسن حتى الآن، لكن كيف يمكننا أن نطبّق ما يقترحه بولس في الجزء الثاني من أفسس ٦: ٤:"...بل ربّوهم بتأديب الرب وإنذاره"؟ عندما يحين وقت حسم الأمور، كيف يؤدّب الأهل الذين يتبعون أسلوب بناء العلاقة أولادَهم؟ إليكم بعض المبادئ:

نماذج السلطة

الاستبدادية



العلاقاتية



لتكن مكافأة سوء السلوك صغيرة

من المفيد أن تتذكّر أنه حين يرتكب الولد أمرا سيّئا، فإنه بالتالي يسعى للفت انتباهك. من الواضح أنك لا تستطيع أن تتجاهل ابنك أو ابنتك حين يسيء التصرّف. عليك أن تعالج المسألة، لكن السؤال المطروح هو كيف تعالجها؟ ما الذي يراه الولد ويسمعه حين تتجاوب مع سوء سلوكه؟

إن استطاع الولد أن يجعلك ترفع صوتك، وإن استطاع أن يجعل وجهك أحمر اللون، وإن استطاع أن يستفزك بطرق مختلفة، سيستنتج أن سوء التصرّف هو الطريق الأنسب لشدّ انتباهك إليه.

من جهة أخرى، إن استطعت أن تتعامل مع سوء تصرّفه بهدوء، من دون اللجوء إلى المحاضرات الطويلة الصاخبة أو فورة غضب، لن تكون مكافأة الولد كبيرة كما كان يتمنّى. إحدى الطرق البسيطة التي يمكن استخدامها هي بأن تقول للولد بكل هدوء بأنك لن تتساهل مع تصرّف كهذا، وإن لزم الأمر، افصله عن باقي أعضاء العائلة لفترة. تذكّر، من الصعب أن تُلفت انتباه الآخرين حين تكون وحدك. قد تكون فكرة الجلوس على "كرسي في زاوية المنزل" من الطراز القديم لكنّها فعّالة جدا مع كثير من الأولاد.

أنا مُدرك أن الأمر ليس بهذه البساطة مع بعض الأولاد، لكن مهما كانت الطريقة التي تتعامل بها مع سوء تصرّف ابنك، تذكّر أنه لا بدّ للأولاد أن يرتكبوا بعض الأخطاء. لا بدّ أن يكون سلوكهم سيئا في بعض المناسبات لأنهم بكل بساطة مجرّد أولاد. ضع هدفا بأن لا تضخّم الأمور بسبب سوء تصرّفاتهم، وحاول أن تشدّد على سلوكهم الجيد. كما تعلّمت في الفصل السابع، حاول أن تضبطهم وهم يقومون بأمر جيد بدلاً من أن تضبطهم دائما وهم يرتكبون الأخطاء. وكما يُقال، "شدّد على الإيجابيات وتخلّص من السلبيات."

لكي تفعل هذا بشكل فعّال، تحتاج إلى نظام تأديبي يعطي الولد فرصة للتعلّم والنضج. أنا أؤمن بأن الكتاب المقدس يعلّم نموذجين من التأديب الإيجابي "اكتشفهما" علماء النفس في الأيام الأخيرة. أحدهما يُدعى "العواقب الطبيعية،"

والآخر يُدعى "العواقب المنطقية." النموذجان يرتكزان على مبدأ السبب والنتيجة البسيطين.

عانى الابن الضال نتائج طبيعية

مثل الابن الضال هو إيضاح رائع للعواقب الطبيعية. يقرّر الشاب أن يترك بيت أبيه ويعيش على هواه. طلب من أبيه أن يعطيه نصيبه من الميراث. كان يعلم الاب ماذا سيحدث له، ومع ذلك أعطاه نصيبه من المال وترك الولد يذهب في حال سبيله وأن يتعلّم كيف يطوّر شخصيّته بالطريقة الصعبة.

أصابته العواقب الطبيعية لقراره هذا وانتهى به المطاف يأكل مع الخنازير لأن هذا كلّ ما توفّر له. العبارة الأساسية في كلّ المثل هي: "رجع إلى نفسه..." (لوقا ١٥: ١٧). كان هذا الولد بحاجة إلى اختبار العواقب الطبيعية لكي يرجع إلى نفسه. قرّر العودة إلى البيت، إلى أبيه، حيث كان مقبولا ومحبوبا أكثر من أي وقت مضى (أنظر لوقا ١٥: ١١-٣٢).

من المثير أن الوالد لم يسمح له بالذهاب فحسب، بل أعطاه أيضا ميراثه. كثيرون من الآباء يسمحون لأولادهم بالذهاب، لكن كم واحد منهم سيعطي ابنه ميراثه لكي يبذّره؟ هذا محال! كان والد الابن الضال مستعدا ان يفعل هذا. وضع تطوّر شخصيته الأخلاقية فوق الأمان المادي. غالبا ما يكون اهتمامنا الأوّلي في مجتمعاتها هو الاهتمام المادي بدلا من تطوّر الشخصيّة. كأهل، علينا أن نسأل أنفسنا ما هي القيم التي نقول لأولادنا إنها هامة أكثر من غيرها.

أتذكّر أني استخدمت العواقب الطبيعية لكي أعلّم جوناثان درسا هامًا حين كان صغيرا. كان في منزلنا مدفأة مؤلّفة من أربع طبقات، وكنت دائما أخاف أن يُحرق جوناثان نفسه، فهو لا يعرف عواقب النار، ويستطيع ان يمدّ يده إلى المدفأة ويحرق نفسه بها بشدّة بينما كنت أنا وشارلوت ننظر إليه.

ذات مساء، كنا جالسين إلى طاولة الطعام نتناول الطعام على ضوء الشموع. مدّ جوناثان يده لكي يلمس الشمعة لكنه سحبها بسرعة وهو يصرخ متألما. لم يحرق يده بشدّة، لكنه احترق بشكل كاف لكي يتعلّم قوّة النار ويحترمها. قد يقول بعض

الناس أنه من الوحشية أن ندع جوناثان يلمس النار، لكنّي لا أوافقهم الرأي. أفضل أن يتعلّم بأن النار تحرقه بواسطة لسعة صغيرة، بدل أن يحترق بلهيب مدفأة. منذ ذلك الوقت، بدأ جوناثان الصغير يحترم النار وتلاشت مخاوفي من أن يقترب من المدفأة ويؤذي نفسه.

العواقب المنطقية هي قبل كلّ شيء

النموذج الآخر الذي يصفه الكتاب المقدس هو العواقب المنطقية. هذا يعني بكل بساطة أن الأهل يخبرون الولد بأنه يوجد عواقب معيّنة إن لم يتحمّل مسؤولياته أو إن أساء التصرّف بطريقة ما. مثلا، "إن لم تأكل كلّ وجبة العشاء، لن تحصل على الحلوى،" أو "إن لم تطعم كلبك، لن تأكل أنت أيضا."

نرى العواقب المنطقية في الجنة مع آدم وحواء. وضع الله كلّ شيء أمامهم وأوضح لهم أنهم لا يستطيعون أن يأكلوا من شجرة واحدة هي شجرة معرفة الخير والشرّ. إن أكلا منها، العاقبة المنطقية هي أنهما "سيموتان" (أنظر تكوين ٢: ١٥-١٧).

جرّبت الحية حواء فأكلت من الشجرة ثم تبعها آدم وأكل هو الآخر. حين اكتشف الله ما حدث، حلّت بهما العاقبة فورا. أصبح آدم وحواء عرضة للموت الجسدي وكل العواقب المترتّبة عن ذلك، كآلام الولادة، والعيش بعرق الجبين، والطرد من الجنة (أنظر تكوين ٣: ١-١٩).

لقد حدّد الله الحدود التي يمكن لآدم وحواء أن يتفاعلا فيها، وحين اختارا أن يتعديا تلك الحدود، كان لا بدّ لهما من مواجهة العواقب. إلا أن الله لم يضع تلك الحدود قبل أن يُظهر أوّلا محبته لهما من خلال توفير كلّ ما كانا يحتاجان إليه على الصعيد الجسدي والعاطفي والعرقي والاجتماعي والجنسي والروحي. حين وضع الحدود لهما، كان الله بذلك يعطي فرصة لآدم وحواء أن يتجاوبا مع محبته من خلال الثقة به وطاعته.

تربية الأولاد هي شبيهة بذلك. مسؤولية الأهل أن يضعوا الحدود لأولادهم. هذه هي الحدود التي تبني عليها أساس المحبة الذي كنت قد أسسته أصلا. حين تضع الحدود، تجعل الولد عرضة للمحاسبة على أعماله وتصرفاته.

الالتزام بأسلحتك أمر حاسم وضروري

وصف جوش في الفصل ١٣ كيف شعر بالسوء حين غادر شون المدرسة لكي يعود إلى البيت لتحمّل مسؤولياته، لكن جوش التزم بأسلحته، وهو أمر حاسم عند استخدام العواقب المنطقية. كان يعلم أنه لن يقدر أن يساعد ابنه أن يتعلّم تحمّل المسؤولية ويطوّر شخصيته بالسماح له بأن يتخلّى عن المسؤولية التي التزم بها. رمي النفايات نيابة عنه، أو إن اراد أن يكون "لطيفا" معه سيسمح له أن يرمي النفايات بعد أن يعود من المدرسة، لن يعلّم شون ما أراد له أن يتعلّم.

حين حصل ابني البكر ديك على رخصة للقيادة، اتّفقت معه أنه إن حصل على أية مخالفة سير سيدفع المخالفة بنفسه ولن يقود السيارة لمدة ثلاثين يوما. ما زلت أتذكّر اليوم الذي حصل فيه ديك على مخالفته الأولى. أتى إليّ خجلا وقال لي: "أبي، لقد حصلت على مخالفة."

لا أعلم ما الذي توقّعه ديك، لكن كلّ ما قلته له كان: "أين مفاتيح السيارة؟"

سلّمني ديك المفاتيح. دفع أيضا المخالفة ولم يقُد السيارة مدة ثلاثين يوما. لم أحاضره. لم أطلب منه أن يشرح لي ما حدث. لم اسأله "لماذا فعلت هذا؟" العواقب المنطقية وقعت عليه وكان ديك يعلم أنه يدفع ثمنا وافق مسبقا عليه.

أغفر—واطلب الغفران

في الحالتين اللتين وصفتهما سابقا، كان كلّ شيء يحدث نتيجة عاقبة منطقية لما كان يحدث. كلّ الآباء والأمهات يعلمون أن الأمر لا ينتهي جيدا كما حدث هنا. أحيانا يفور الغضب، ونتفوه ببعض الكلمات وتُصبح الحياة العائلية صعبة جدا. على الأهل الذين يريدون أن يكونوا أبطالا أن يكونوا دائما على استعداد بأن يغفروا، وأن يكونوا أيضا مستعدين على طلب الغفران.

من أصعب الكلمات التي يمكن أن يقولها أي واحد منا هي: "هلا تسامحني؟" مع هذا، هي كلمات عليك أن تتعلّمها وتستخدمها إن كنت حقا تنوي أن تكون عرضة لمحاسبة أولادك وشريك حياتك وأنت تمارس السلطة بإطار من المحبة.

مرة، كان يزورنا ديك مع عائلته في إجازة لهم من الخدمة خارج البلاد. حين اقترب موعد رحيلهما، قرّرنا أن نذهب برحلة عائلية إلى حديقة في ولاية قريبة منا. حضرت لنا شارلوت غذاء جميلا للرحلة، وجمع ديك وزوجته باقي أولادهما وذهبنا جميعنا في هذه الرحلة.

كان يُفترض أن يكون ذلك اليوم رائعا، لكن كان هناك مشكلة. اتّصلت صديقة كبيرة وعزيزة بشارلوت قبل ساعات وأخبرتها بأنها مصابة بمرض السرطان وبأنها ذاهبة إلى سان دياغو لتلقّي العلاج. سألت شارلوت إن كانت قادرة أن تأتي من جوليان إلى سان دياغو لكي تقلّها بسيارتها من المطار وتأخذها إلى العيادة لتلقّي العلاج.

شعرت شارلوت أنها عالقة بين أمرين: أرادت أن تدعم صديقتها العزيزة، ولكنها من جهة أخرى أرادت أيضا أن تكون مع أولادها وأحفادها في هذه الرحلة المميزة.

بعد أن وصلنا الى الحديقة وجهزنا كلّ شيء، بقيت شارلوت معنا أطول فترة ممكنة ثم اقترب موعد ذهابها. كنت جالسا إلى طاولة في الحديقة معها وطرحت عليها سؤالا لكنها لم تجب بأي كلمة. طرحت السؤال مرة ثانية لكنها لم تجبني. سألتها للمرة الثالثة ورفعت صوتي لكي ألفت انتباهها، فالتفتت إليّ بسرعة وسألتني: "لماذا تصرخ في وجهي؟"

"ماذا تقصدين بأني أصرخ في وجهك؟ سألتك مرتين فلم تجيبيني. لماذا أنت تائهة هكذا؟

كان يُفترض بي أن أعرف لماذا شارلوت تائهة هكذا. كانت تفكّر في الذهاب لرؤية صديقتها، وكان عقلها بكلّ تأكيد في مكان آخر. كانت أيضا متوترة لأنها كانت مضطرة أن تترك الاجتماع العائلي هذا، وهو المكان الذي تفضّل أن تكون موجودة فيه. ربما أنا أيضا كنت متوترا قليلا لأنها ستفتقد بقية الوقت الذي كانت ستقضيه معنا.

تأثير الدومينو يُغضب الجميع

بعد دقائق معدودة، بينما كانت شارلوت تقود سيارتها مبتعدة عنا، شعرت بتوتّر حاد في الجوّ. شعر ديك وزوجته باتي بذلك أيضا. في الواقع، ما جرى أدّى إلى تأثير غريب كتأثير الدومينو. بعد دقائق، بدأ ديك يتجادل مع زوجته باتي، ثم بدأ أولادهما أيضا بالجدال. طبعا، حاول ديك وباتي أن يهدّئا الأولاد وهكذا استمرا يفعلان ذلك.

ما جرى يشبه سيناريو حيث يصرخ رئيس العمل بموظف، وحين يعود الموظف إلى بيته يصرخ في زوجته، ثم تصرخ زوجته في أولادها، ويصرخ الأولاد في الكلب، ويبدأ الكلب بملاحقة الهرة!

بينما كنت أفكّر في هذا، بدأت أدرك ما كان يجري. كان لي ردّة فعل لما اعتبرته تصرّف لا مبالٍ تجاه سؤالي لأن شارلوت لم تجب حين سألتها. حين عرفت الأمر الذي يزعجها، أدركت أنني أخطأت. بعد عودتها مباشرة طلبت منها أن تغفر لي.

عادت شارلوت متأخرة في تلك الليلة وتبيّن لي أنها مرّت بتأثير الدومينو نفسه. حين انطلقت بسيارتها وبدأت تفكّر بما جرى، أدركت كم كان الموقف سخيفا. بعد ذلك ثُقب إطار سيارتها، وتوفّر لها وقت أكثر لكي تفكّر بما جرى بينما كان أحدهم يُصلح العجلة لها.

حين دخلت شارلوت المنزل كنا جميعا جالسين في غرفة الجلوس، وأول أمر طلبته منها هو أن تغفر لي. وكانت هي الأخرى تفكّر أيضا بأن أول أمر ستطلبه مني هو غفراني لها. وها نحن نلتقي وجها لوجه نريد أن يغفر الواحد للآخر. تسبّب هذا الأمر بسلسلة أخرى من الأحداث مع العائلة، وكانت هذه الأحداث إيجابية هذه المرّة. ديك وباتي أيضا طلبا الغفران بعضهما من بعض، والأولاد شاركوهم بذلك أيضا.

قوّة عبارة "هلا تسامحني؟"

لاحقا في ذلك اليوم، جلسنا كلّنا كعائلة وضحكنا مما جرى لنا والأمور التي تعلمناها. أنا أعرف أن لا علاقة لهذه القصة بموضوع التأديب أو العواقب المنطقية، لكنها توضح ما يُمكن أن يحدث حين يتبادل شخصان كلمات جارحة. "هلا

تسامحني؟" هي الإجابة الرقيقة التي تُبعد الغضب وتُصلح الأمور (أمثال ١٥: ١). تحتاجان في كثير من الأوقات بينما تؤدّبان أولادكما أن تستخدما كلمات كهذه.

تذكّروا أنه يوجد فرق شاسع بين قولك: "أنا متأسّف،" وقولك: "هلا تسامحني؟" عبارة "أنا متأسّف" تتعلّق بشخص واحد. لكن حين تقول: "هلا تسامحني؟" فالأمر هنا يتعلّق بشخصين أو أكثر. هذه العبارة تبني العلاقات لأنها تتطلّب إجابة من الشخص الآخر.

أنا أعترف بوجود مجازفة حين تقول: "هلا تسامحني؟" أنت تعرّض نفسك للخطر حين تطلب الغفران ويجيبك الشخص الآخر: "لا، لن أغفر لك." قد تكون هذه ردّة فعل ابنك بسبب غضبه أو عدم فهمه لما يحدث. عليك أن تخاطر بهذا لأنك تريد أن تعلم أولادك هذا النوع من الضعف والمخاطرة.

غالبا ما يكون الأولاد الصغار مستعدين أن يقولوا: "أنا متأسّف... أعذرني... أنا متأسّف،" حين نريد تأديبهم. لكن إن طلبت منهم أن يذهبوا ويقولوا لأحدهم: "هلا تسامحني؟" فإنهم سيتذمّرون. علّمهم في سنّ مبكّر أن التأسّف أمر جيد، لكن طلب الغفران هو أفضل.

في حالات التوتّر، قم باختبار المغناطيس

حين أبدأ بالشعور بالتوتّر من أولادي، أجد أنه من الأفضل لي أن أتراجع وأنظر إليهم كما ينظر الله إليهم—كأشخاص ذو قيمة لا متناهية. هذا يساعدني أن أتقبّلهم حتى حين تدعو الحالة إلى تأديب. أستطيع أن أؤكد محبتي لهم بينما أتعامل مع سوء تصرّفهم.

أدعو هذا "اختبار المغناطيس." حين تفصل قطعتين من المغناطيس ولا تضعهما في حقل مغناطيسي واحد، لن يؤثّر الواحد على الآخر. إن وضعتهما في حقل مغناطيسي واحد سينتج عن ذلك أحد هذين الأمرين: سينجذبان نحو بعضهما أو يبتعدان عن بعضهما.

مشاعرنا البشرية تجعلنا نشبه قطعتي المغناطيس. لا يوجد فينا قوة مغناطيسية، لكنك تحتوي على مشاعر وكذلك هي حال أولادك. الحياة معا في عائلة واحدة

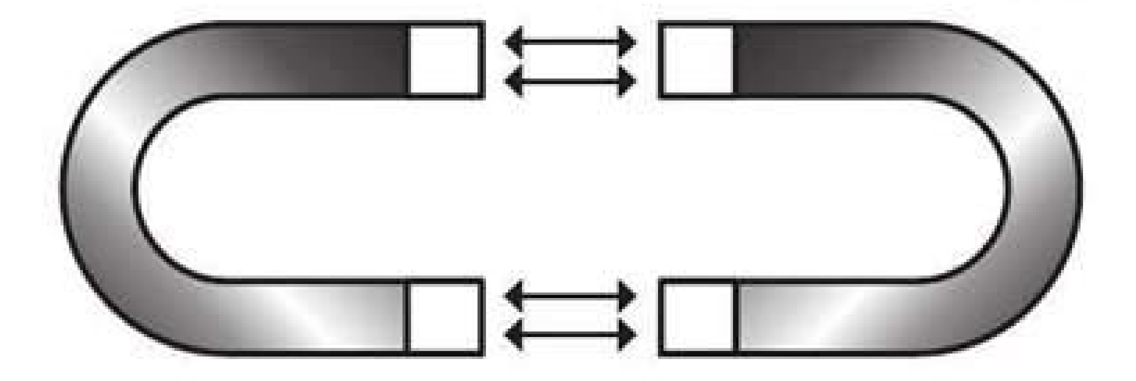
المشاعر

المشاعر كالمغناطيس—

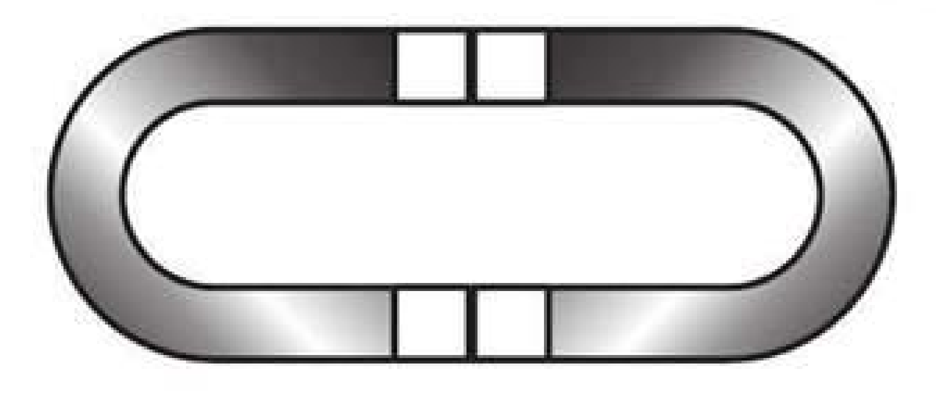
حين تكون في حقلين مختلفين لا تتأثر بعضها ببعض.

حين تكون في حقل واحد سينتج عن ذلك أمرين:

إما يتباعدان



أو يقتربان



تضعك وأولادك في "حقل عاطفي" واحد، وحين يحدث هذا، ستكون النتيجة مشابهة لقطعتي المغناطيس القريبتين من بعضهما. سيحدث أمرٌ من أمرَيْن: إما تقترب من أولادك أو تبتعد عنهم.

كلّما وجدت نفسي متوترا من أولادي، أطرح على نفسي بعض الأسئلة الصعبة: "لماذا تمرّ علاقتنا بحالة من التوتّر؟ لماذا ردّة فعلي هكذا مع أولادي؟ لماذا ردّة فعل أولادي هكذا معي؟" وحين تتوتّر علاقتنا، والأسوأ من ذلك حين تتوتّر العائلة يمكنك التأكد من أن أحد أعضاء العائلة يشعر بعدم الأمان وبأن قبولك لأولادك يتعرّض للخطر.

اعلم أنه من مسؤوليتك أن تقوم باختبار المغنطيس وهذا ليس من مسؤولية الأولاد. كراشد، أنت الذي ينبغي عليك التراجع—الخروج من حالة التوتّر— لكي تستطيع أن ترى ما الذي يجري حقًا. عند ذلك، تستطيع أن تسيطر على مشاعر الغضب. وإذا لزم الأمر أطلب الغفران.

اختبار المغناطيس يساعدني دائما أن أتعامل مع الحالة التي أواجهها. اختبار المغناطيس يمكنني دائما أن أقبل أولادي وفي الوقت نفسه يمكنني من وضع الحدود المناسبة إن تطلّب الأمر ذلك. القبول والتأكيد، مع حدود متوازنة، يغذّيان العلاقة. هذا ينجح أيضا مع شريك حياتك أو في أي علاقة أخرى حين يدخل الناس في حقل المشاعر نفسه.

الأهل الذين لهم آذان، رجاء اسمعوا

حين كنت أخدم في إرشاد العائلات، أتت إلي فتاة في الثالثة عشر من عمرها مع أهلها. كان والدها رجلا مشهورا في خدمة الموسيقى المسيحية وكان يجوب البلاد مرنمًا وشاهدا للمسيح.

بينما كنا نتكلّم، أبديت بعض الملاحظات التي وتّرت والدها وبدأ بتقديم محاضرة لاهوتية جميلة—تكلّم عن عقيدة سليمة من الكتاب المقدس تتعلّق بالعائلة. قام بعمل رائع لكي يُثير إعجابي ويُخيف زوجته وابنته. لكن يبدو أن هذا الأب لم يسمع

جوش ماكدويل أبدا يقول: " يمكنك أن تخدع مخادعًا، يمكنك أن تتحامق على الأحمق، ولكن لا يمكنك أن تغش طفلًا."

عندما انتهى الأب من كلامه، التفتت الابنة إلى والدها وقالت بصوت هادئ حزين: "يا أبي، كنت أتمنى لو تسمع ما قلته للتوّ وتفعل تماما ما كنت تقوله."

لم تكن هذه الفتاة متمرّدة أو غير مُحترمة. أرادت بكل يأس أن تكون عائلتها موحّدة، لكن والدها لم يكن قادرا أن يسمعها أبدا. كان مصرًا جدا على المحافظة على قوّته وعلى ما كان يعتقد أنه "سلطة." كانت تقول له ابنته أن السرّ الحقيقيّ للسلطة هو قلب الخادم. القائد الخادم يُصغي لعائلته وهو دائما يهتمّ بالعلاقات أكثر مما يهتم بالقوانين. لكي تكون قائدا خادما، على الشخص الموجود في السلطة أن يعرف ما معنى أن يكون محبوبا، وأن يكون عنده شعور بالأمان والأهمية لأنه مقبول ومُقدّر—ابتداء من نعمة الله.

قال أعظم قائد خادم بين كلّ القادة في عدّة مناسبات: "من له أذنان للسمع فليسمع." الآباء الذين يبنون علاقة مع أولادهم يُصغون إليهم ثمّ يتصرّفون. خلاصة الأمر، هكذا تكون بطلا لأولادك!

يمكنك تمييز الفرق بين القائد المستبدّ والقائد الخادم الذي يبني علاقة بينه وبين أولاده بالنظر إلى الصورة التوضيحية الموجودة على الصفحة ٢٠٠. ستلاحظ أيضا النتائج العاطفية لكل واحد منهما على الصفحة ٢١٦. ما نوع القيادة التي استخدمها والداك؟ أي نوع من الآباء أنت؟ أي نوع من الآباء تتمنى أن تكون؟

للتفكير، المناقشة أو للتجربة الشخصيّة

١. وفقا لهذا الفصل، يوجد أربعة نماذج للتربية. النموذج الاستبدادي، والمتساهل، والمهمل والنموذج الذي يعتمد على بناء العلاقة (بحزم). أي نموذج يُستخدم في منزلك؟ أي نموذج يستخدمه الآباء أكثر من غيره ولماذا؟

٢. لماذا من المُمكن توفير "منزل جيد" وفي الوقت نفسه يستخدم الآباء النموذج الاستبدادي في تربيتهم للأولاد؟

٣. لماذا أولادُ الآباء المتساهلين ليسوا أسعد من أولاد الآباء المستبدين؟

٤. في هذا الفصل، يذكر ديك أنه من الممكن توفير بيت جميل وكلّ ما يتمنّاه الأولاد، وفي الوقت نفسه لا يكون الآباء مُتاحين ومتوفّرين لأولادهم على الصعيد الجسدي والعاطفي. هل ترى خطرا بعيدا من هذا النوع في عائلتك؟ تكلّم مع شريك حياتك عن كيفيّة تصحيح هذا الانحراف.

٥. خذ ورقة واكتب لائحة بخصائص الآباء الذين يبنون علاقة مع أولادهم (بحزم). ما هي بعض هذه الخصائص الموجودة فيك؟ ما هي الخصائص التي تتمنى لو تكون موجودة فيك بشكل أفضل؟

٦. هل تستخدم العواقب الطبيعية والمنطقية مع أولادك؟ فكّر ببعض الأمثلة. إن أردت أن تبدأ باستخدام العواقب المنطقية، ابدأ ببطء بأمور صغيرة، ولا تتخلّى أبدا عن سلاحك حين تريد ان تطبّق العواقب المنطقية.

٧. بحسب المؤلّف، ما هي أصعب كلمات يمكن للآباء أن يقولوها لأولادهم؟ ما مدى براعتك بطلب الغفران؟ كيف يقيّمك أعضاء عائلتك الآخرين بالنسبة إلى غفرانك لهم واستعدادك لطلب الغفران عند الحاجة؟

٨. في المرة القادمة التي تواجه فيها حالة توتّر، حاول أن تُجري "اختبار المغناطيس" الذي يصفه المؤلّف في هذا الفصل من الكتاب. تذكّر أن الأسئلة الرئيسية هي: "لماذا تتعرّض علاقتنا للتوتّر حاليا؟ لماذا ردّة فعلي مع ابني بهذا الشكل؟ ولماذا ردّة فعل ابني مع بهذا الشكل؟" أخيرا، "ماذا يمكنني أن أفعل لكي أغيّر الأمور؟"

٩. والآن، بما أنك أنهيت الخصائص الستة للتربية الإيجابية - القبول، التقدير، التوفُّر أو أنْ تكون مُتاحا لأولادك، العاطفة، المُحاسبة والسلطة - ربما تودّ لو تجري دراسة وحدك أو مع شريك حياتك، أو مع عائلتك، حول هذه المبادئ كما هي موجودة في الكتاب المقدس. الأعمدة الأربعة الأساسية في البناء (أن تكون مُتاحا والعاطفة هما خاصتان تعبّران عن قبولك وتقديرك لأولادك) ونتعلّمها من رسالة أفسس.

القبول بالنعمة (أفسس ١:١ - ٣: ٢١)

التقدير بالبناء (أنظر ٤: ١- ٥: ٢٠)

المحاسبة بالخضوع (أنظر ٥: ٢١ - ٦: ٩)

السلطة من الله (أنظر ٦: ١٠ – ٦: ٢٠)

لاحظ بشكل خاص الآيات التي تتكلم إليك عن هذه المبادئ.

أفكار أخيرة

لا تتوقّف أبدا عن أن تكون بطلا!

بينما كنت تقرأ هذا الكتاب، ربما راودتك فكرة بأنه "لا يوجد أي شيء معقّد هنا أو صعب. كلّ ما كنت أقرأه له أساس كتابيّ وهو منطق إلهي—هذه أمور علينا جميعنا كآباء وأمّهات أن نقوم بها مع أولادنا ولأجلهم."

إنّه بالفعل كذلك.

كما قلنا سابقا، لا تحتوي المبادئ الستة للتربية الإيجابية على أي عنصر سحريّ للنجاح. ما تقدّمه هذه المبادئ الستة هي أدوات لكي تكون أبا أو أمّا في مجتمع يناهض مبدأ العائلة. إنه مجتمع يعلّم التركيز على الذات، ويعلّم الطمع والعنف. الأغنية التي تصفه هي "يجب أن أكون ما أنا عليه،" والإنجيل الملتوي الذي يُبشّر به هذا المجتمع هو "كل الحقائق نسبيّة."

بينما كنت أنا وديك نشارككم أفكارنا وقناعاتنا المتعلّقة بالمبادئ الستة، كان يتردّد دائما في مسامعنا قول مأثور:

الأبطال يُصنعون ولا يُخلقون

أنا أعلم كأب أن هذا صحيح جدّا. وأعلم أيضا أن عملية أن تكون بطلا لأولادك هي عملية طويلة الأمد! التحدّي لكي تقبل أولادك وتقدّرهم وتحنو عليهم وأن تكون مُتاحا أو متوفّرا لهم هو تحدّ يوميّ تواجهه. إن مسؤوليتك بأن تكون عرضة للمحاسبة وبأن تبني علاقة مع الأولاد هي جزء من كلّ لحظة تحياها، خاصّة في تلك اللحظات من الليل حيث تصحى من النوم لكي تُحضر كوبا من الماء لهم أو لتردّ على اتّصال يردك من دائرة الشرطة بشأنهم. حتى لو كنت بطلا لأولادك، لا يوجد ضمان

مئة بالمئة بأنك لن تتعرّض للمشاكل —وحتى للتمرّد. حين تكون أبا أو أمّا، مهما كنت جيّدا في تربيتك للاولاد، لا بدّ للمشاكل أن تظهر.

عندي تمنٍّ خاصّ للآباء

نتمنّى أنك ستكون قادرا مع شريك حياتك أن تتعامل مع المشاكل والتحديات التي ستواجهكما عبر تبنّي وتطبيق المبادئ التي تعلّمتماها في هذا الكتاب. ربما أنت تطبّق من قبل بعض هذه المفاهيم وتريد أن تجدّد التزامك بأن تستمرّ في ذلك لكي تكون أبا أو أمّا إيجابيا. عندنا تمنّي خاصّ بأن يستخدم بعضكم، أنتم الآباء بشكل خاص، على الأقل بعض هذه المبادئ الستة لكي تغيّر بشكل فعّال طريقة ارتباطك بعائلتك.

أعتقد أن زوجتك ستفرح حين تسمعك تقول: "هلا تعلمينني كيف أقبل أولادي؟ هلا تساعدينني في ضبط أولادنا وهم يقومون بأمور جيدة؟ هلا تعلمينني حين تكثر انشغالاتي وأعمالي؟ هلا تساعدينني أن أكون أكثر عرضة لمحاسبة عائلتي لي؟"

أنا أتمنى أيضا على الأمهات المطلّقات أن يشجعن أزواجهنّ السابقين بأن يقلن لهم: "أرجوك، اقرأ هذا الكتاب. أنا وأنت أمام مسؤولية كبيرة تجاه أولادنا، حتى لو كنا لا نعيش في منزل واحد، نستطيع كلانا أن نطبّق هذه المبادئ بأن نحبّ ونعتني بأولادنا.

نسمع كلّ يوم أصوات كثيرة تصدح من شاشات التلفاز والسينما والراديو وحتى في بعض الصفوف تقول: "لا تُطيعوا السلطة – لا تهتمّوا بما يقوله آباؤكم وأمهاتكم." قليلون سيُنكرون بأن مهمّة تربية الأولاد تُصبح أصعب يوما بعد يوم. أعتقد أن الآباء بحاجة أن يدعموا ويساعدوا بعضهم. تكلّموا مع زملائكم في العمل من الأمّهات والآباء أو في كنيستكم. اكتشفوا ماذا يفعلون وما هي الأمور التي تواجههم وما هي مشاعرهم. راقبوا ما يفعله آباء وأمهات آخرين تعتقدون أنهم يقومون بعمل رائع في تربية أولادهم. اطرحوا عليهم الأسئلة – واصغوا لإجاباتهم.

إن استمرّيت بالبحث ستجد عونا. ستتعلّم أمورا يمكنك تطبيقها مهما كان عمر أولادك، سواء كانوا أطفالا أم مراهقين. ما زالوا بحاجة إلى تربية إيجابية. ما زالوا بحاجة إلى القبول والتقدير وكلّ الأمور الأخرى.

أنا الأب أخذت دور الأم—مرة بعد مرة

أينما أذهب أحاول أن أخبر الآباء والأمهات أن المهمة التي يقومون بها هي ضخمة، وأنها تتضمّن كلّ أنواع الحالات الطارئة والتحديات. منذ بضعة أشهر، تذكّرت كم أن هذه المهمة هي ضخمة، خاصة بالنسبة إلى الأمهات.

عرضت على دوتي هدية مميزة ومختلفة بمناسبة عيد ميلادها. عرضت عليها بأن ألعب دورها لمدة عشرة أيام بينما تذهب لتزور والدَيها وأخيها وأختها في فلوريدا. فرحت دوتي جدا بهذا العرض لأنها أرادت حقًّا ان ترى عائلتها وكانت بحاجة إلى فترة من الراحة.

اتّفقنا بأن تذهب معها ابنتنا هيذر البالغة من العمر ثلاث سنوات إلى فلوريدا، وقد اشتريت لهما بطاقتي سفر بواسطة النقاط التي جمعتها خلال سفري. بقيت مع كالي البالغة من العمر خمسة عشر عاما، وشون البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما، وكاتي البالغة من العمر تسع سنوات. بقينا سويا لمدة عشرة أيام في بيت متنقّل كنا قد انتقلنا إليه منذ ثمانية أشهر. بعنا بيتنا، وبينما كنا نقرّر أن نشتري أو أن نبني بيتا، انتقلنا إلى بيت متنقّل، حيث كانت ظروف الحياة فيه غير مُريحة جدا.

قالت دوتي: "على الأقل سيتّسع البيت لكم بغيابي وغياب هيذر."

تنهّدت قائلا: "نعم، لكن أرجو أن أكون قادرا على المحافظة على نظافة وترتيب المنزل. أمامي موعد نهائي للانتهاء من كتابة أحد كتبي، ومع وجود الأولاد، لست متأكدا إن كنت قادرا على التعامل مع كلّ شيء بطريقة مثالية."

قالت لي دوتي مؤكّدة: "ستكون على ما يُرام. ولا تقلق إن كان البيت غير مرتّب قليلا عندما أعود. أشعر أنه عليّ أن أذهب وأزور والديّ!"

كنت متردّدا أن ألعب دور الأم لمدة عشرة أيام، لكني أردت في الوقت نفسه أن تذهب دوتي لزيارة ذويها. أردت أيضا أن أستغلّ هذه الفرصة لكي أعزّز مشاعر أولادي بالأمان من خلال تذكيرهم أن والدهم يحب والدتهم جدا. أردت من أولادنا أن يروْا كيف أحاول تطبيق المبدأ الكتابي القائل: "أيّها الرجال أحبّوا نساءكم..." (كولوسي ٣: ١٩). بعد أن تكلّمت مع دوتي عن الرحلة، جلست مع الأولاد الثلاثة، مع كلّ واحد منهم على حدة، وشرحت لهم لماذا تحتاج دوتي أن تذهب إلى فلوريدا.

قلت لهم: "أنا أحبّ والدتكم كثيرا، وأنا أعلم أننا سنشتاق إليها كثيرا، لكني أعتقد أنه آن الأوان لكي تأخذ فرصة. هي بحاجة أن ترى والدَيْها، وأعتقد أنه حين ألعب دور الأم لبضعة أيام سأعبّر لها بذلك عن مدى حبّي لها. من الجيّد أن تذهب، لكني بحاجة إلى مساعدتكم لكي ينجح هذا المشروع."

هزّ شون رأسه إيجابا وكذلك فعلت كالي وكاتي والتزموا أن يساعدوا بأي طريقة ممكنة. حين رأيت "اللائحة" التي كتبتها دوتي لكي تذكّرني بكل الأمور التي يجب أن أقوم بها، فرحت جدّا إذ التزموا بمساعدتي!

الأب الذي يلعب دور الام يبدأ بتنفيذ لائحة المهام الموكلة إليه

قالت لي دوتي ببهجة: "أنا أحافظ عادة على هذه اللائحة في رأسي،" بينما كانت تعطيني عدة لوائح وهي في طريقها إلى الطائرة. "فكّرت أنك ستحتاج إلى مساعدتي لكي تبقى الأمور كما هي."

الأمر الأول على اللائحة هو إيقاظ الجميع عند الساعة السادسة والنصف لكي يستعدوا للذهاب إلى المدرسة. فكّرت في نفسي قائلا إن هذا الأمر لن يكون صعبا، إذ سأصحو عند الساعة الثانية والنصف كلّ صباح لكي أنهي كتابي في جميع الأحوال.

لكن الأمور التي تلت بدأت تصبح أكثر صعوبة. مثلا، طعام الغذاء: نصف شطيرة، بعض الفواكه، ووجبة خفيفة لكل واحدة من الفتيات... أيضا عليّ شراء العصير...

قلت في نفسي: "سأحضر وجبات الغذاء في الليلة السابقة"، ثم تابعت قراءة واجباتي الأخرى المتعلّقة بالمدارس. هناك ثلاث مدارس مختلفة وثلاثة أوقات مختلفة، لكني قلت في نفسي إني سأجد لذلك حلا بعد أن نتناول طعام الفطور.

آه، ماذا عن الفطور؟ أحد الأمور التي لا يفعلها الأب هو الطهي الكثير، لذا سأضع بعض الحبوب في طاسة مع حليب بارد أو نأكل الفطور في أحد المطاعم. انتهى بنا الأمر ونحن نتناول طعام الفطور في أغلب الأحيان في أحد المطاعم الرخيصة.

أوصلت الأولاد مرّة إلى المدرسة، وكان عليّ أن أكون مستعدًا لاحضارهم بعد الظهر. كان من السهل إحضار كاثي لأنها لم تكن مشتركة في أي برنامج رياضيّ في ذلك الوقت. كان عليّ فقط أن آخذها إلى صفّ الخياطة يوم الأربعاء. إحضار شون وكالي كان أمرا أصعب بكثير، إذ كانا مشتركَيْن في فريق كرة السلة وكانا يتدرّبان كلّ يوم بعد المدرسة. في الواقع، كان شون مشتركا في فريقَيْن، وكان عليه أن يتدرّب في مكانَيْن مختلفين من المدينة.

آه، نعم، بالإضافة إلى تدريبهما في كرة السلة، كانا سيشتركان في مباراة - كان على شون أن يلعب ثلاث مباريات، وكان على كالي كما أذكر أن تلعب على الأقل مباراتَيْن. كانت أغلب المباريات تجري في جوليان، لكن كان على شون أن يلعب لعبة واحدة في رامونا. استطعنا أن نذهب إلى كلّ هذه المباريات وبدأت الطرقات عبر الجبال والمدن تُصبح مألوفة لديّ.

أستطيع الآن أن افهم لماذا دوتي تدعو نفسها سائقة تاكسي، وكنت أفكّر بهذا حين أوصل الأولاد وأصدقاءهم. ذكّرني هذا بمُلصق رأيته ذات مرة كُتب عليه: "إن كان مكان المرأة هو البيت، فلماذا هي موجودة في السيارة؟"

بعد ذلك كان عليّ أن أهتمّ بالعشاء. أكرّر، الأب لا يطهو، فكنت أطلب من كالي أو شون أن يحضّرا العشاء، وإلا كنا نخرج لتناول العشاء خارجا. خرجنا عدّة مرات. مرّة طبخ الأولاد المعكرونة (وكانت شهية أيضا) وكنا في الليالي الأخرى نرضى بالطبخ في المايكروويف (وكان الطعام المطبوخ فيها شهيًا أيضا).

بعد العشاء، يأتي دور الواجبات المدرسية، أو كان عليّ أن أوصل الأولاد إلى اجتماع الشبيبة في الكنيسة. كان يذهب شون ليلة الثلاثاء، وكانت تذهب كالي ليلة الأربعاء. هنا أيضا يأتي دور الاب كسائق تكسي. لحسن الحظ، كانت الكنيسة تبعد ميلا واحدا عن منزلنا.

كان وقت النوم بحدّ ذاته يشكّل تحدّيا. كان لكل واحد منهم وقتا معيّنا للنوم. كانت كالي تسهر كبوم الليل، وكانت آخر من يذهب إلى الفراش، وكانت تجد صعوبة بأن تصحو في الصباح التالي. كان شون ينام باكرا في أغلب الليالي، وكان يصحو نشيطا في اليوم التالي. لم تكن كاتي مثل كالي ولا مثل شون، إذ كانت أحيانا تنام باكرا وفي أحيان أخرى تنام متأخرة وذلك يتعلّق بالأمور التي كانت تقوم بها كلّ ليلة.

ماذا عن الأب الذي يلعب دور الأم؟ أمامي موعد نهائي وكان علي أن أصحو عند الساعة الثانية والنصف للكتابة، وقبل أن أنام، كان عليّ أن أجهّز الغذاء لليوم التالي، وكان عليّ أن أجهّز ثياب الأولاد. كنت دائما أظنّ أن الأولاد يلبسون ثيابهم بأنفسهم، لكني أدركت أن الأمر ليس كذلك حين لعبت دور الأم. هناك ثياب تتناسب مع ثياب أخرى، كان ابنتي تفضّل هذه على تلك، وطبعا، هناك ألوان تتناسب مع ألوان أخرى، وأخرى لا تتناسب معها.

كان عليّ أن أتأكد من أنّ كلّ هذه الأمور متوفّرة لهم، وهذا يعني أنه كان عليّ أن أغسل الثياب أيضا. في الواقع، كنت أغسل الثياب عدّة مرات. وبينما كنت أضع مسحوق الغسيل بكرم في الغسالة، كنت أتعجّب كيف يمكن لعائلة واحدة أن تستخدم كلّ هذا المسحوق بسرعة - علما أن اثنتين من أفراد العائلة كانتا خارج البيت!

في منتصف مهمتي في دور الأم، أدركت فجأة كم كانت دوتي حكيمة حين قرّرت أن تأخذ هيذر معها.

تساءلت بصوت عال: "ماذا كنت سأفعل لو كان عليّ أن أهتمّ أيضا بطفلة في الثالثة من عمرها؟" قرّرت بأن لا أفكّر في الموضوع.

من الروتين إلى الأزمة

بينما كان الأسبوع يمضي، بدأت الأمور تتأزّم بالنسبة للأب وهو يلعب دور الأم. ذات ليلة، جهّزت شطائر الغذاء، ووضعتها في أكياس، وهنّأت نفسي على السرعة القياسية الجديدة. لكن في الصباح التالي، بينما كانت الفتيات تنظرن إلى أكياسهنّ، سمعتهن يقلن: "أين طعامي؟"

ثمّ نظر شون في كيسه وقال: "واو! هذا طعام كثير لي لهذا اليوم!" ثمّ تبيّن أني وضعت كلّ الشطائر في كيس شون!

بعد عدّة أيّام، بدأ الأولاد يقولون: "لا بأس بذلك يا أبي، سأجهز طعام الغذاء بنفسي." لم أعرف كيف أفهم ذلك، فهل كانوا يحاولون مساعدتي، أم هل كانوا يوصلون إليّ رسالة ما؟ كنت أعتقد أني أقوم بعمل رائع وأنا أجهز طعام الغذاء لهم، لكن كما سمعت أحدهم يقول ذات يوم: "يمكنك أن تخدع مخادعا، ويمكنك أن تتحامق على الأحمق، ولكن لا يمكنك أن تغشّ طفلا." منذ ذلك الحين بدأت أسمح لهم أن يجهّزوا غذاءهم بأنفسهم وكان الكلّ سعيدا بذلك - حتى أنا.

لم أذق فقط طعم الروتين المُتعب الذي كانت دوتي تختبره كلّ مرّة أذهب فيها برحلة طويلة، لكني اختبرت "أزمة خاصّة" أيضا. يبدو أن الأسبوع الذي اخترته لكي ألعب دور الأم كان الأسبوع الذي فيه يستعدّ شون لكي يقدّم مشروعه في معرض الأبحاث العلمية السنويّ.

ذات يوم، قدّم لي شون لائحة بالمواد والأجهزة والأدوات التي يحتاجها لمشروعه، ومعظمها موجود في سان دياغو، وهي مدينة تبعد سبعين ميلا. لم يكن أمامي إلا خيار واحد. رتّبت الأمور لكي أخرج شون من المدرسة يوم الثلاثاء وذهبنا بالسيارة إلى سان دياغو واشترينا كلّ ما كان بحاجة إليه، وعدت بالوقت المحدّد لكي أنجز مهامي الأخرى أيضا.

لكن لم يكن هذا كلّ ما نحن بحاجة أن نفعله لكي يجهّز شون مشروعه لمعرض الأبحاث العلمية. كان هناك تقارير متنوّعة واختبارات يجب أن تُطبع. أنا أقرّ أني انسحبت من هذه المهمّة وطلبت من سكرتيرتي أن تساعده. لم يكن معي وقت بكل بساطة لأن الموعد النهائي لتسليم كتابي بدأ يقترب وكان عليّ أن أستمرّ بالكتابة.

بطريقة ما استطعنا أن نجهّز كلّ شيء وتنفّست الصعداء. سيبدأ معرض الأبحاث العلمية بعد يوم واحد من عودة كالي، وكنت أعلم أنها تودّ أن تذهب إلى المعرض. لقد رأيتها تساعد في التحضير لمعارض علمية أخرى في السنوات الماضية بسهولة، لكن بالنسبة إليّ كانت المهمّة شاقّة جدا. كان الأب الذي يلعب دور الأم يتعلّم أكثر ما معنى أن يكون الإنسان بطلا لأولاده.

الأب الذي يلعب دور الأم يواجه تحدّيه الأكبر

بينما كان يوم عودة دوتي يقترب، أدركت بأن خبر عودتها سيكون خبرا سعيدا وحزينا في الوقت نفسه. ستعود زوجتي، وسيرتاح الأب الذي يلعب دور الأم من بعض مهامه. لكني بينما كنت أتأمّل أرجاء البيت، أدركت الأخبار الحزينة. بسبب كلّ الأمور التي كنت أقوم بها مع الأولاد والاستمرار في كتابة كتابي، اتّسخ البيت وأصبح منطقة كوارث.

كنت في موقف محرج. نظرت إلى رزنامتي ولاحظت أنه عليّ تسليم كتابي يوم الجمعة، كما لاحظت أني سأقضي نهاية أسبوع خاصة مع الأولاد وأصدقائهم. لقد اتّفقنا على هذا الموعد منذ أشهر ووعدت أولادي أنه بالإمكان إحضار صديق واحد لكل واحد منهم.

أنا أحب دائما أن أكون بطلا لأولادي ولأصدقائهم، لكن هذه المرّة من الواضح أني اخترت نهاية أسبوع غير مناسبة لأفعل هذا. كنا سنذهب من يوم الجمعة حتى يوم الأحد، ومن المقرّر أن تعود دوتي مساء الأحد، فكيف سنستطيع ترتيب المكان قبل أن تعود؟

دعوت الأولاد باكرا صباح الخميس لعقد اجتماع طارئ: "أمامنا مشكلة يا أولاد. البيت في وضع سيء ووالدتكم ستعود يوم الأحد. عليّ أيضا أن أستمر في الكتابة وعليكم أن تذهبوا إلى المدرسة، وليلة الجمعة سنذهب في عطلة نهاية أسبوع مميزة مع أصدقائكم إلى الشاطئ. لا يمكننا أن نذهب إلى الشاطئ والبيت في هذه الحالة، أليس كذلك؟ بدا على ثلاثة منهم أننا لا نستطيع بالفعل أن نذهب إلى الشاطئ.

"ومن الواضح أنه لا يمكننا أن نُبقي البيت في حالته هذه قبل عودة أمّكم. أنا أحب والدتكم جدا، وأعلم أن أحد أعظم الأمور التي يمكننا أن نفعلها هو أن نرتّب المكان ترتيبا كاملا. إذا، هل تعرفون أحدا من أمّهات أصدقائكم من يجيد تنظيف وترتيب المنزل؟ أنا أعرف أنه لا يمكن مفاجأة والدتكم أكثر من أن تعود إلى بيت نظيف."

لم أحصل على إجابة واضحة منهم، وبعد أن أوصلتهم إلى المدرسة، بدأت أجري بعض الاتصالات الهاتفية. أخيرا، أخبرني أحد الأشخاص في كنيستنا عن سيدة وصلت

مؤخّرا إلى المدرسة وهي تعمل في مجال تنظيف البيوت. قيل لي إنها تعمل بشكل رائع، فاتّصلت بها واخبرتها بمشكلتي.

قالت لي: "يبدو أني بحاجة أن أعمل يومين على الأقل، وإن أردتني أن أحضر أدوات التنظيف بنفسي، عليك أن تدفع لي ٣٥$ إضافيا."

أجبتها: "يا سيدتي، لا أعرف أصلا ما هي الأدوات التي يجب أن أشتريها. اشتريها أنت وسأراك غدا صباحا."

وصلت السيدة صباح الجمعة وأريتها المنزل. لم يُفاجئها المكان وبدأت تعمل وذهبت إلى مكتبي في مركز جوليان أتابع كتابة كتابي.

انتهيت من الكتاب بعد ظهر يوم الجمعة، ولاحظت أن السيدة أنهت الكثير من أعمالها. بدأت أرضية المنزل تظهر للعيان بعد أن رفعت كلّ شيء عنها. اعطيتها مفتاح المنزل وذهبت أحضر الأولاد من المدرسة لكي نذهب إلى الشاطئ.

حين عدنا يوم الأحد، مررت بمنزل السيدة لأعرف كم ترتّب عليّ لكي أدفع لها. لم نتّفق على كلفة معيّنة، ولم أكن أعرف أبدا أي شيء عن أجرة تنظيف المنازل. بدا أني سأتعرّض لصدمة بعد قليل.

قالت لي: "قضيت اثنين وعشرين ساعة يومي الجمعة والسبت، وبالإضافة إلى مساحيق التنظيف يترتّب عليك ان تدفع لي مئتين وخمسين دولارا."

مددت يدي إلي جيبي والغصّة في قلبي، وأدركت أن دوتي قضت ساعات طويلة تقرأ كتبي وتنقّحها، وأن ما فعلته سيكون فرصة رائعة لأعبّر لها عن مدى امتناني وشكري لها.

بينما كنا عائدين، لاحظ الأولاد أنني لم أكن عائدا إلى المنزل، بل كنت متّجها نحو منزل ديك وشارلوت داي.

أرادوا أن يعرفوا: "لماذا نحن ذاهبون هناك؟"

"لأنكم ستبقون معهما إلى أن تصل أمكم. لن أخاطر بأن تعودوا إلى البيت وتُخربوا المكان."

"آه، يا أبي، هيا بنا، سنكون حذرين. سنجلس في غرفة العائلة وسنستخدم الحمام بضع مرّات."

أجبتهم قائلا: "لا، لن تفعلوا هذا. عليكم أن تبتعدوا عن المكان. سأضعكم في منزل ديك وشارلوت إلى أن تعود والدتكم.

كنت قد اتّصلت مسبقا بشارلوت وتكلمت سريعا لأقنعها بأن تأخذ الأولاد فترة بعد الظهر والمساء. ثم تبيّن لي أنها كانت ترتّب بيتها لاستقبال مجموعة كبيرة لعقد اجتماع في بيتها. كالعادة، أنقذني ديك وشارلوت مرة أخرى من مشكلتي.

أوصلت الأولاد وشكرت ديك وشارلوت بحرارة، ثم توجّهت إلى سان دياغو لكي أحضر دوتي وهيذر من المطار. لم أسعد أبدا في حياتي لدى رؤيتي لأحدهم يخرج من الطائرة مثل هذه المرّة! بينما كنا عائدين، أخبرتني دوتي كم أنها تقدّر رحلتها وكم كان وقتها رائعا مع عائلتها.

ثم أضافت قائلة: "أعلم يا جوش أن بعض الفوضى تعمّ منزلنا، لكن لا تقلق. أنا أقدّر جدا ما فعلته - وانا فرحت جدا برحلتي ورؤيتي أهلي. لذا، إن كان علي أن أنظّف المنزل قليلا فأنا اتفهّم ذلك."

لم أدع وجهي يُظهر المفاجأة التي جهّزتها لها وقلت لها: "دوتي، يا حبيبتي، أنا متأسّف أن أقول لك إن البيت تعمّه الفوضى قليلا. حاولت أفضل ما عندي، لكني لم أقدر أن أفعل أفضل من ذلك."

"آه، لا بأس يا جوش، سأرتّب كلّ شيء بأسرع وقت."

كانت دوتي تتكلّم بكل شجاعة، لكنها قالت لي لاحقا أنها كانت تتساءل ماذا يمكن لزوجي الكاتب غير المرتب ومُراهقَيْن وولد في التاسعة من عمره أن يفعلوا ببيت متنقّل خلال عشرة أيام. الرب وحده يعلم لكنها كانت تحاول فقط تقدير الحالة.

حين وصلنا إلى البيت، دخلت دوتي المنزل ورأت كلّ شيء نظيف ومرتّب ويلمع. بقيت تقول لمدة ثلاثين ثانية: "واو، ما أجمله." وكان هذا يساوي كلّ سنت من

المئتين وخمسين دولارا التي كنت قد دفعتها للسيدة التي نظفت المنزل. بدأت هناك أفكّر بالخطوط العريضة لكتاب جديد بعنوان: "كيف تكون بطلا لزوجتك."

فجأت أدركت دوتي غياب الأولاد وسألتني: "أين الأولاد؟" أرادت أن تعرف أين هم.

أجبتها بابتسامة عريضة: "إنهم عند ديك وشارلوت. لم أشأ أن يُخربوا المكان قبل أن تعودي أنت لتريه هكذا."

ذهبنا وأحضرنا الأولاد بعد ذلك وعدنا إلى البيت. حين رأت كالي البالغة من العمر خمسة عشر عاما، والتي تكره تنظيف المنزل، كم أن البيت جميل وبرّاق، علّقت قائلة: "واو! يا أبي، إن أمي محظوظة جدا لتتزوج منك!"

تعليق كالي جعلني أشعر بالراحة طبعا—من الجيد أن يُقال لك إنك بطل. لكني كنت سعيدا أكثر لأن كالي كانت قادرة أن تجمع الأجزاء معا لتصل إلى هذا الاستنتاج. لم أنظف البيت بمبلغ كبير من المال لأني خفت من غضب دوتي، بل نظفته لأني أحبّها وكنت أعلم أن هذا الأمر سيجعلها تشعر بالرضى. مرّة أخرى، أنا أضيف حائطا قويا في بنيان شعور أولادي بالأمان (من دون ذكر بنيان زواجي).

قلت لكالي لاحقا: "أنا أقدّر حقّا ما قلتيه لأمّك بأنها محظوظة بزواجها مني، لكني أريدك أن تعرفي بأني أنا هو المحظوظ بزواجي من أمّك، وعندي الامتياز أن أكون والدا لكم."

الأب الذي يلعب دور الأم يتعلّم الكثير عن بناء العلاقات

كانت هذه قصتي وأنا ألعب دور الأم. لم تكن قصّة يمكن من خلالها انتاج برنامج مثل برنامج "كوسبي" أو "آل سمبسون" لكني أؤكّد لكم إنها كانت قصّة مثيرة بشكل كاف بالنسبة إليّ. والأفضل من كلّ هذا، تعلّمت أمورا كثيرة عن التحديات التي تواجهها دوتي والتي لم أكن أفهمها من قبل. لقد اختبرت اختبارا شخصيا كم يكون عملها متعبًا أحيانا.

على الرغم من كلّ الانشغالات التي قمت بها في الأيام العشرة، كانت تلك الأيام التي قضيتها مع ثلاثة من أولادي رائعة. لقد ارتبطت بهم في إطار مختلف قليلا وأنا ألعب دور الأم، وما حدث أعطى معنى لتلك الكلمات التي غالبا ما أردّدها: "القوانين من دون بناء العلاقات تؤدّي إلى التمرّد."

هناك شيء ما يتعلّق بالمحافظة على الروتين والبرنامج ومتطلّبات الحياة اليومية يجعلك تُدرك أن البيت يحتاج إلى القوانين وكم أن بناء العلاقات هامّ للمحافظة على سير الأمور بسلاسة.

قال الملك سليمان مرّة في سفر الأمثال:

> **"يَا ابْنِي، احْفَظْ وَصَايَا أَبِيكَ وَلاَ تَتْرُكْ شَرِيعَةَ أُمِّكَ. أُرْبُطْهَا عَلَى قَلْبِكَ دَائِمًا. قَلِّدْ بِهَا عُنُقَكَ. إِذَا ذَهَبْتَ تَهْدِيكَ. إِذَا نِمْتَ تَحْرُسُكَ، وَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَهِيَ تُحَدِّثُكَ. لأَنَّ الْوَصِيَّةَ مِصْبَاحٌ، وَالشَّرِيعَةَ نُورٌ، وَتَوْبِيخَاتِ الأَدَبِ طَرِيقُ الْحَيَاةِ" (أمثال ٦: ٢٠-٢٣).**

كانت هذه نصيحة رائعة. فهم سليمان الحاجة للقوانين والحاجة بأن يطيع الأولاد آباءهم. لسوء الحظ، لم يكن ناجحا في بناء علاقاته وكان عليه أن يدفع ثمن ذلك – سفر الأمثال الذي كتبه مليء بها. النوايا الحسنة لا تُصبح دائما واقعا ما لم تستمرّ بالسعي إلى ذلك.

تذكّر، الأمور الكبيرة ليست هي الأهم، بل الأمور الصغيرة التي تقوم بها يوما بعد يوم. لا تستسلم أبدا. هناك قيمة معيّنة لكل ما تفعله. لا تتوقّف أبدا بأن تكون بطلاً لأولادك!

ملحق

صندوق أدوات البطل (أفكار إضافية لنشاطات يمكنك القيام بها مع أولادك)

التالي هو مجموعة من النشاطات والتقنيات الإضافية التي استخدمناها وما زلنا نستخدمها، لكي نقضي أوقاتا قيّمة مع أولادنا بينما نترك معهم ذكريات ذات معنى.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

ذكرى خاصّة قمنا بها في أحد الفصح وهي عبارة عن رحلة إلى **Laguna Beach**، حيث قمنا ببناء قلاع رملية، لكنها لم تكن قلاع رملية عادية. قبل أن نبدأ، قرأنا كلّ قصّة أسبوع الآلام من الكتاب المقدس. كلّ واحد منا قرأ جزءا منها ومثّل الشخصيات الموجودة فيها، ثم قمنا ببناء كلّ مشاهد أسبوع الآلام في الرمال - الصليب، والقبر، والحجر. صنعنا جسما من العيدان وربطناها مستخدمين الأعشاب البحرية. صنعنا جبل الجلجثة وغرزنا في أعلاه ثلاثة صلبان. كان هناك تفاصيل كثيرة في هذا المشهد وقد قمنا باستخدام الرمال وقطع أخشاب صغيرة عائمة والأعشاب البحرية فقط.

لم ينسَ الأولاد أبدا هذا النشاط، وقد عدنا بعد سنة أو سنتين وقمنا بالنشاط نفسه. لم يساهم النشاط في قضاء وقت رائع معا فحسب، لكنها كانت طريقة رائعة بالنسبة إليّ ودوتي لكي نعلّم أولادنا أحد أهمّ أجزاء الكتاب المقدس. والآن، بما أن هيذر أصبحت كبيرة كفاية لكي تفهم وتقدّر قصّة الفصح، نحن نخطّط لكي نذهب معها ونعيد الأمر نفسه.
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

~~~~~~

في مناسبة أخرى، خرجت واشتريت عدسة مكبّرة وقلت للأولاد: "لنذهب جميعا إلى الشاطئ."

كان بإمكاني أن أقول لهم: "لنذهب إلى عالم ديزني،" أو مكان آخر مثله، لأن الأولاد يحبّون سلطعون الرمال وكل الكائنات الأخرى التي تعيش على الشاطئ. وصلنا ووجدنا أنواعا كثيرة من سلطعون الرمال والحشرات وأمورًا غريبة أخرى.

قضيت مع الأولاد ساعة ونصف الساعة ونحن نمرح معا. كنا نثرثر ونتحدّث ونتسلّى. في الوقت نفسه كنتُ أربط الأمور بعضها ببعض وأتكلم عن خليقة الله وكيف أنه خلق كلّ الكائنات الحية بطريقة فريدة. ثم قلت لهم: "أنت يا بني فريد من نوعك، وأنتِ يا ابنتي فريدة من نوعك. لقد خلقكما الله مختلفَين عن إي إنسان آخر."

كنا نفعل كلّ هذا ونحن ننظر من خلال العدسة المكبّرة التي اشتريتها من متجر محليّ للسلع الرخيصة. نظرنا من خلالها إلى حشرة لمدة طويلة وأعتقد أن الحرارة شوتها، لكننا قضينا وقتا رائع - كانت هذه ذكرى لن ينسوها أبدا.

~~~~~~

ذكرت في الفصل ١٢ من هذا الكتاب بعض الأسئلة التي يمكن أن تطرحها على أولادك لكي يشاركوا بمشاعرهم وبالأمور التي يفكّرون بها. إليكم بعض الأفكار الإضافية: "متى تسلّيت أكثر من أي وقت آخر؟ متى شعرت بالاحراج أكثر من أي وقت آخر؟ متى بكيت أكثر من أي وقت آخر؟ متى تعبت أكثر من أي وقت آخر في حياتك؟ أين كنت حين شعرت بالتعب؟"

سؤالان آخران جميلان: "متى شعرت أنك أقرب إلى الله أكثر من أي وقت آخر؟ متى تشعر أنك بعيد عن الله؟"

سؤال آخر ممتع هو: "إن دعوت يسوع إلى العشاء الليلة، ماذا سترتدي؟" كنا في المرة الأولى الذي طرحت فيها هذا السؤال جالسين حول طاولة العشاء وطلبت من كلّ واحد منهم أن يخبرني ماذا سيرتدي. ثم تكلّمنا عن أي وجبة نتناولها معه. كان من المثير الاستماع إلى الأولاد وهم يضعون قائمة بأفضل أطباقهم. ثم سألتهم من

هو الشخص الذي سيدعونه لكي يتناول العشاء معهم ومع المخلّص. اختاروا كلّهم واحدا من أصدقائهم غير المؤمنين لأنهم كانوا متأكدين أن صديقهم هذا "سيُصغي إلى يسوع."

قمت أنا ودوتي بتمرين آخر مع الأولاد حيث كنا نطلب منهم "إكمال جزء من مثل أو قول قديم." كان بعض هذه العبارات: لا تضع كلّ... لا تعضّ اليد ... إن لم تنجح في البداية..." وكانت العبارة المفضلة لديهم: "يجب رؤية الأولاد و..."

حين تأخذ عائلتك الى السيرك، اسألهم وهم خارجين، "أيها الأولاد، ما هو المشهد أو من هو الممثل الذي يصفك بشكل أفضل ولماذا؟" أو اذهب إلى معرض قروي واسألهم: "ما الحيوان الذي رأيته اليوم ويصفك بطريقة أكثر من غيره ولماذا؟"

سؤال آخر: "لو كنت قادرا على زيارة أي مكان في العالم كنت ..." ثم دعهم يُنهون هذه العبارة. يوجد عبارات كثيرة كهذه يمكنك استخدامها، مثلا: "لو كان معي مليون دولار، كنت ... لو كنت قادرا أن أطرح سؤالا واحدا على الله، سأسأله... لو كان لي عصا سحرية، كنت سأتمنى أن يكون لي..."

أحيانا، في طريقي الى المدرسة، أقول للأولاد: "أريد من كلّ واحد منكم الليلة أن يشاركني بثلاثة أمور يشكر الله عليها ونحن نتناول العشاء. أو أخبرنا عن ثلاثة أشخاص شكرتهم اليوم ولماذا شكرتهم."

نفعل هذا مرة بعد مرة، وابنتنا الصغيرة هيذر تشاركنا بأمر واحد، بينما ابنتنا الأكبر كالي تشاركنا بأربعة أمور أو خمسة. عادة، أنا دوتي نشاركهم باختبارين أو ثلاثة.

لقد علّمني أولادي أني أستطيع أن أتعلّم الكثير بواسطة المرآة الخلفية للسيارة. مرّة، اتّصلت بالبيت بينما كنت أقوم برحلة، وبينما كنت أتكلّم مع دوتي، عرفت أن على شون أن يأخذ مشروعه إلى معرض علمي في اليوم التالي.

سألت دوتي: "هل تعتقدين أني أقدر أن أصطحب الأولاد إلى المعرض؟"

"أعتقد أنه يوجد سائقون كفاية، لكن من يدري."

بعد أن أنهيت اتصالي مع دوقي، اتّصلت بمعلمة شون وسألتها إن كنت استطيع ان أقود باصا صغيرا لأصطحب أولادا إلى المعرض. تبيّن لي أنه لم يكن لديهم عددا كافيا من السائقين وفرحت بعرضي. عندما عدت من رحلتي تلك الليلة، كنت مُتعبا، لكني قطعت وعدا. ذهبت وأقمت شون من فراشه في منتصف الليل وسألته عمّا سيحدث يوم غد.

قال لي وهو يشعر بالنعاس: "سنأخذ مشاريعنا إلى المعرض العلمي."

سألته: "هل تحبّ أن أصطحبك بنفسي؟" وكنت أتساءل كيف سأجد قوّة ونشاطا في الصباح لكي أصحو باكرا وأقود باصا مليئا بالأولاد إلى سان دياغو.

"هل ستفعل هذا يا أبي؟"

ابتسمت وقلت لشون: "لقد سبق وتكلّمت مع معلّمتك، وطلبت مني أن أفعل هذا."

"واوّ هل ستحضر معك صندوق الثلج؟"

غمزته قائلا: "سنرى إن كان بالإمكان أخذه."

في اليوم التالي، أخذت الباص وكان معي شون وخمسة أولاد آخرين، وأخذت معي شيئا آخر مميزًا جعلني بطلا بالفعل. أخذت معي صندوقا وملأته بألواح الشوكلاتة وقطع حلوى أخرى.

صرخ شون في أصحابه قائلا: "هاي، أنظروا ماذا أحضر أبي لنا من حلوياتٍ. أنت الأروع يا أبي!"

أنا أعرف أن بعض الأمهات بشكل خاصّ لا يشعرن بالراحة إن أكل الأولاد الحلوى، لكني لي سببين أبرّر بهما هذا العمل. هذه هي المرة الوحيدة التي أقدّم لهم هذه الكمية من الحلويات، وحين يجلس أولادي في المقعد الخلفي ليأكلوها، أبدأ بتحقيق هدفي الأساسي—أراقبهم بواسطة المرآة الخلفية وأصغي لأحاديثهم. ما أحاول أن أفعله هو مشاهدة شون وردة فعله مع أصحابه. كيف هي علاقته مع أصدقائه؟ ما هي الأمور التي يتحدّثون عنها وكيف يتصرّفون مع بعضهم؟

هل شون متكبّر؟ هل هو خجول؟ هل يشارك ما معه مع الآخرين؟

لقد تعلّمت الكثير عن أولادي وعن طريقة تعاملهم مع الآخرين حين أصطحبهم إلى مكان ما أكثر من أي مكان آخر. أخذت كالي مرّة وأصدقائها لمشاهدة فريق اللايكرز، وتوقّفنا بعد المباراة في مطعم لتناول المثلجات. حتى حين أتكلّم مع أحد الأولاد أصغي لكلّ ما يجري مع الآخرين. أحاول أن أعرف كلّ شيء عنهم، الأمور الجيدة والسيئة.

في إحدى الرحلات، سمعت صديق شون في مؤخرة الباص يقول له: "اذهب، أخبره أنك فعلت هذا." لاحظت أن صديقه يشجعه بأن يكذب عليّ، بأن يقول لي أنّه فعل شيئا ما كان يُفترض به أن يقوم به قبل أن ننطلق. حين توقّفنا في محطة للوقود، أخذت الولد جانبا وواجهته بلطف وحزم: "لم يعجبني ما قلته لشون منذ بضع دقائق."

أجابني ذلك الولد بطريقة جيدة في تلك الحالة. لقد اعتذر، ونتيجة لحواري معي "قوّم طريقه." لكن لم تكن ردة فعل أولاد آخرين في حالات أخرى إيجابية، وقد شجعت أنا ودوتي شون أن لا يطوّر علاقته بذلك الولد. أنا أعرف أن بعض الأهالي يعتقدون أن التكلّم مع أولادهم عن أصدقائهم أمر لا تجرؤ الملائكة على القيام به. لكن هذا ما أريد من الآباء الآخرين أن يفعلوه مع أولادي. كنت محظوظا حتى الآن، وأعتقد أني صنعت حظي بنفسي حين أقوم بأمور مميزة مع أولادي بينما أقودهم في رحلة عبر الجبال.

قد تقول إن قيامي بدور البطل لشون وأصدقائه يعطيني "الحق" بأن يسمعوا لي. إن رأيي بأصدقاء شون، سواء كان إيجابيا أم سلبيا، له قيمة في نظر ابني أو ابنتي.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

مبدأ أساسيّ كي تكون بطلا لأولادك وأصدقائهم هو التركيز على عالمهم وليس على عالمك. أتذكّر أني تكلّمت مع أحد الآباء الذي قال لي: "عرضت أن أصطحب ابني لكي نقضي بعض الوقت الممتع معا، لكنه لم يستمتع أبدا - المشروع كلّه باء بالفشل."

سألته: "ماذا فعلت معه."
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

أجابني الأب بإصرار: "حسنا، أنا أحب لعبة الغولف، فذهبنا معا نلعب الغولف، لكن تبيّن لي أنه يكره هذه اللعبة. أعتقد أن المشكلة كانت تكمن هنا."

لقد حدث هذا بالفعل – أنا لم أخترع هذه الرواية! أراد هذا الوالد أن يقضي وقتا مع ابنه لكن بحسب شروطه وفي الوقت الذي يناسبه. أخبرته أنه لم يكن واضحا مع ابنه. كان عليه أن يركّز على عالم ابنه وأن يفعل ما يحبّه ابنه إن أراد أن يبني أي نوع من العلاقة مع ابنه.

يتطلّب التركيز على عالمهم وقتا طويلا – وقد يكون الأمر مزعجا جدا – لكن يمكن أن يكون الأمر ممتعا أيضا. أنا دائما أسأل نفسي: "ما الأمر الذي ينشغل به شون حاليا؟ ما هو الأمر الذي تهتمّ به كالي خلال هذه السنة الدراسية؟ ما هو بالنسبة لكاثي؟ وكيف هو الحال بالنسبة إلى الصغيرة هيذر؟ ما هو شكل عالمها الآن يا تُرى؟

ما زلت أتذكّر حين كان شون ولدا صغيرا وكيف كان يحبّ سوبرمان. في الواقع، كان يلبس قناع سوبرمان في كلّ مكان يذهب إليه. كان أيضا يحب Linus وبطانيته! إن أردنا أن نعاقب شون، كلّ ما كان علينا أن نفعله هو أن نأخذ قناعه منه. كان الأمر يشبه قصّ شعر شمشون. لم تكن الحياة تعني له أي شيء من دون قناع سوبرمان!

كان سوبرمان ينافسني، فقرّرت أن أقرأ عن شخصيته. اشتريت مجموعة من المجلات الكرتونية حول سوبرمان، وبعد فترة أصبحت أعرف كلّ شيء عنه تماما كشون. قدّمت هذه المجلات لشون وكانت كالكنز بالنسبة إليه. لم تطُل مرحلة سوبرمان كثيرا، لكنه بينما كان يمرّ في تلك المرحلة، قدّمت أفضل ما عندي لألعب دور Clark Kent وقد كان الأمر ممتعا.

بعد سنوات قليلة، حين أصبح شون في سنّ العاشرة، أصبح اهتمامه الأكبر بالسيارات الرياضية. السيارات الغالية الثمن، كسيارات Mazzerattis وLamborghinis وFerrari Testerozas. كنت أرى شون يجمع صورا لهذه السيارات من المجلات وإعلانات الجرائد، وكان اهتمامه شديدا بها فعرفت ما ينبغي أن أفعل.

أخذت دليل التلفون وتعرّفت على بعض وكلاء السيارات الرياضية في بفرلي هيلز. ثم أرسلت رسالة إلى كلّ وكيل كتبت فيها التالي:

أنا والد يائس مستعدّ أن أفعل أي شيء لكي أقضي وقتا مع ابني وهو يحبّ السيارات في هذه المرحلة من حياته. هل بإمكاني إخراجه ذات يوم من المدرسة وإحضاره إلى صالة عرض السيارات لكي نقود بعض السيارات؟ سأكون صريحا معك منذ الآن، أنا لست مهتمّا بشراء سيارة.

لدهشتي، وصلني ردّ إيجابيّ من كلّ الوكلاء. اتّصلت وحدّدت موعدا لنا ثم ذهبنا بالسيارة إلى بفرلي هيلز (كانت المسافة إلى هناك حوالي ١٥٠ ميلا) لكي نقضي يوما في صالات عرض السيارات الرياضية. ويا له من يوم رائع. خرج شون وحده في أغلب السيارات الرياضية وكان سائق يقود كلّ واحدة منها. حين كان يعود شون الى صالة العرض، كان يلوّح لي بيده—كان فخورا جدا.

بالإضافة إلى هذه المغامرة، جمع شون صورا كبيرة، وكان يحمل بعضها توقيع سائقي سباق مشهورين. على العموم، كان يوما رائعا، وفي طريق عودتنا إلى البيت، تكلّمنا عن السيارات التي أعجبتنا، وشاهدنا معا الملصقات والكتب والصور التي جمعناها. ثم غيّرت الموضوع بلطف وبدأت أكلّمه عن الموضوع نفسه على ضوء الإرسالية العظمى.

"شون، هذه السيارات ممتعة جدا، لكنها باهظة الثمن. ما يجب أن نفكّر به هو دعوة الله لنا كعائلة..." ومن خلال هذه المقدمة استطعت أن أشرح لشون أحد أفضل الدروس عن المادية. لم أعظه، لكني أوضحت له وجهة نظري عن هذه الأمور وكيف أننا نحبّ بعض الأشياء ونستمتع بها، لكنها في الوقت نفسه غالية الثمن وهي تدخل في خانة مختلفة عن الخانة الموجودين فيها حاليا كمسيحيين وخداما للمسيح.

فهم شون ما قلته. عرف أني لم أكن أطلب منه أن يرمي الصور والمُلصقات. كان يعرف أني لا أمانع أن يستمرّ في محبّته للسيارات الرياضيّة، لكنه أصبح يعرف أكثر عن المادية والقيم قبل أن نصل إلى البيت.

بعد ثلاثة أشهر، انتهت بالنسبة إليه مرحلة السيارات الرياضية. انتقل شون إلى أمور أخرى. قد تتساءل: "هل كان الأمر يستحقّ كلّ هذا التعب والوقت؟" نعم، أعتقد أنه كان يستحقّ كلّ هذا. ويوافقني على ذلك عشرة آباء قاموا بالأمر نفسه مع أولادهم بعد أن سمعوني أتكلّم عن هذه الحادثة في أحد المؤتمرات.

النقطة هي، الرحلة إلى السيارات الرياضية هي مثل واحد عن الدخول إلى عالم الولد. حين تكون قادرا على فعل ذلك وتقبله بالتمام مع عالمه، عندها سيُصغي إليك وأنت تتكلّم عن قيمك وقناعاتك.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

مؤخّرا، بدأت كاتي البالغة من العمر عشر سنوات تهتمّ جدا بلعبة البايزبول. كانت تشاهد مباريات كثيرة مع دوتي التي هي بدورها مشجّعة كبيرة لفريق Boston Red Sox حيث وُلدت وتربّت في بوستن. أنا أخطّط أن أشتري مجموعة كاملة من بطاقات البايزبول وأقدّمها لكاتي هدية وأقول لها: "سأساعدك في جمع توقيعات بعض اللاعبين المشهورين حين أتكلّم وأعطي محاضرات في أنديتهم."

ستفرح كاتي جدا. سيكون هذا مشروعنا الجديد، مشروع نقوم به معا طالما هي مهتمّة بهم. أنا متشوّق لهذا. (أرجو أن أكون قادرا على الوفاء بوعدي لها وأن أحصل على توقيع Jose Canseco خلال المباريات العالمية!)

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

وضعت هدفا لي ولأولادي الكبار عبر السنين أن أقضي الوقت معهم في مناقشات الأحداث العالمية والمحلية وتأثيرها علينا. أحاول أن أختار الأحداث التي يمكنني أن أستشفّ منها قيما أخلاقية للحياة.

مؤخّرا، حين كنت في رحلة مع أولادي، قضيت ساعات طويلة في غرفة الفندق لكي أتكلّم معهم عن الأحداث التي تجري في الشرق الأوسط حين قام العراق باجتياح الكويت. أخبرتهم تاريخ المنطقة وما هي الأمور التي دفعت صدّام حسين لكي يفعل ما فعله، وشرحت لهم بعض الخلفيات الكتابية حول تاريخ العرب واليهود. كانت فرصة رائعة لكي أعلّم الأولاد عن الكراهية وكيف يمكن لها أن تسمّم الناس لعصور طويلة. كانت فرصة رائعة أيضا لكي أتكلّم عن الحاجة إلى الغفران.

عناوين الجرائد الرئيسية ونشرات الأخبار مليئة بالفرص "لافتداء الوقت وتعليم الأولاد" ولمناقشة أمور مفيدة مع أولادك. منذ بضع سنوات، بينما كنت في زيارة إلى المانيا، كان الرئيس الأمريكي رونالد ريغن يزور المقبرة في Bitburg، حيث دُفن حوالي

مئة جندي نازي. بعد أن وضع الرئيس رونالد ريغان الورود على قبر الجندي المجهول قال: "حان الوقت لكي نضع الحرب وراءنا. حان الوقت لكي نغفر."

ما فعله ريغن وما قاله أدى إلى غضب في الشارع الأمريكي. أظهرت الإحصاءات أن أكثر من خمسين بالمئة من الشعب كان ضده، ودعا بعض أعضاء مجلس الشيوخ والكونغرس إلى خلعه من الكرسي الرئاسيّ. على الرغم من مرور أربعين سنة تقريبا على الحرب العالمية الثانية، قال الناس إن الوقت لم يكن كاف لهذا العمل. لم يحن وقت الغفران لأن العالم قد ينسى ما حدث وقد يحدث الأمر نفسه مجدّدا.

كنت أشاهد كلّ التحاليل الإخبارية مع أولادي عن هذا الموضوع. قرأت لهم مقالا من جريدة عن Bitburg ثم قلت لهم أخيرا: "يا أولاد، لنخرج ونتناول الفطور ونتكلّم عمّا قاله السيد ريغن وما يعنيه ذلك."

ذهبت مع كالي وشون إلى Julian Cafe وناقشنا في ذلك المطعم المزدحم بالناس، حيث كان الجميع تقريبا يعرفونني ويعرفون أولادي (جوليان بلدة صغيرة جدا)، موضوع زيارة الرئيس ريغان إلى Bitburg على ضوء متى ٦: ١٢، وهي جزء من الصلاة الربانية: "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا."

حين قلت لهم إن ما فعله الرئيس ريغن هو بكل بساطة دعوة إلى الأمّة بأكملها للغفران، سمعتني إحدى العاملات هناك، فصرخت بأعلى صوتها أمام حشد الناس المجتمعين في المطعم: "سيد ماكدول، ريغن رجل شرير وأنت كذلك لأنك تعلّم هذه الأمور لأولادك."

لو قالت لي الموظفة: "عميلي هو E.F. Hutton"، لما لفتت انتباه أحد. جمد الجميع في أمكنتهم وبدأوا ينظرون إلينا. ثم دارت حول الغرفة وأشارت بإصبعها نحوي وقالت: "يمكنني أيضا أن أقول لك أمرا آخر سيد ماكدول. لو خنق النازيون والدة ريغن بالغاز، لما ذهب أبدا إلى Bitburg!"

كان أولادي أيضا ينظرون إلينا. فكّرتُ في نفسي: "يا لها من فرصة رائعة!"

قلت بصوت عالٍ كي يسمعني جميع من في المطعم: "يا أولاد، ما رأيكم بما قالته السيدة للتوّ؟" أجابت كالي ابنتي الكبرى: "يا أبي، هذا رأي شخص واحد".

أجبتها بإصرار: "لا، ما رأيكم أنتم؟ لو قتل النازيون والدة ريغن، هل كان ليذهب إلى Bitburg؟ هذا السؤال ليس صحيحا، أليس كذلك؟"

كان جميع من في المطعم يتساءلون ما هو السؤال الصحيح يا تُرى؟

تابعت قائلا: "السؤال الصحيح هو، لو قتل النازيون والدة ريغن، هل يُفترض به أن يذهب إلى Bitburg؟

ثم تابعت شارحا أن كلّ الذين انتقدوا الرئيس ريغن بسبب التماسه الغفران كانوا في الواقع يقولون: "يا الله، لا تغفر لنا، لأننا لسنا مستعدين أن نغفر للنازيين."

قد لا ترغب في أن تدخل بجدال مع موظفة في مطعم حول مواضيع عالمية كهذه أمام أولادك، لكن تستطيع أن تختار وقتا ومكانا للتكلّم عن هذه الأمور. اسألهم عن رأيهم وقدّم لهم رأيك بكل هدوء.

بدل أن تستثمر في أشياء، حاول أن تستثمر في الاختبارات. أحد أعظم الأمثلة التي أعرفها حول ذلك هو حين أخذ ديك وشارلوت داي ولديهما الأصغر، جوناثان وتيمي، في رحلة خاصة إلى أوروبا حين كانا في الرابعة عشر والخامسة عشر من عمرهما. سافروا لمدة خمسة أسابيع وهم يحملون حقائبهم، وكانوا يبيتون في دور خاصة للشباب أو للمتقاعدين، وكان عليهم أن يبقوا في غرفة واحدة. لم يتعرّف الأولاد في هذه الرحلة إلى حضارات مختلفة فحسب، لكنها ساعدتهم أن يفهموا بعمق أكثر التاريخ العالمي وأحداث الزمن الحالي.

يقول ديك إن هذه الرحلة كانت استثمارا كبيرا. كانوا بحاجة كعائلة في ذلك الوقت إلى سيارة، لكنه وشارلوت لم يندما أبدا على استثمار أموالهما في أمر أكثر أهمية من السيارة.

قد لا تستطيع أن تأخذ أولادك في رحلة حول الدول الأوروبية، لكن فكّر برحلة تقوم بها معهم ولها طابع خاص أو هدف معيّن. الهدف هو: استثمر في اختبار معهم. ثمار هذا الاستثمار لا تُقدّر بثمن.

بالإضافة إلى السفر معا برحلة خاصّة، فكّر بأن تأخذ أولادك معك في رحلة خاصّة بعملك، إن كان هذا الأمر ممكن. غالبا ما أفعل هذا، والأمر الذي تعلّمته هو أن أخطّط مسبقا لهذه الرحلة لكي أبقي أولادي منشغلين بأمور يقومون بها خلال الرحلة.

أصطحب معي عادة ولد واحد كلّ مرة حين أذهب في جولة خطابية. أتصل مُسبقا بأشخاص في الكنائس المحلية حيث سأتكلّم، وأخطط لنشاطات يقوم بها ابني أو ابنتي بينما أكون منشغلا في عملي. بعد ذلك، حين أنتهي من خطاباتي واجتماعاتي، أقضي وقتا طويلا مع ابني أو ابنتي.

مرّة، حين كان شون معي، علمت أن هناك صبي لعائلة ما في الكنيسة التي سوف أتكلّم فيها بعمر شون يحب التزلّج جدا. كان في البلدة التي نزورها منتزها خاصًا بالتزلّج، وقبل والد ذلك الصبي وأمّه بفرح أن يذهب شون مع ابنيهما للتزلّج. قضى شون يومين رائعين من حياته هناك.

في جولة أخرى، سافرت كاتي بالطائرة لكي تلتقي بي في آخر يوم أتكلّم به. هناك أيضا، وبمساعدة من أشخاص في الكنيسة حيث كنت أتكلّم، استطعت أن أضعها في نشاطات خاصّة بها.

الفكرة هي التالية: يحبّ أولادي أن يسافروا معي في الطريق. لا يحبّون ذلك لأنهم يحبون مشاهدتي وأنا أتكلّم، بل لأني أخطّط لهم أن يشاركوا في "نشاطات ممتعة" بينما أعمل. وحين أنتهي من عملي، نستمتع بقضاء الوقت معا.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

أوقات تناول الطعام هي أوقات رائعة للقيام بنشاطات مع أولادك، خاصّة إن كان أولادك في سنّ المراهقة ولا يتواجدون كثيرا حول المائدة العائلية. قد تكون وليمة خاصّة طريقة لجذبهم. هل حاولت مرة أن تتناول الغذاء أو العشاء في غرفة النوم، أو في غرفة جانبية للمنزل؟ لن ينسى أولادك أبدا هذا النشاط. أمر آخر يمكنك القيام به وهو "تبادل الأدوار." أقول لأحد الأولاد في الصباح على حدة: "أنت ستكون المسؤول مساء عند العشاء. ستجلس في كرسيّ الخاص، وأنت الذي يقرّر ما نأكل ونشرب."
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

ثم أطلب منهم أن يجهّزوا الطعام مع دوتي، ونسمح للولد الذي يلعب دور "الأب" وأن يقرر نوع الطعام لتلك الليلة. قادنا هذا النشاط إلى تحضير وجبات مثيرة جدا، كالمثلجات كمقبلات، وزبدة الفستق وغيرها. لا تفعل هذا إلا إن كنت مستعدا أن تأكل أي نوع طعام، وفي حال قرّرت أن تفعل هذا، أؤكّد لك أنه سيترك انطباعا قويًا في أولادك. إنها طريقة أخرى لكي تقول لكل واحد من أولاد: "أنت مميّز."

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

طريقة أخرى لتحويل وقت تناول الطعام إلى فوضى عارمة لا تُنتسى هي بأن تذهب إلى مطاعم مختلفة للوجبات السريعة وتناولوا في كلّ واحد منها وجبة مختلفة، ودع الأولاد يختارون الوجبات. قد يختارون السلطة أو البيتزا أو قطعة حلوى. تحذير: لا تحاول أن تفعل هذا إن لم تكن معدتك قوية لتحمّل الوجبات السريعة!
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

Endnotes

CHAPTER 1

1. «Where's Dad?» *Washington Watch*, published by Family Research Council, January, 1990, p. 2. Quoted in *The Josh McDowell Research Almanac and Statistical Digest*, p. 1101.

2. «Day Care Cities-Problem,» *USA Today*, August 29,1989. Quoted in *The Josh McDowell Research and Statistical Digest*, p. 99.

3. Jean L. Richardson, et al., «Substance Abuse among Eighth Grade Students Who Take Care of Themselves after School,» *Pediatrics*, 1989, pp. 556-565. Quoted in *The Josh McDowell Research and Statistical Digest*, p. 110.

4. *Fundamentalist* Journal, October 1984. Quoted in *The Josh McDowell Research and Statistical Digest*, p. 86.

5. «Focus on the Family Bulletin,» 1989. Quoted in *The Josh McDowell Research and Statistical Digest*, p. 87.

6. «Report to the President: White House Conference on Children,» Washington D.C., U.S. Government Printing Office, 1971, pp. 41-43.

7. Robert Hemfelt, Frank Minirth, Paul Meier, *Love Is a Choice* (Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1989), see p. 12.

8. Ibid., p. 11.

9. Ibid., p. 14.

10. Adapted from the poem, «Children Learn What They Live,» by Dorothy Law Nolte. This poem is often published under «author unknown» and appears to be in public domain.

11. For these thoughts about «What Is A Hero?» I am indebted to a poem attributed to Jimmy Stewart, which he quoted during a «Hope for a Drug-Free America» program as part of Super Bowl activities. His poem is quoted by Doris Lee McCoy, in her book *Megatraits: Twelve Traits of Successful People* (Plano, Texas: Wordware Publishing Inc., 1988).

12. Robert S. McGee, Jim Craddock, Pat Springle, *The Parent Factor* (Houston: Rapha Publishing, 1989), p. 9.

13. «Children Learn What They Live,» by Dorothy Law Nolte.

CHAPTER 2

1. Josh McDowell, *How to Help Your Child Say No to Sexual Pressure*, (Waco: Word Books Publisher, 1987), p. 51.

2. Statistics from Junior High Ministry, May-August, 1988. Quoted in *The Josh McDowell Research and Statistical Digest*, p. 104.

CHAPTER 4

1. Josh McDowell, *Building Your Self-Image* (Wheaton: Living Books, Paperback Edition, 1988), p. 25.

CHAPTER 5

1. Charles Caldwell Ryrie, Editor, *Ryrie Study Bible* (Chicago: Moody Press, 1976), p. 968.

2. For a full discussion of the «eight ages of man,» see Erik H. Erikson, *Childhood and Society*, Second Edition revised and enlarged (New York: W. W. Norton and Company, Inc., 1964), pp. 247-273.

3. «I Am Loved.» Words by William J. & Gloria Gaither. Music by William J. Gaither. © Copyright 1978 by William J. Gaither. All rights reserved. International copyright secured. Used by permission.

CHAPTER 6

1. Dr. James Dobson, Hide or Seek (Old Tappan: Fleming H. Revell Company, 1974), see pp. 23ff.

2. See Stephen D. Eyre, *Defeating the Dragons of the World* (Downers Grove: InterVarsity Christian Fellowship, 1987), p. 24.

3. Ibid.

CHAPTER 7

1. Kenneth Blanchard, Spencer Johnson, *The One-Minute Manager* (New York: Berkeley Books, 1983).

CHAPTER 8

1. For an excellent discussion of the characteristics of a perfectionist, see David Stoop, *Living With a Perfectionist* (Nashville: Oliver Nelson, 1987).

2. Roger Maris› record sixty-one home runs was accomplished during a schedule considerably longer than the one in which Ruth hit his sixty.

3. Erikson, *Childhood and Society*, pp. 258-261.

CHAPTER 9

1. See McDowell, *How to Help Your Child Say «No» to Sexual Pressure*, p.28

2. «Condoms Sought in School,» San Diego Union, Thursday, March 15, 1990, p. C-4. Quoted in *The Josh McDowell Research and Statistical Digest*, p. 1.

3. Josh McDowell, Dick Day, *Why Wait?* (San Bernardino: Here›s Life Publishers, Inc., 1987). For a total report on the reasons why youth have premarital sex, see Part 2, pp. 71-185.

4. «Summary of Findings: Young Adolescents and Their Parents.» Search Institute, Minneapolis, MN, 1984, p. 1D.

5. H. Norman Wright, *Always Daddy's Girl* (Ventura: Regal Books, 1989), p. 10.

6. See Erikson, *Childhood and Society*, pp. 261-263.

7. See Erikson, *Childhood and Society*, pp. 263-266.

8. Debora Phillips, *Sexual Confidence* (Boston: Houghton Mifflin, 1980), p. 121.

CHAPTER 10

1. Rolf Garborg, *The Family Blessing* (Dallas: Word Publishing, 1990).

CHAPTER 11

1. See Josh McDowell, *How to Help Your Child Say «No» to Sexual Pressure*, p. 19.

2. Anthony Casale, *Tracking Tomorrow›s Friends* (Kansas City: Andrews, Mcmeel and Parker, 1986). This publication was a book compiled by the Ganett New Media Services, *USA Today*, and featured compilation of research and polls taken by *USA Today* on various subjects and issues. The publication is no longer in print.

CHAPTER 14

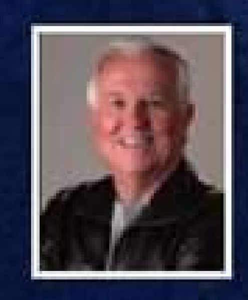
1. See Jennifer Warren, «Malnourished Girl Found Locked in Closet; Parents Held,» *The Los Angeles Times*, Thursday, October 25, 1990, p. A3.

2. See Dr. James Dobson, *Dare to Discipline* (Wheaton: Tyndale House Publishers, 1970), Introduction page 1-4.

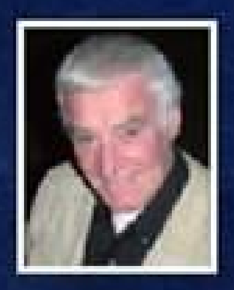
لست بحاجة أن تكون أبا أو أمّا خارقا لكي تكون بطلا لأولادك

كل ما تحتاج إليه هو المحبة والحافز وخطة قابلة للتنفيذ. اكتشف كيف يمكن "لوصفة" جوش ماكدول وديك داي المؤلّفة من ست نقاط حول التربية الإيجابية للأولاد المرتكزة على الكتاب المقدس، أن تحوّلك إلى بطل حقيقيّ لأولادك. ستتعلّم من كتاب "كيف تكون بطلا لأولادك" أن تُظهر العاطفة والشخصية والثبات على مبادئك التي تجعل منك مثالا إيجابيا لأولادك.

ستجد أن دورك كبطل لأولادك هو دور عمليّ وممتع. والأكثر من هذا، سيساعدك في بناء علاقة مع أولادك تجهّزهم لكي يعيشوا حياة متكاملة ومباركة، حتى وسط عالم خطير وعدائي. أي أمر آخر غير هذا يريده الأب الخارق أو الأم الخارقة؟



جوش ماكدَول هو متكلّم عالمي معروف ومؤلف وممثّل لحياة المحبة. تخرّج من جامعة ويتون ومن معهد طالبوت اللاهوتي. كتب أكثر من خمسة وثلاثين كتابا وظهر في عدّة أفلام، وأشرطة فيديو ومسلسلات تلفزيونية.



ديك داي هو مستشار قانوني حول الزواج والعائلة والأولاد. شارك في تأسيس مركز جوليان في مدينة بلدة جوليان في ولاية كاليفورنيا، وهو مدير المركز. يحاضر حول العالم، ويشارك جوش ماكدول في كتاباته، ويظهر في عدّة أفلام وأشرطة فيديو، وسلسلة أفلام أخرى مع جوش.